وزارة المعارف العمومية

قصص القدماء المصورة

وضع
ابراهيم نمير سيف الدين
المفتش بوزارة المعارف العمومية

القاهرة
طبع بالمطبعة الأميرية ببولاق
١٩٤٣

وزارة المعارف العمومية

قصص القدماء المصورة

وضع

ابراهيم نمير سيف الدين
المفتش بوزارة المعارف العمومية

القاهرة
طبع بالمطبعة الأميرية ببولاق
١٩٤٣



حضرة صاحب الجلالة "فاروق" الأول ملك مصر

بسم الله الرحمن الرحيم

دلتنى الخبرة على أن صغار التلاميـــذ فى حاجة ماسّة إلى كتاب تاريخ يعتمد على التصوير الناطق ، والرسم الشارح ، ويستغنى عن الكلام الكثير بالوسائل الموضحة ، حتى يقبلوا على قراءته بشغف وسرور .

ظل تحقيق هذه الرغبة كامنا فى نفسى ، ينتظر الفرصة الملائمة للظهور ، حتى كانت المناهج الحالية ، وما تتطلبه من دراسة جديدة ، ومعالجة مبتكرة ، فانتهزت الفرصة ، وبادرت بإظهار تلك الأمنية ، التى كنت أود تحقيقها من زمن بعيد ؛ فقمت بوضع هذا الكتاب ، ونقلت جلَّ رسومه عن النقوش ، التى تركها المصريون القدماء على جدران معابدهم ومقابرهم ، واجتهدت أن يكون الكلام متمشيا مع الصور ، بقدر الإمكان .

وحبذا الأمر لو ألقى المدرس الحديث على تلاميذه ، أو قص عليهم القصة ، بشكل مشوق ، ثم كلَّف أحدهم مطـالعة المكتوب ، فإذا ما انتهى من المطـالعة ، طالبه أن ينتقل ببصره إلى الرسم ، ويعبر عما يراه بألفاظ من عنده .

ولا مانع من أن يقوم التلاميذ ، بين آن وآخر ، بعمل رسوم بسيطة من الذاكرة ، أو نمـاذج من الورق وغيره ، تمثل النقط البارزة فى الموضوع ، ولا تتقيد فى تفاصيلها بمـا فى الكتاب .

بهذا يستطيع الأستاذ أن يمهد سبيلا صالحـًا تسلكه الناشئة لفهم التاريخ ، والإفادة منه ، والولوع بدراسته .

والله أسأل أن يحقق الأمل ، ويقرب الغاية ؟

المؤلف

منهج التاريخ

للسنة الثانية الابتدائية

---

١ — محادثات سهلة عن المصريين القدماء، مأخوذة من القصص أو من الآثار:

الفلاح ، الصانع ، التاجر ، الكاهن ، الكاتب ، الجندى ، الوزير ، الملك ، الأطفال ، المدرسة ، الكتابة ، الديانة ، الحياة المنزلية ، العادات ، الأزياء ، الفنون ، المبانى ، الآلات .

٢ — قصص العظماء :

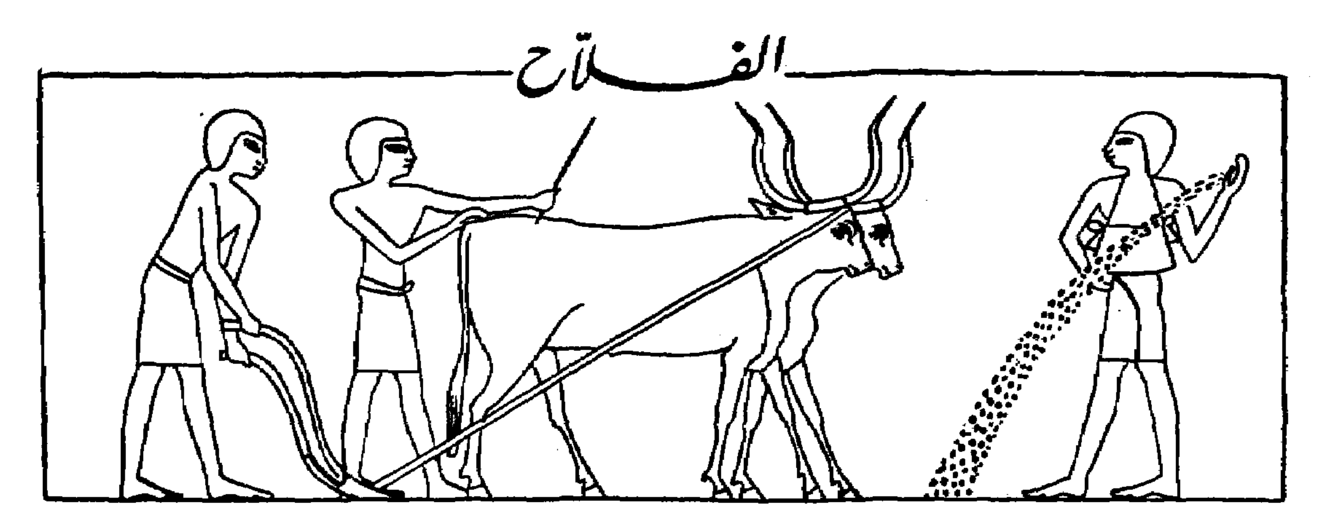
مينا ؛ الوزير الحكيم إمحوتب ؛ خوفو ، بانى الهرم الأكبر ؛ امنحات الثالث ؛ سيدنا يوسف ؛ تحتمس الثالث ؛ سيدنا موسى ؛ الإسكندر الأكبر ، منشئ الإسكندرية .

١

محادثات سهلة عن المصريين القدماء

(مأخوذة من القصص أو من الآثار)

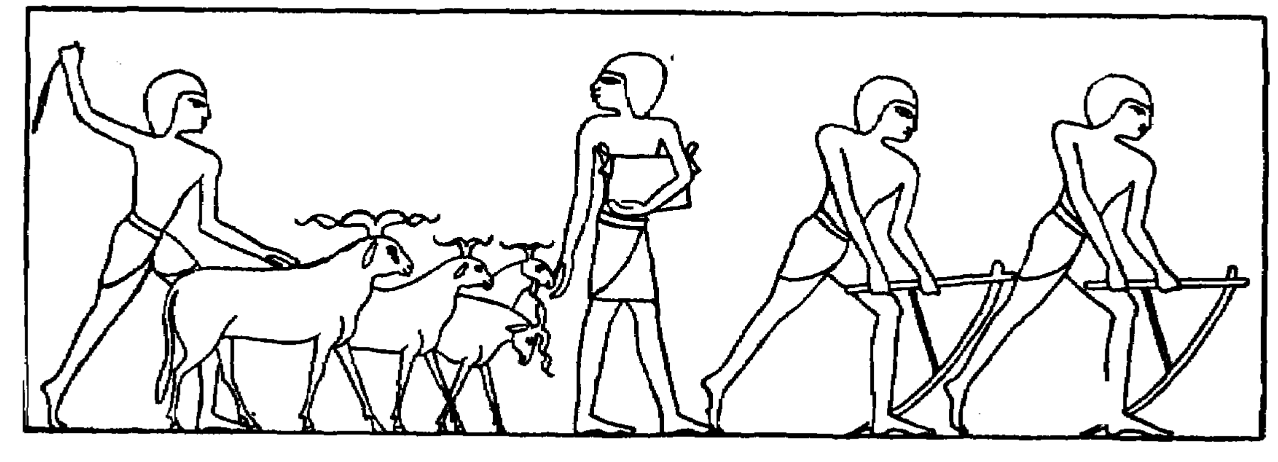
الفلاح



كَانَ مَاءُ النّيل ، عنْدَ فَيَضَانه قَديمًا ، يُغَطى الْأَرَاضِىَ الْمُجَاورَةَ ،

وعند انْخفَاضه ، يَتْرُكهَا طَرِيَّةً ، فَيَبْدَأُ الْفَلَّاحُ فى زَرْع الْحَقْل :

فَيَبْذُرُ الْبُذُورَ ، وَيَحْرُثُ الْأَرْضَ بمحْرَاث ، كَالَّذى نَرَاهُ الآنَ .



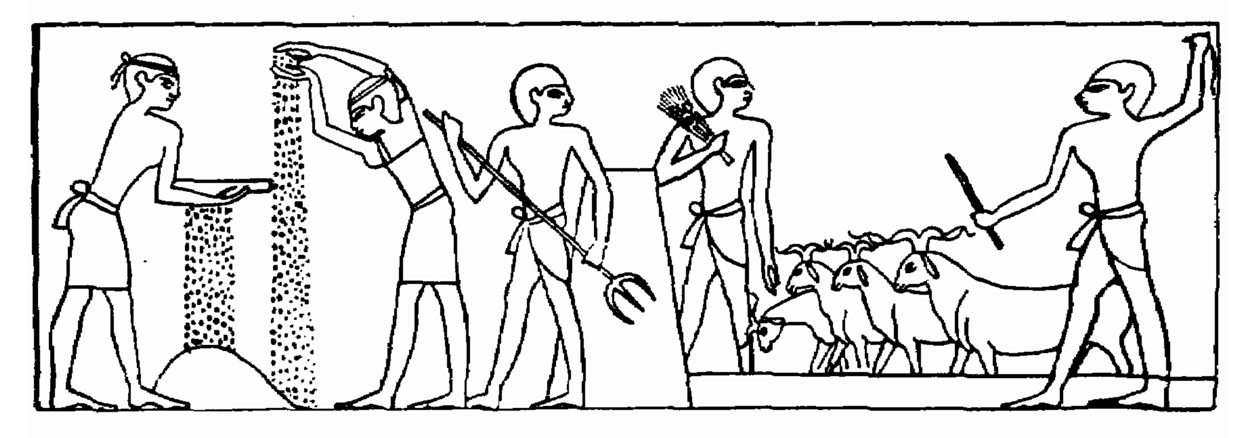
وَيَكْسرُ بالْفَأْس قطعَ الطّين الْكَبيرَة ، الَّتى يَتْرُكُهَا الْمحْرَاثُ ، ثُمَّ

يَأْتى بالْأَغْنَام لتَدُوسَ الْأَرْضَ ، فَتُسَوّيهَا ، وَتُخْفِىَ الْبُذُورَ فى بَاطنهَا ؛

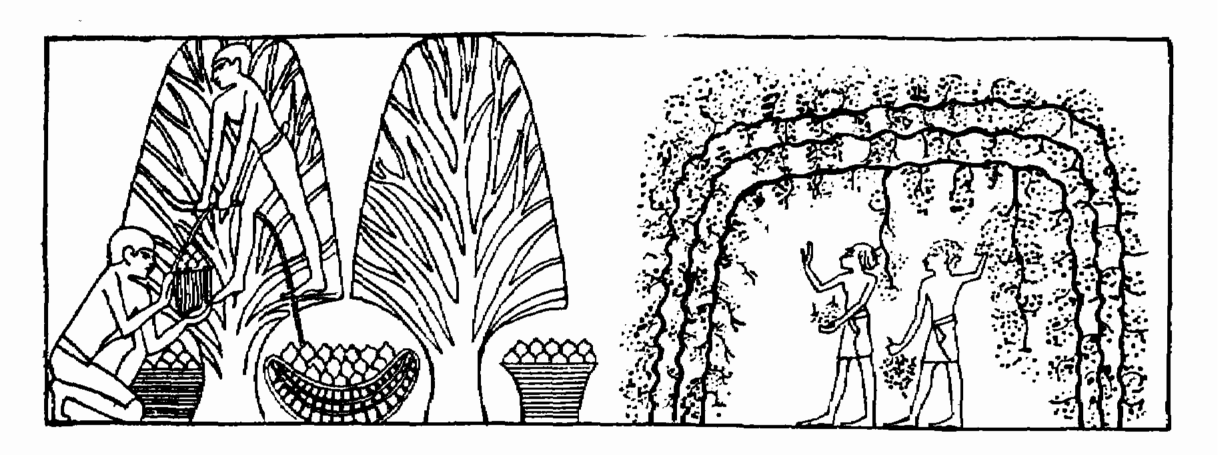
وَبَعْـدَ ذَلكَ يَتْرُكُهَا ، مُدَّةً منَ الزّمَن ، فى انْتظَار الْمَحْصُول .



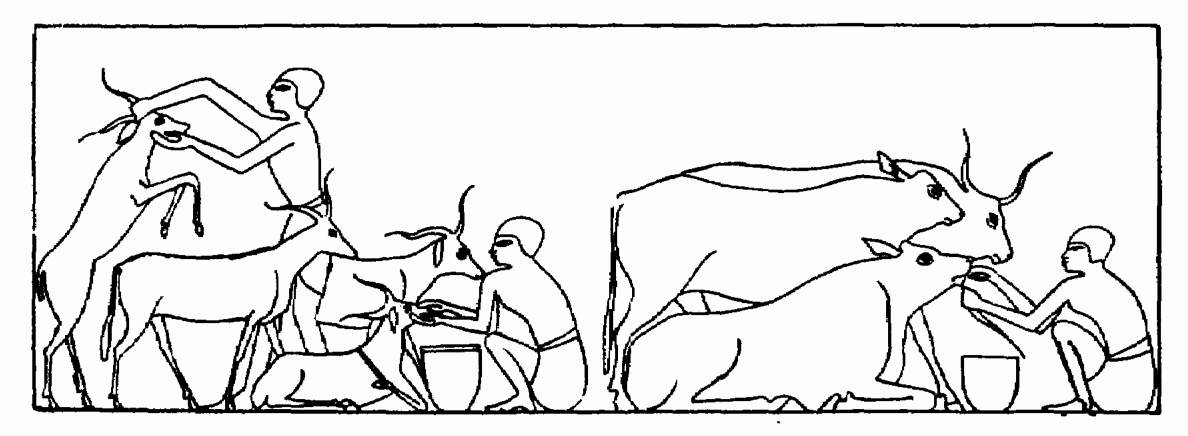
وَعِنْدَ مَا يَنْضَجُ النَّبَاتُ ، يَحْصُدُهُ الْفَلَّاحُ بِالْمِنْجَلِ ،
ثُمَّ يَرْبُطُهُ حُزَمًا حُزَمًا ، يَحْمِلُهَا عَلَى رَأْسِهِ ، أَوْ عَلَى كَتِفَيْهِ ،
أَوْ يَنْقُلُهَا عَلَى ظُهُورِ الْحَمِيرِ ، إِلَى الْأَجْرَانِ ، لِدَرْسِهَا .



وَكَانَتِ السَّنَابِلُ تُفْرَشُ عَلَى الْأَرْضِ ، لِتَسِيرَ عَلَيْهَا الْمَاشِيَةُ ،
حَتَّى يُفْصَلَ الْحَبُّ عَنِ الْقَشِّ ؛ ثُمَّ يُذَرَّى الْحَبُّ فِى الْهَوَاءِ ؛
وَتُغَرْبِلُهُ النِّسَاءُ ؛ ثُمَّ يُكَالُ بِالْمَكَايِيلِ ؛ وَيُنْقَلُ إِلَى الْمَخَازِنِ .



وَكَانَ الْفَلَّاحُ الْمِصْرِىُّ الْقَدِيمُ يُعْنَى بِالْبَسَاتِين وَفِلاحَتِهَا : فَيَرْوِيهَا بِالشَّادُوف ، وَيَزْرَعُ بِهَا أَنْوَاعًا مِنَ الْفَاكِهَة : مِثْلَ الْعِنَب والتِّين ، فَاذَا نَضِجَتْ جَمَعَهَا ، وَأَكَلَ بَعْضَهَا ، وَبَاعَ الْبَاقِى فِى الْأَسْوَاق .

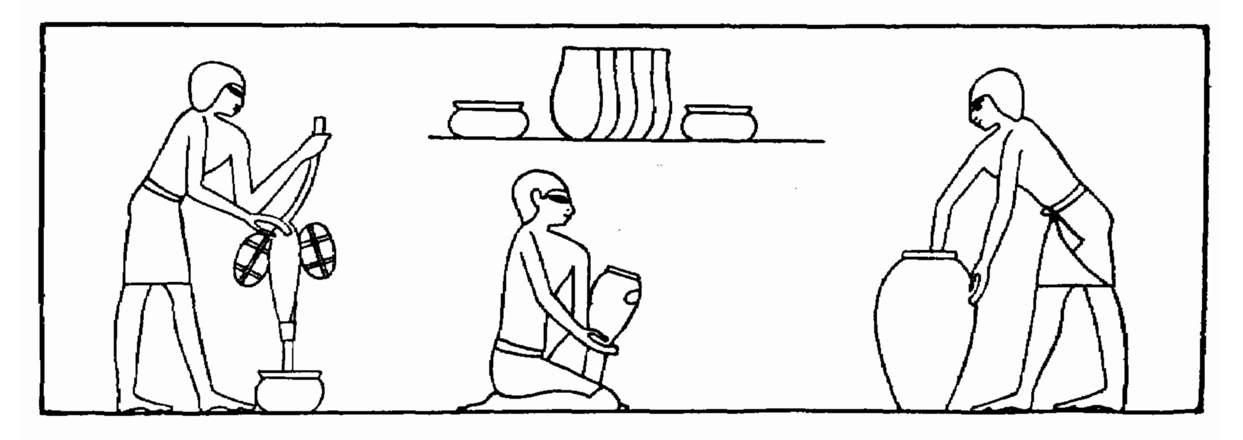


وَكَانَ الْفَلَّاحُ يَهْتَمُّ اهْتِمَامًا كَبِيرًا بِتَرْبِيَة الْمَاشِيَة ، وَالْغِزْلَان ، وَيُقَدِّمُ لَهَا الطَّعَامَ الْكَثِيرَ بِيَدِه ، لِتَسْمَنَ وَيَزِيدَ وَزْنُهَا ، فَيَبِيعُهَا لِلنَّاس ، لِيَأْكُلُوا لَحْمَهَا ، أَوْ يُقَدِّمُوهَا هَدَايَا لِلْآلِهَة فِى الْمَعَابِد[1] .

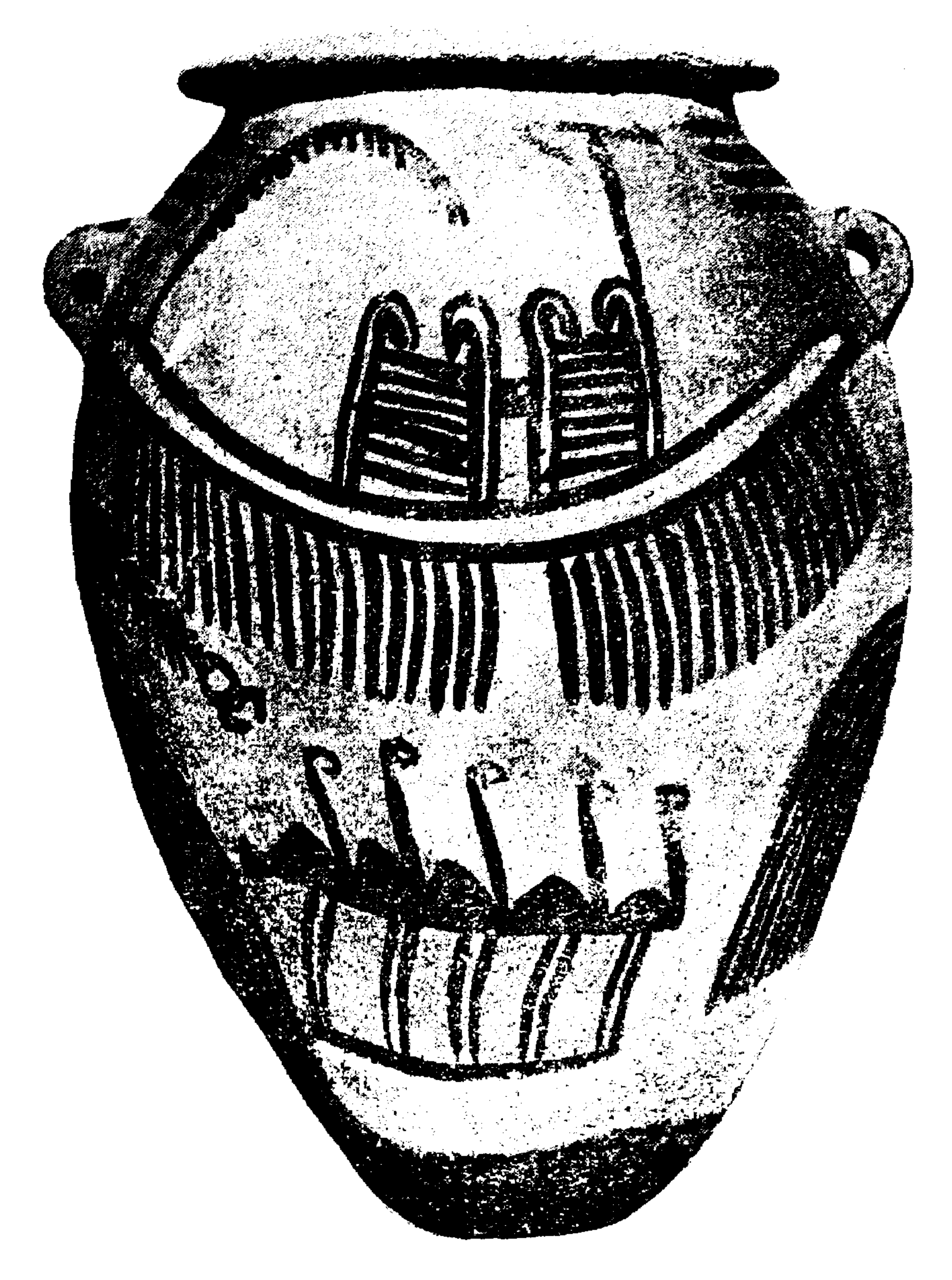
(١) كانت هذه أهم أعمال الفلاح فى موسم الزراعة ، أما زمن الفيضان ، فكان يقيم المبانى والأفراح .

الصّانع

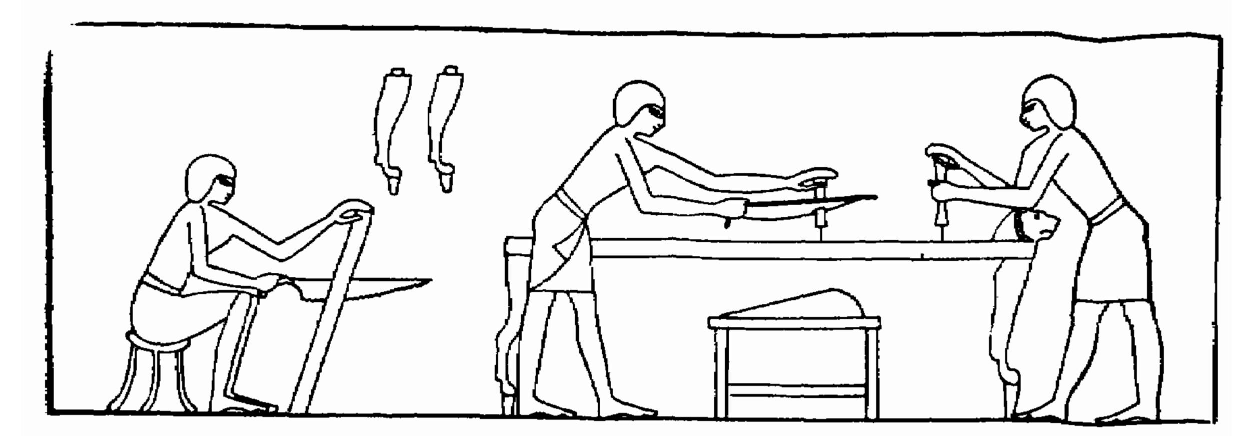
اشْتَهَرَ الصَّانِعُ الْمِصْرِىُّ الْقَــدِيمُ بِالدِّقَّةِ وَالصَّبْرِ فى عَمَلِه : فَبَرَعَ الصَّائِغُ فى صِنَاعَةِ الْحُلِىّ : وَكَانَ يُذِيبُ الْمَعْدِنَ عَلَى النَّـارِ ، وَيَطْرُقُهُ حَتَّى يَصِيرَ صَفِيحَةً رَقِيقَةً ، يَصْنَعُ مِنْهَا الْقَــلائِدَ وَغَيْرَهَا .



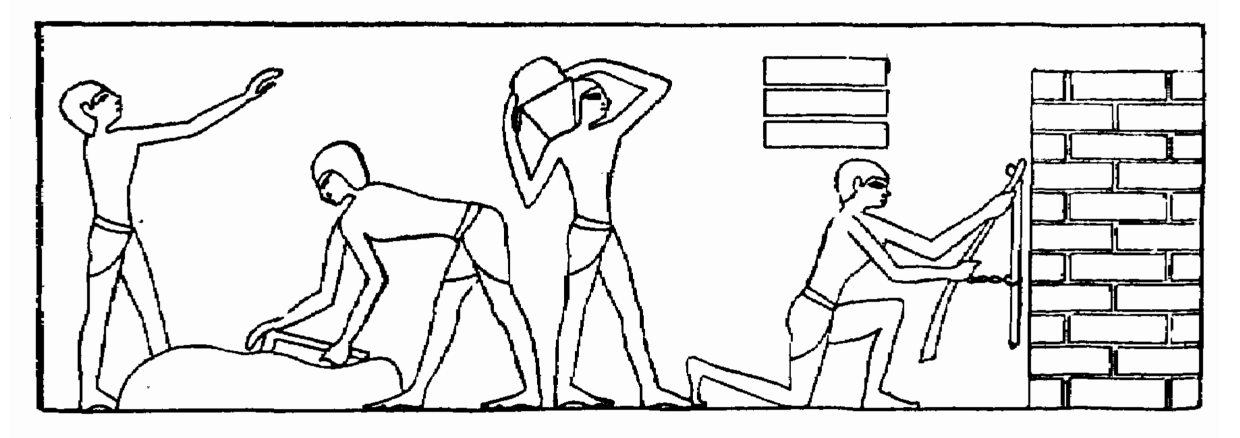
وَكَانَ الْخَزَّافُ يَصْنَعُ الْأَوَانِى الْمُخْتَلِفَةَ مِنَ الطِّينِ : فَيَضَعُ الْقِطْعَةَ مِنْهُ عَلَى عَجَلَةٍ خَاصَّةٍ ، يُحَرِّكُهَا بِرِجْلِه ، وَيُشَكِّلُ الطِّينَ بِيَــدِه ، وَيَحْرِقُهُ ، وَيُلَوِّنُهُ ، فَيَشْتَرِيهِ النَّاسُ ، لِيَحْفَظُوا فِيهِ طَعَامَهُمْ وَشَرَابَهُمْ .



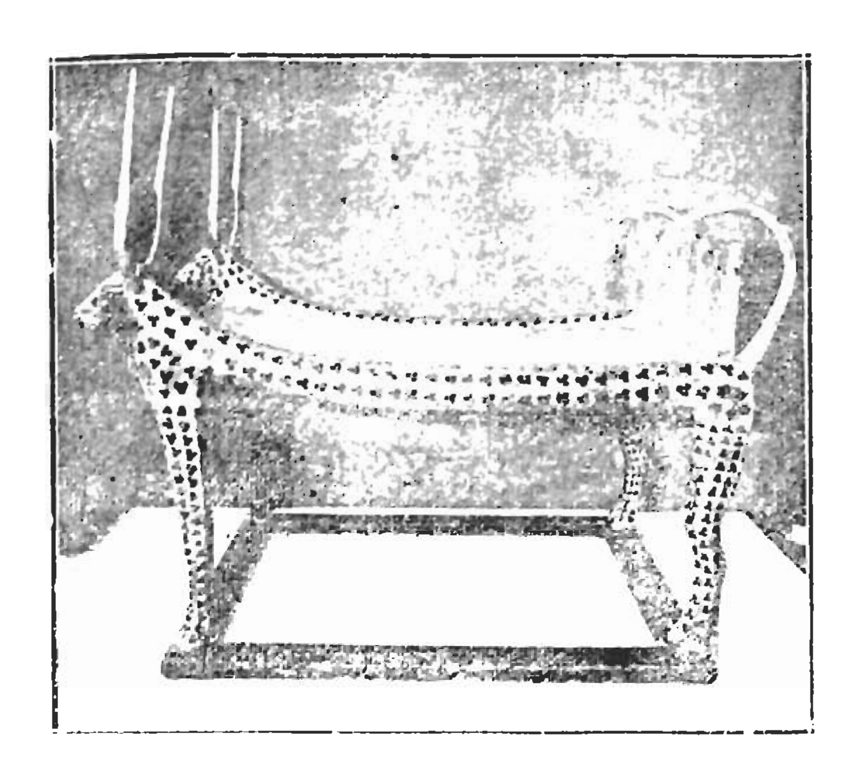
(آنية من الفخار)



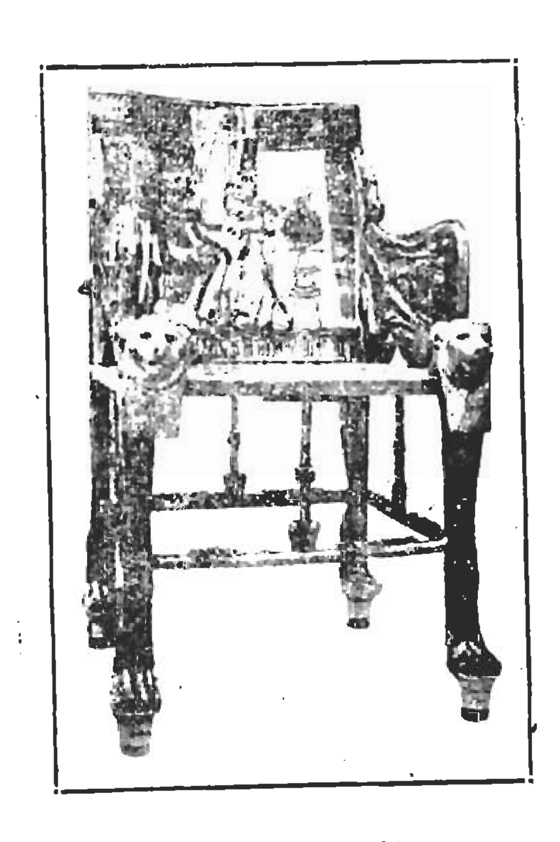
وَأَجَادَ النَّجَّارُ صِنَاعَةَ الْأَثَاث : فَكَانَ يَصْنَعُ بِمِنْشَاره وَقُدُّومه الْأَسِرَّةَ ، وَالْكَرَاسِى ، وَالْمَوَائِدَ ، وَالْأَبْوَابَ ، وَالشَّبَابِيكَ ، وَغَيْرَهَا ؛ وَيَسْتَعْمِلُ خَشَبَ الْجُمَّيْز وَالسَّنط الْمَوْجُود بِمِصْرَ ، أَوْ خَشَبًا آخَرَ مِنَ الْخَارِج .



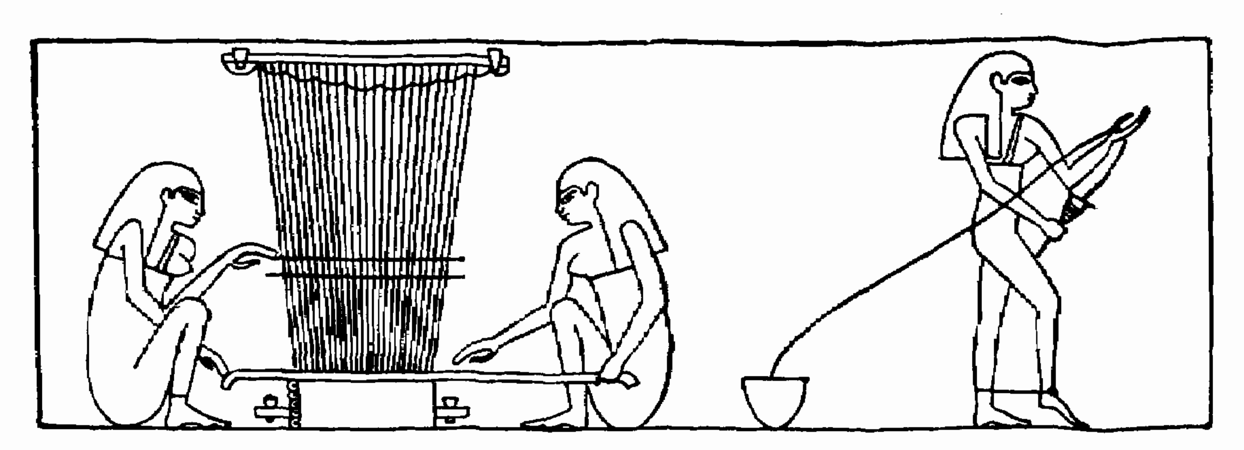
وَكَانَ الْبَنَّاءُ يَبْنِى الْمَنَازِلَ مِنَ اللَّبِن : فَيَعْجِنُ الطِّين ، بِيَدَيْه أَوْ رِجْلَيْه ، وَيَضَعُهُ فِى قَوَالِبَ مِنَ الْخَشَب ، وَيَتْرُكُهُ فِى الشَّمْس حَتَّى يَجِفَّ ، ثُمَّ يَجْعَلُه صُفُوفًا بَيْنَهَا طَبَقَةٌ مِنَ الطِّين .



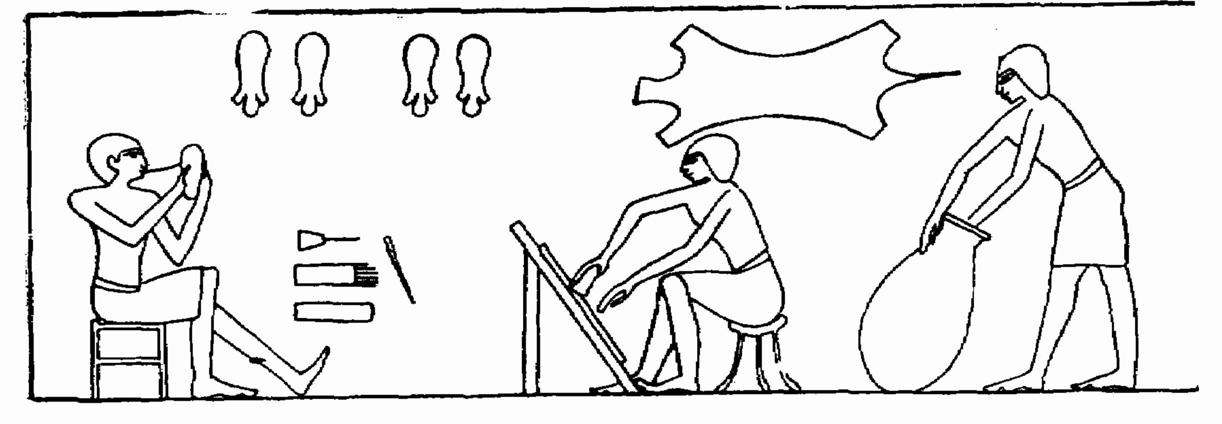
(سرير مصري قديم)



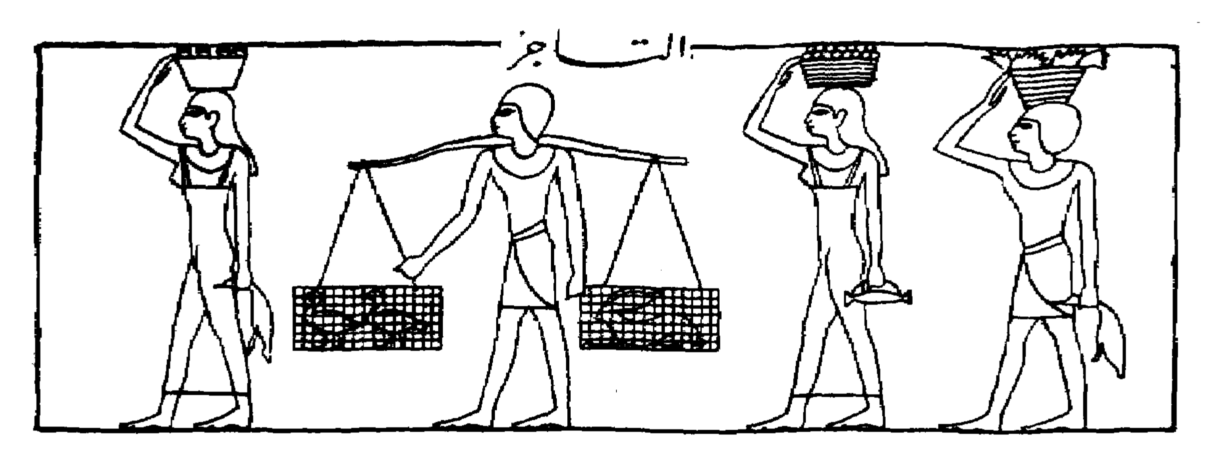
(كرسي مصري قديم)



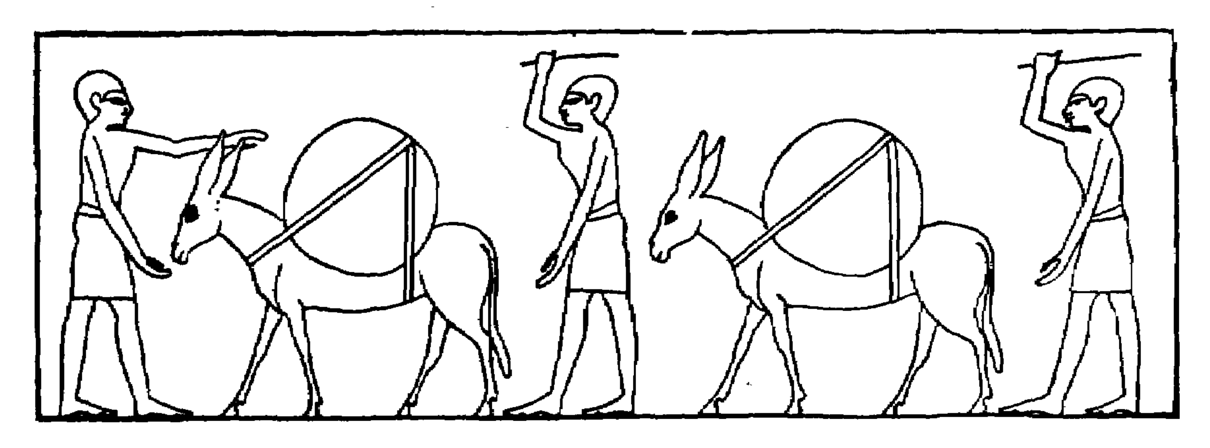
وَأَتْقَنَ النَّسَّاجُ عَمَلَ الأَقْمِشَةِ : فَكَانَ يَغْزِلُ الْكَتَّانَ خُيُوطًا رَفِيعَةً ، ثُمَّ يَضَعُهَا عَلَى نَوْلٍ مِنَ الْخَشَبِ ، كَالَّذِي نراه الآنَ ، وَيَعْمَلُ فِيهَا بِيَدَيْهِ ، فَتَخْرُجُ نَسِيجًا رَقِيقًا يُشْبِهُ الْحَرِيرَ .



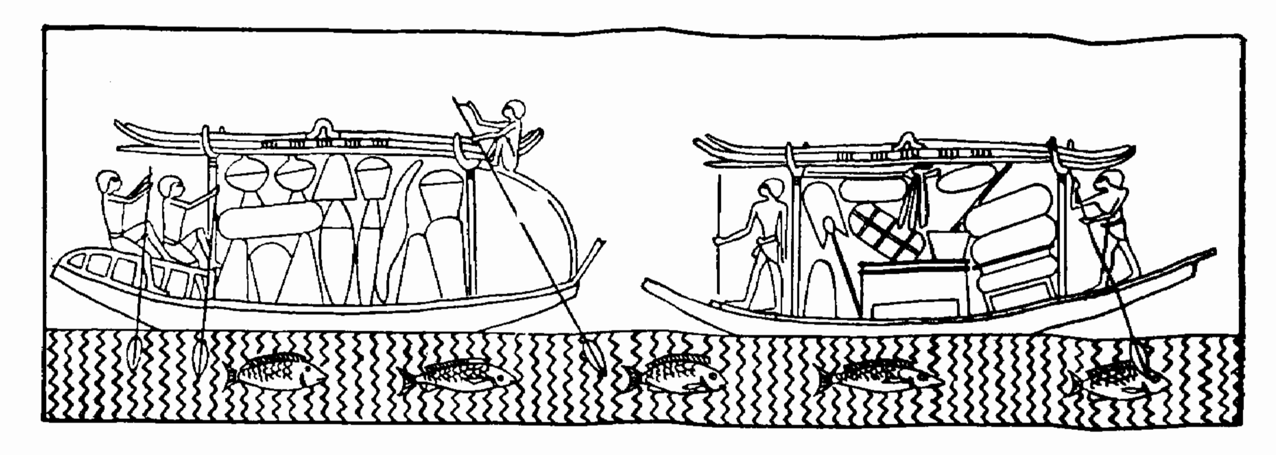
وَأَحْسَنَ الإِسْكَافُ صِنَاعَةَ الْجُلُودِ : فَكَانَ يَضَعُهَا فِي الزَّيْتِ ، ثُمَّ يَصْبُغُهَا بِاللَّوْنِ الَّذِي يُرِيدُهُ ، وَيَصْنَعُ مِنْهَا : النِّعَالَ ، وَالسُّرُوجَ وَالدُّرُوعَ ، وَغَيْرَهَا مِمَّا يَدُلُّ عَلَى مَهَارَةِ الصَّانِعِ الْمِصْرِيِّ الْقَدِيمِ .



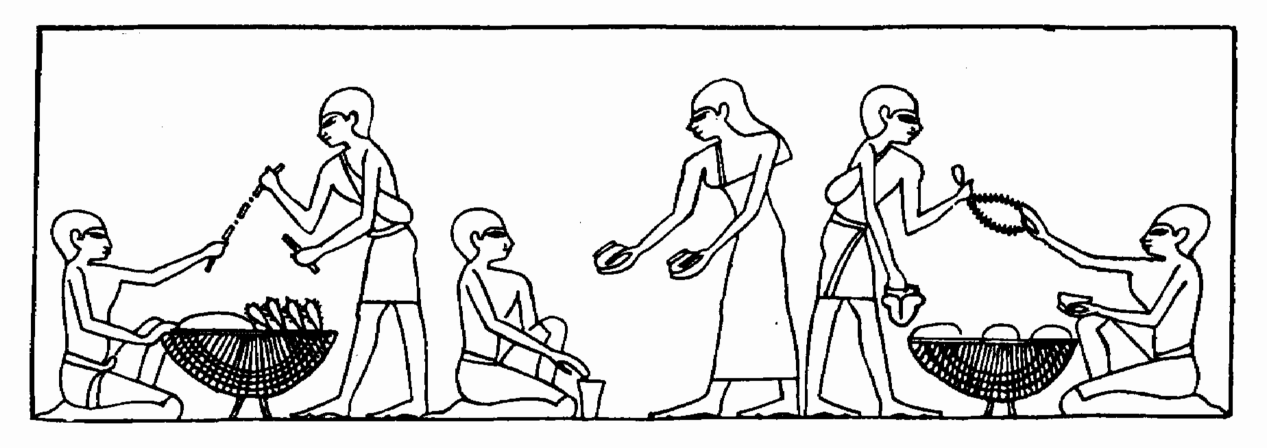
كَانَ التَّاجِرُ الْمِصْرِىُّ الْقَدِيمُ يَشْتَرِى الْمَحْصُولَاتِ وَالْمَصْنُوعَاتِ ، لِيَبِيعَهَا لِمَنْ يُرِيدُهَا . وَكَانَ يَنْقُلُ هَذِهِ الْبَضَائِعَ بِوَسَائِلَ مُخْتَلِفَةٍ : فَإِنْ كَانَتْ قَلِيلَةً وَخَفِيفَةً ، حَمَلَهَا عَلَى رَأْسِهِ ، أَوْ عَلَى كَتِفَيْهِ .



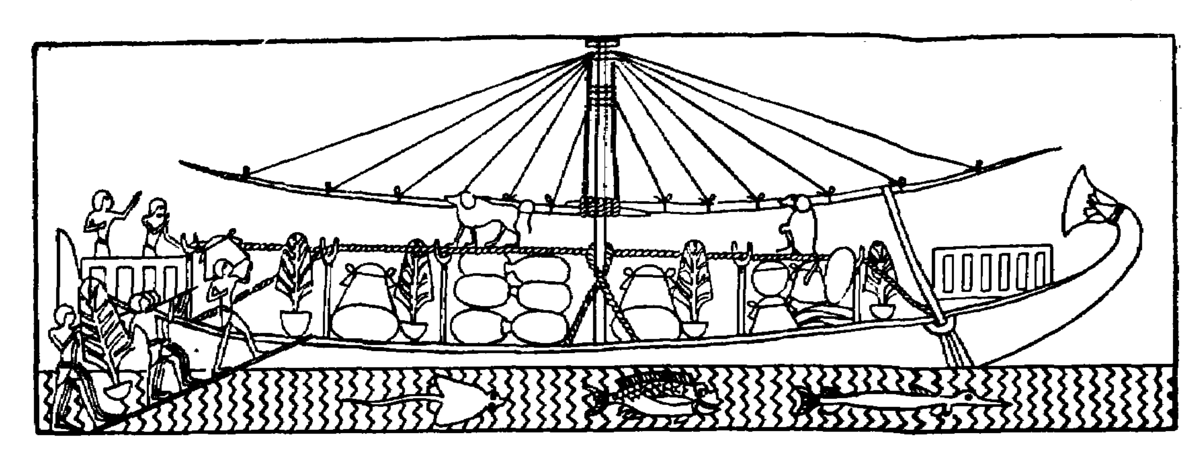
وَأَمَّا إِنْ كَانَتْ كَثِيرَةً وَثَقِيلَةً ، وَلَا يُمْكِنُهُ أَنْ يَحْمِلَهَا بِنَفْسِهِ ، فَإِنَّهُ يَرْبُطُهَا حُزَمًا ، أَوْ يَضَعُهَا فِى أَكْيَاسٍ ، وَيَنْقُلُهَا عَلَى ظُهُورِ الْحَمِيرِ إِلَى أَىِّ مَكَانٍ يَشَاءُ



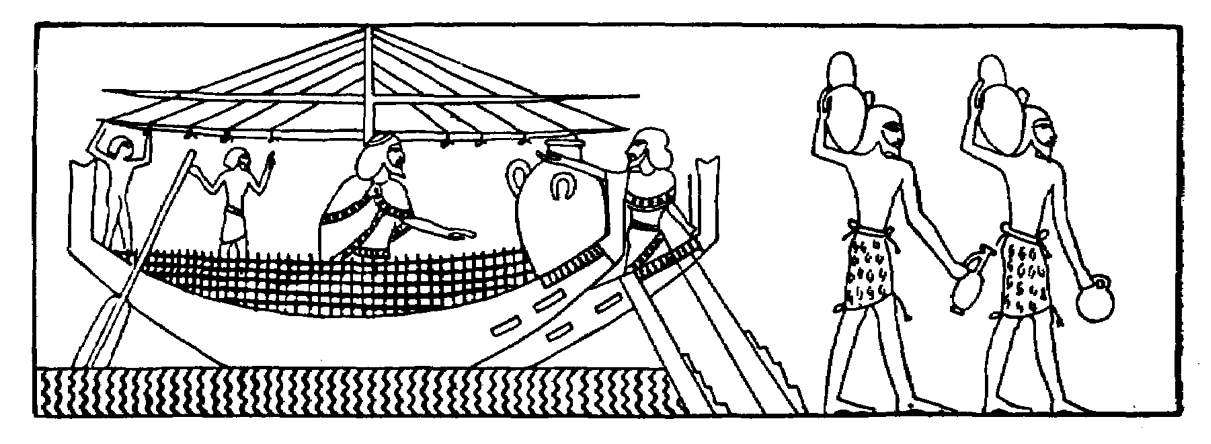
وَكَانَ التَّاجِرُ يَنْقُلُ بَضَائِعَهُ أَحْيَانًا فى قَوَارِبَ صَغِيرَةٍ ، تَسِيرُ فى النّيل ، من بَلَد إلَى آخَرَ ، وَهُنَاكَ تُعْرَضُ لِلْبَيْعِ ، فَيَشْتَرِيهَا مَنْ هُوَ فى حَاجَة إِلَيْهَا .



وَكَانَ التُّجَارُ يَجْتَمِعُونَ فى السُّوق ، يَبِيعُونَ وَيَشْتَرُونَ ، بِطَرِيقَة الْمُقَايَضَة : فَيُعْطُونَ الصَّانِعَ مَثَلًا فَوَاكِهَ ، وَيَأْخُذُونَ مِنْهُ عُقُودًا ، وَيَشْتَرُونَ مِنَ الْفَلَّاحِ حُبُوبًا ، وَيَدْفَعُونَ لَهُ الثَّمَنَ آنِيَةً .



وَلَمَّا زادَت الْمَحْصُولَاتُ ، امتَدَّت التّجارَةُ إلَى الْممَالك الْمُجَاورة ، فَأَرْسَلَ التُّجَّارُ السُّفُنَ ، فى النّيل والْبحَار ، إلى السُّودَان وَالشَّام ، تَحْملُ الْحُبُوبَ ، وَالْكَتَّانَ ، وَالْأَقْمِشَةَ ، وورق الْبرْدى ، وَالْأَوَانى .



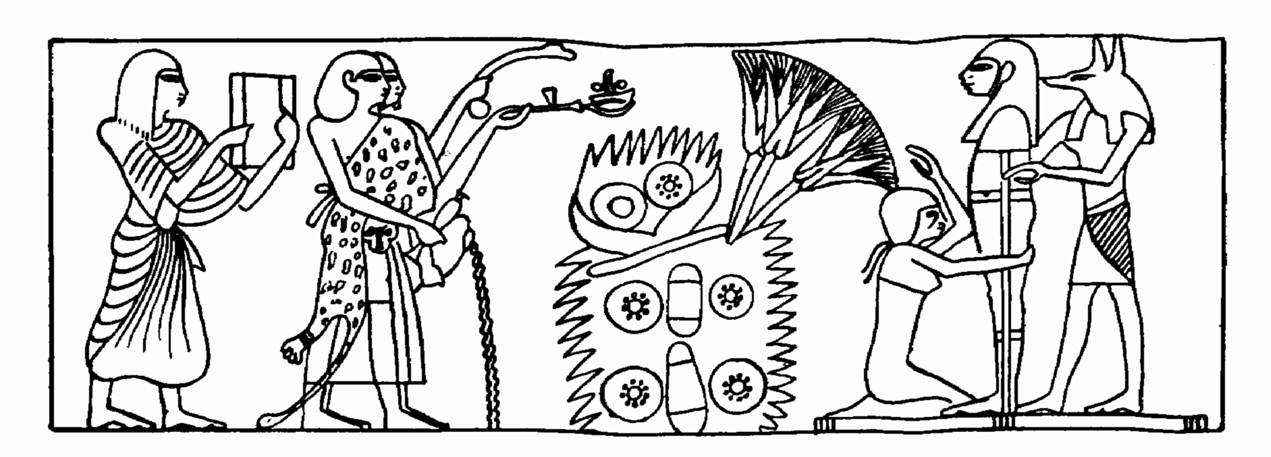
وَكَانَتْ هَـذه السُّفُنُ تَعُودُ مُحَمَّلَةً ببَضَائعَ لَا تُوجَدُ فى مصْرَ ، مثْلَ : الزُّيُوت ، وَالْأَحْجَار الْكَرِيمَة . وَاسْتَمرّت التّجارَةُ بهـذه الطَّريقة زَمنًا ، ثُمَّ اسْتَعْمَلَ النَّـاسُ حلَقَات منَ الْمعْدن كَنُقُود .



أَحَبَّ قُدَمَاءُ الْمِصْرِيِّينَ آلِهَتَهُمْ ، فَبَنَوْا لَهَا الْمَعَابِدَ الْفَخْمَةَ ، وَكَانَ الْمَلِكُ يَرْأَسُ الْحَفَلَاتِ الدِّينِيَّةَ الْهَامَّةَ ، الَّتِى تُقَامُ فِيهَا : كَتَبْخِيرِ تَمَاثِيلِ الْآلِهَةِ ، وَتَزْيِينِهَا ، وَلِذَلِكَ كَانَ يُسَمَّى "الْكَاهِنُ الْأَعْظَمُ" .



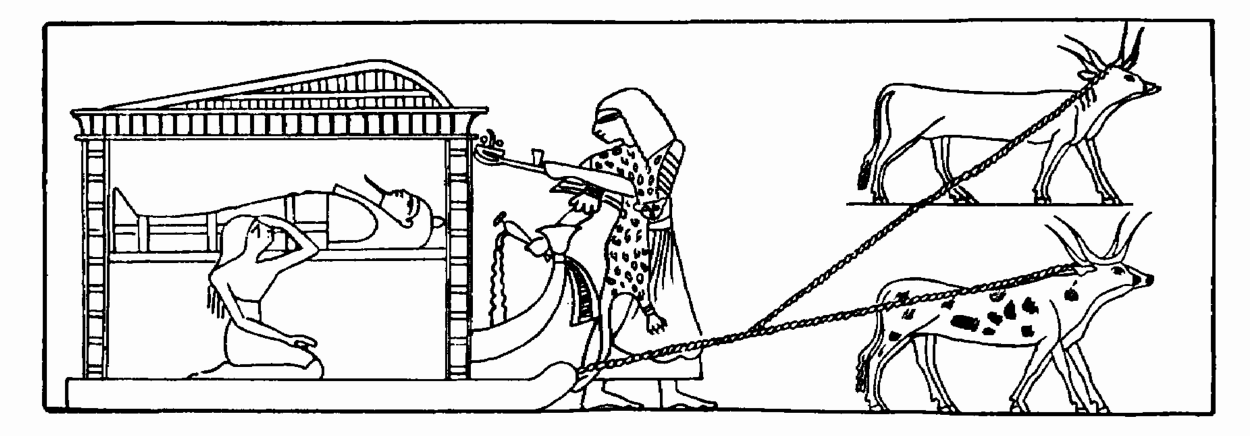
وَإِذَا لَمْ يَسْتَطِعِ الْمَلِكُ حُضُورَ حَفْلَةٍ مِنْ هَذِهِ الْحَفَلَاتِ ، نَابَ عَنْهُ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ ، وَكَانَ يَلْبَسُ عَادَةً عَبَاءَةً مِنْ جِلْدِ الْفَهْدِ ، فِى أَثْنَاءِ قِيَامِهِ بِوَاجِبَاتِهِ الدِّينِيَّةِ الْمُخْتَلِفَةِ .



وَكَانَ أَفْرَادُ الشَّعْبِ يَحْتَرِمُونَ رَئِيسَ الْكَهَنَةِ ، احْتِرَامًا كَبِيرًا

وَإِذَا مَاتَ أَحَدُهُمْ ، دَعَوْهُ لِيَحْضُرَ تَحْنِيطَ الْجُثَّةِ ، وَيُبَخِّرَهَا

وَيُطَهِّرَهَا بِالْمَاءِ الْمُقَدَّسِ ، وَيُصَلِّيَ عَلَيْهَا ، حَتَّى تَرْحَمَهَا الْآلِهَةُ



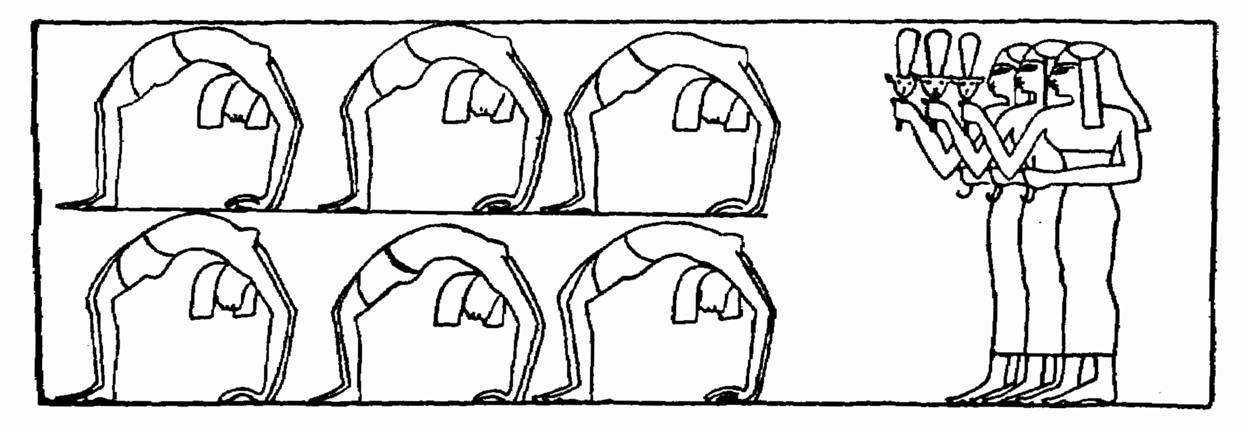
كَذَلِكَ كَانَ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ يَسِيرُ فِى الْجَنَازَاتِ ، يَقْرَأُ

الْأَدْعِيَةَ ، وَيَجُرُّ التَّابُوتَ ، كَمَا يَفْعَلُ بَعْضُ الْقُسُسِ الْآنَ ،

وَعِنْدَ الدَّفْنِ ، يَعِظُ النَّاسَ ، وَيُذَكِّرُهُمْ بِالْحَيَاةِ الْآخِرَةِ وَالْحِسَابِ .

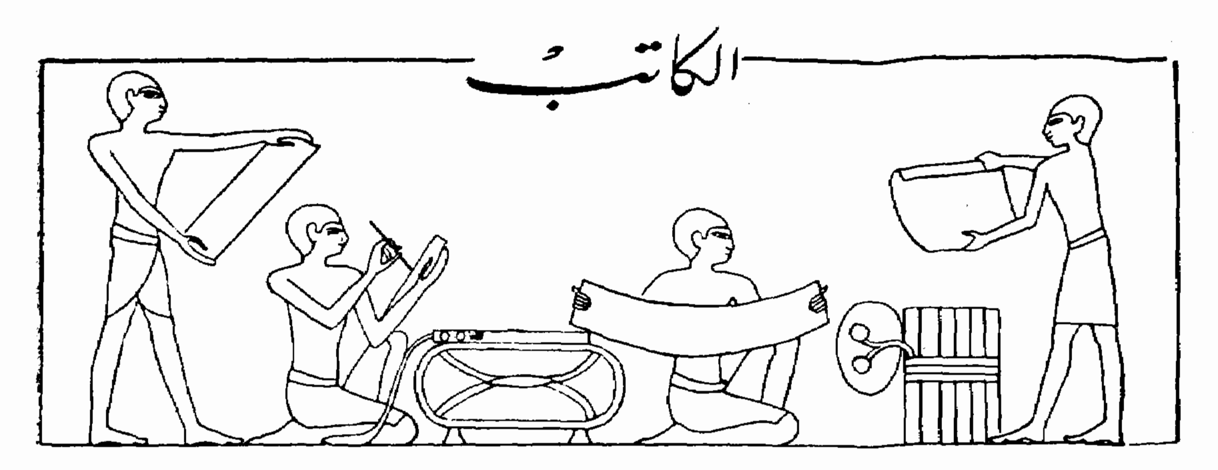


أَمَّا الْكَهَنَةُ أَنْفُسُهُمْ فَكَانُوا يَقُومُونَ بِأَعْمَالٍ كَثِيرَة أَهَمُّهَا : الصَّلَاةُ بِالنَّاس فى الْمَعْبَد ، وَعَقْدُ الزَّوَاج ، وَتَسْجِيلُ مَا يُقَدَّمُ لِلآلِهَة من نُذُور ، وَحِرَاسَةُ الْمَعْبَد ، وَنَظَافَتُهُ .

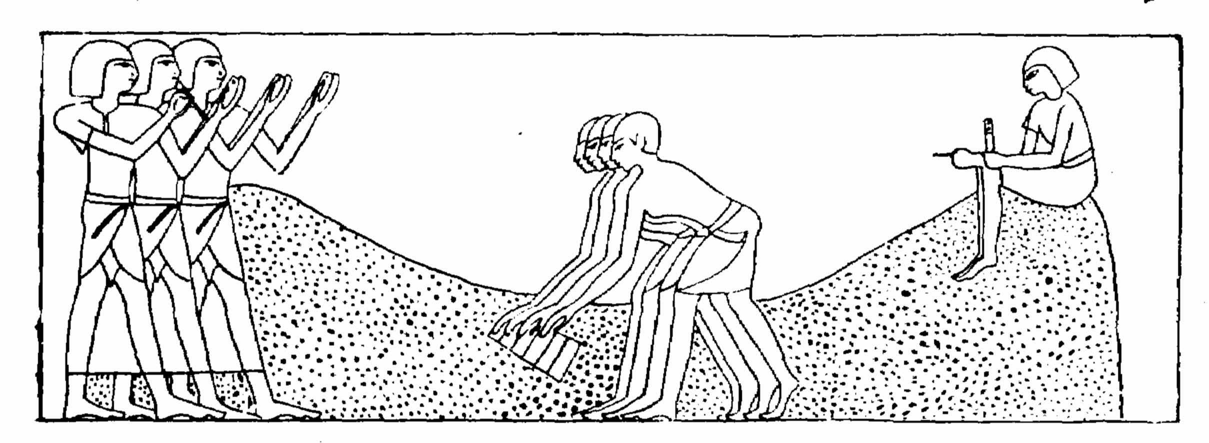


وَكَانَ بِبَعْض الْمَعَابد كَاهِنَاتٌ ، يَقُمْنَ بِالرَّقْص وَالْغنَاء فى الْحَفَلَات الدِّينيَّة ، وَيَعِشْنَ ، كَمَا يَعِيشُ الْكَهَنَةُ ، عَلَى مَا يُقَدِّمُهُ النَّاسُ مِنَ الْهَدَايَا الْكَثيرَة ، فى الْمَوَاسم وَالأَعْيَاد وَغَيْرِهَا .

الكاتب

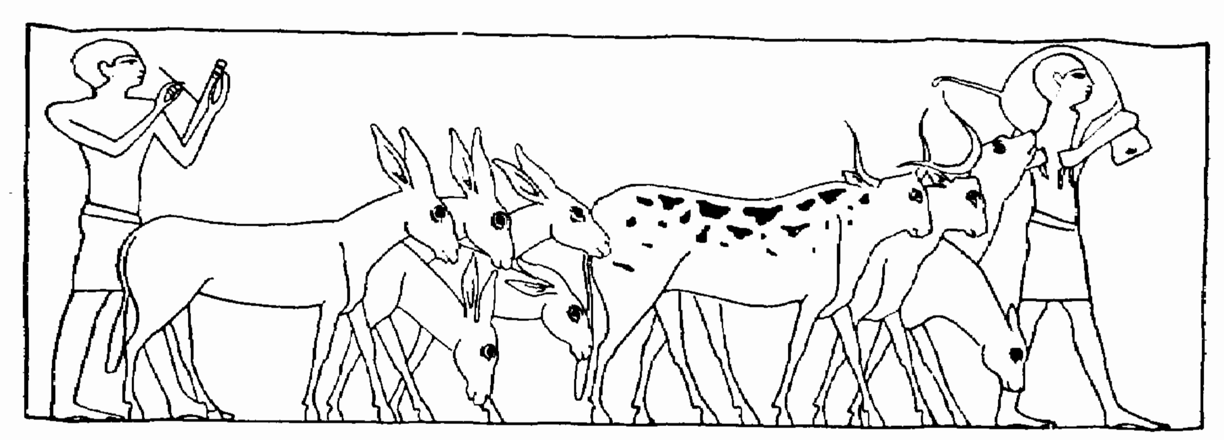


كَانَتْ وَظِيفَةُ الْكَاتِب ، وَظِيفَةً مُحْتَرَمَةً عِنْدَ قُدَمَاء الْمِصْرِيّينَ ، فَاهْتَمّ النّاسُ بِإِرْسَال أَبْنَائِهِمْ لِلْمَدْرَسَة ، لِيَتَعَلّمُوا الْقِرَاءَةَ وَالْكِتَابَةَ ، فَإِذَا تَعَلّمُوهَا ، أَخَذُوا شَهَادَةً ، هِيَ مِحْبَرَتَانِ وَخِزَانَةٌ لِلأَقْلَام[1] .

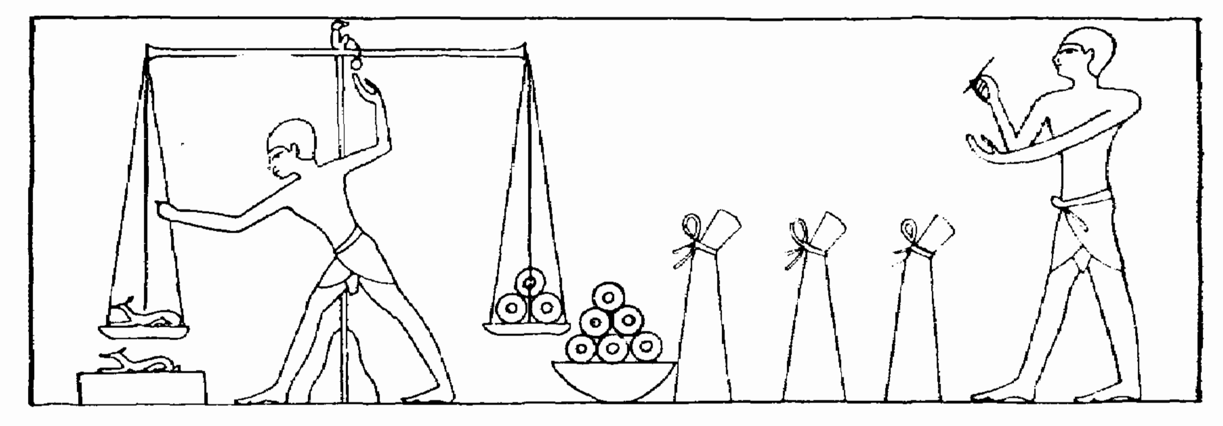


وَكَانَ كِبَارُ الزُّرَّاع يَتَسَابَقُونَ إِلَى اسْتِخْدَام الْكَاتِب بِأَجْر كَبِير ، لِيُسَجّلَ مِقْدَارَ مَا تُنْتِجُهُ أَرَاضِيهِمْ مِنْ مَحْصُولَات ، قَبْلَ تَخْزِينِهَا ، وَمِقْدَارَ مَا يَخْرُجُ مِنَ الْمَخَازِن لِلْبَيْع مِنْ هَذِه الْمَحْصُولَات .

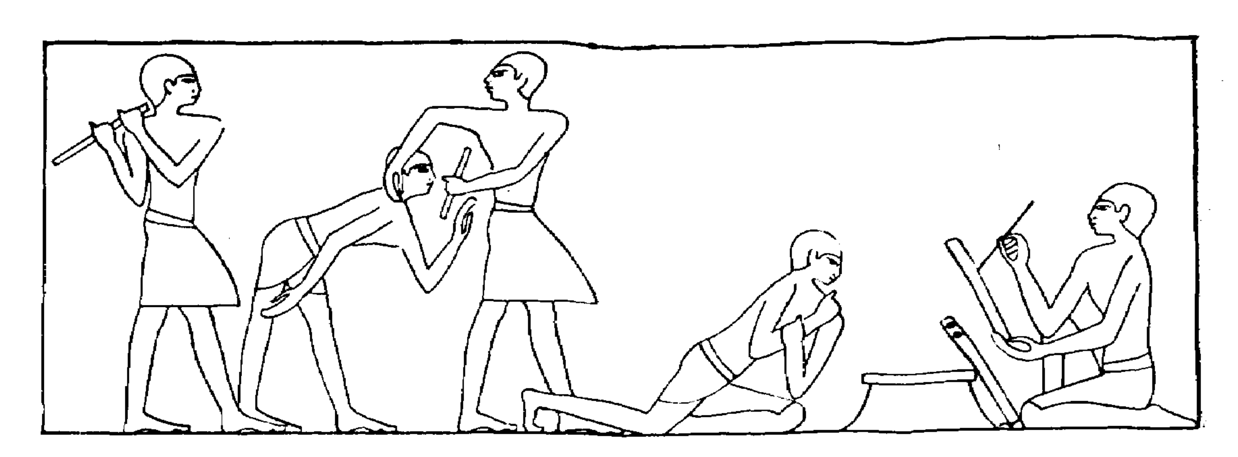
(١) كانت هذه الشهادة تجعل لحاملها الحق فى أن يعين كاتبا .



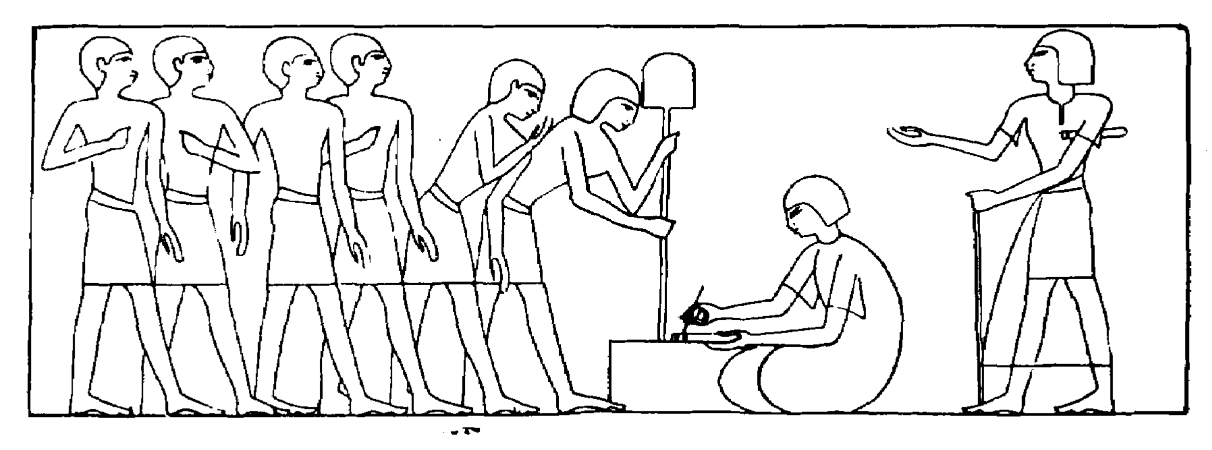
كَذَلِكَ كَانَ يُدَوِّنُ ، فِى سِجِلٍّ خَاصٍّ ، مَا يَمْلِكُهُ كِبَارُ الْفَلَّاحِينَ مِنْ مَاشِيَةٍ وَأَغْنَامٍ ، حَتَّى إِذَا كَثُرَ صِغَارُهَا ، أَوْ بَاعَ أَصْحَابُهَا بَعْضَهَا ، عَرَفُوا عَدَدَ مَا بِيعَ ، وَمَا بَقِىَ .



وَكَثِيرًا مَا كَانَ الْكَاتِبُ يَجِدُ عَمَلًا عِنْدَ كِبَارِ التُّجَّارِ ، يَسْتَخْدِمُونَهُ لِحِسَابِ مَا يَدْخُلُ مَحَلَّاتِهِمْ ، أَوْ يَخْرُجُ مِنْهَا ، مِنْ بَضَائِعَ وَمَالٍ ، فَيَعْرِفُونَ مِقْدَارَ مَا كَسَبُوا وَمَا خَسِرُوا .

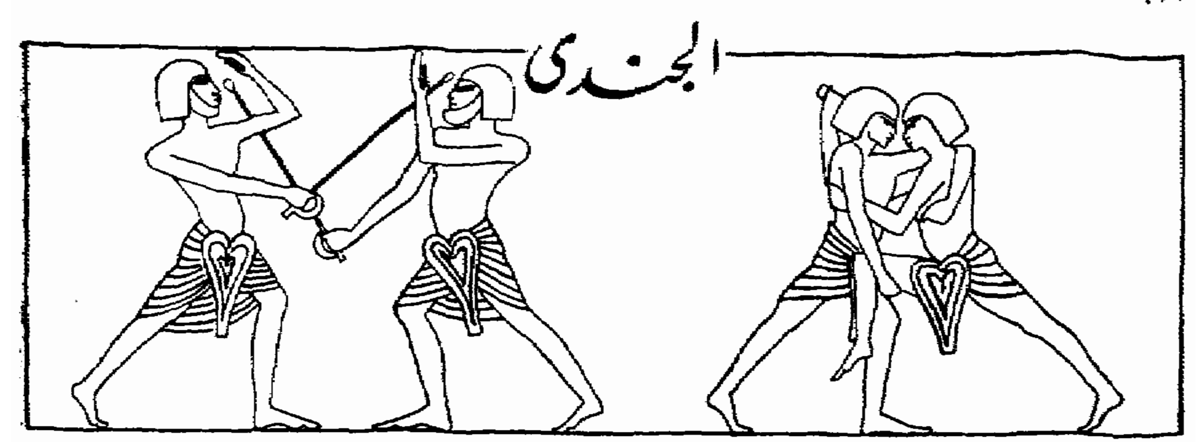


وَإِذَا أَرَادَ الْكَاتِبُ أَنْ يُوَظَّفَ فى الْحُكُومَة ، ذَهَبَ إلَى مَدْرَسَة أُخْرى لِيَتَعَلَّمَ الْهَنْدَسَةَ والحسَابَ ، فَإِنْ أَجَادَهَا ، عُيِّنَ فى إِحْدَى الْوَظَائف : كَأَنْ يَقُومَ بتَحْصيل الضَّرَائب من الأَهَالى ؛

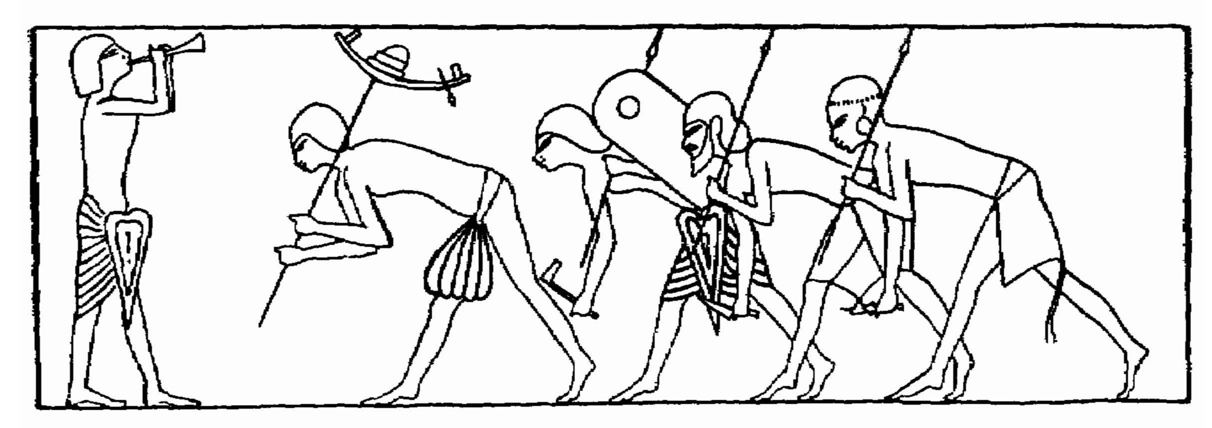


أَوْ يَخْتَارَ الشُّبَّانَ الصَّالحينَ للخِدْمَة فى الجَيْش وغَيْره .

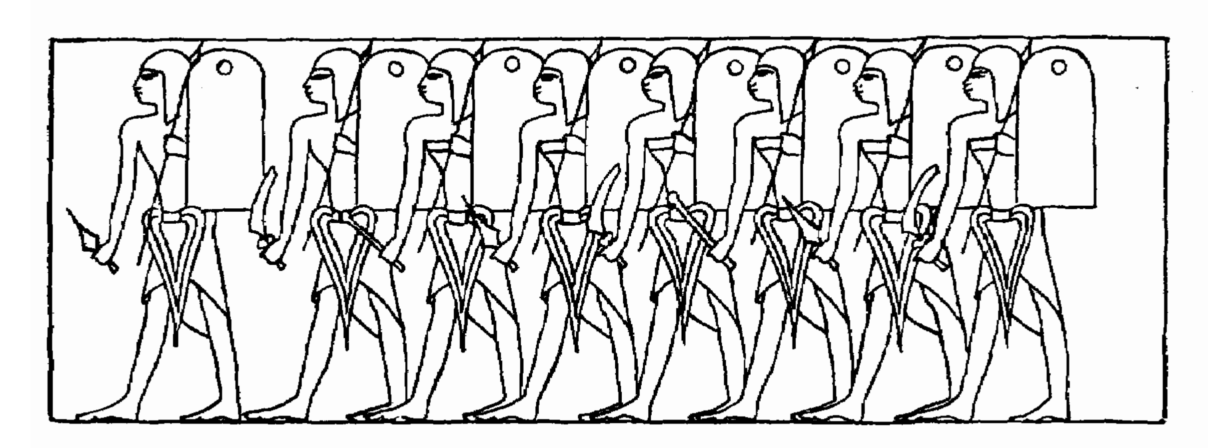
وَإِذَا كَانَ الْكَاتِبُ نَشيطاً ، رَقَّتْهُ الْحُكُومَةُ إلَى وَظيفَة أَعْلَى ، وَكَثيرًا مَا اخْتَارَ مُلُوكُ مصْرَ وُزَرَاءَهُمْ منَ الْكُتَّاب .



كَانَ الْجُنْدِىُّ الْمِصْرِىُّ الْقَدِيمُ مَعْرُوفًا بِالشَّجَاعَةِ ، وَكَانَ يَتَمَرَّنُ عَلَى الْقِتَالِ ، فِى أَيَّامِ السِّلْمِ ، فَيَتَعَلَّمُ الْمُصَارَعَةَ وَالْمُبَارَزَةَ ، حَتَّى إِذَا قَابَلَ عَدُوَّهُ فِى الْحَرْبِ ، اسْتَطَاعَ أَنْ يَتَغَلَّبَ عَلَيْهِ .



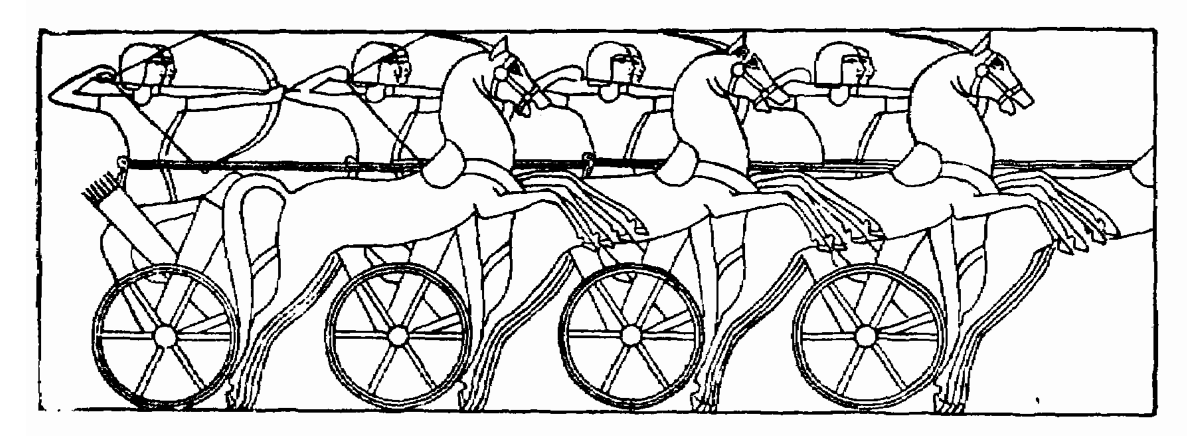
وَيَتَعَلَّمُ السَّيْرَ وَالْجَرْىَ الْمُنْتَظِمَ ، وَهُوَ يَحْمِلُ السِّلَاحَ وَالذَّخِيرَةَ ، حَتَّى يَعْتَادَ النِّظَامَ فِى مَيْدَانِ الْقِتَالِ ، وَالنِّظَامُ أَسَاسُ النَّجَاحِ ، وَلِهَذَا انْتَصَرَ الْمِصْرِيُّونَ عَلَى أَعْدَائِهِمْ فِى كَثِيرٍ مِنَ الْحُرُوبِ .



وَكَانَ الْجُنْدِىُّ ، بَعْدَ تَعْلِيمِه ، يَلْتَحِقُ بِفِرَقِ الْمُشَاةِ أَوِ الْفُرْسَانِ :

وَالْمُشَاةُ يَسِيرُونَ دَائِمًا فِى مُقَدَّمَةِ الْجَيْشِ ، حَامِلِينَ أَسْلِحَتَهُمْ :

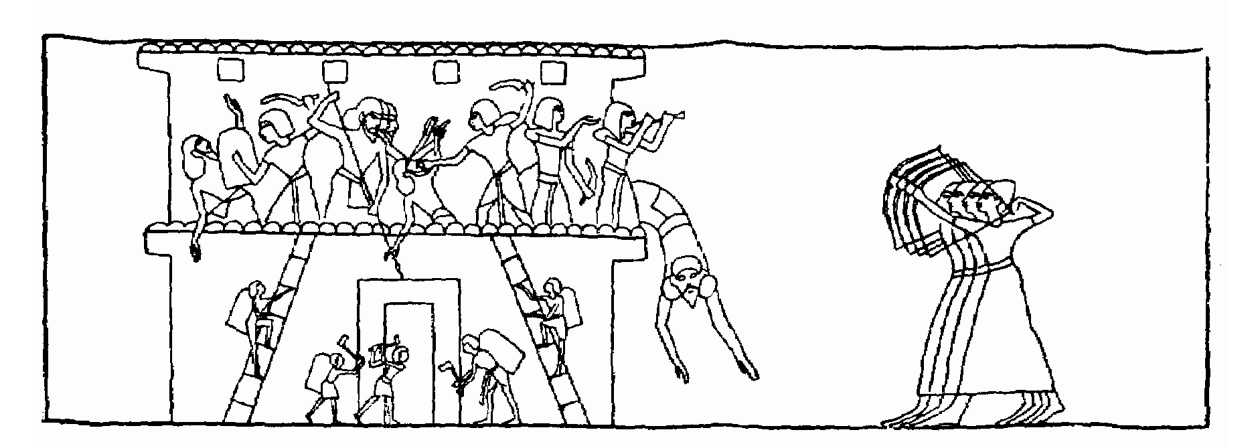
وَهِىَ رِمَاحٌ وَفُؤُوسٌ ، أَوْ أَقْوَاسٌ وَسِهَامٌ ، أَوْ حِرَابٌ وَدُرُوعٌ .



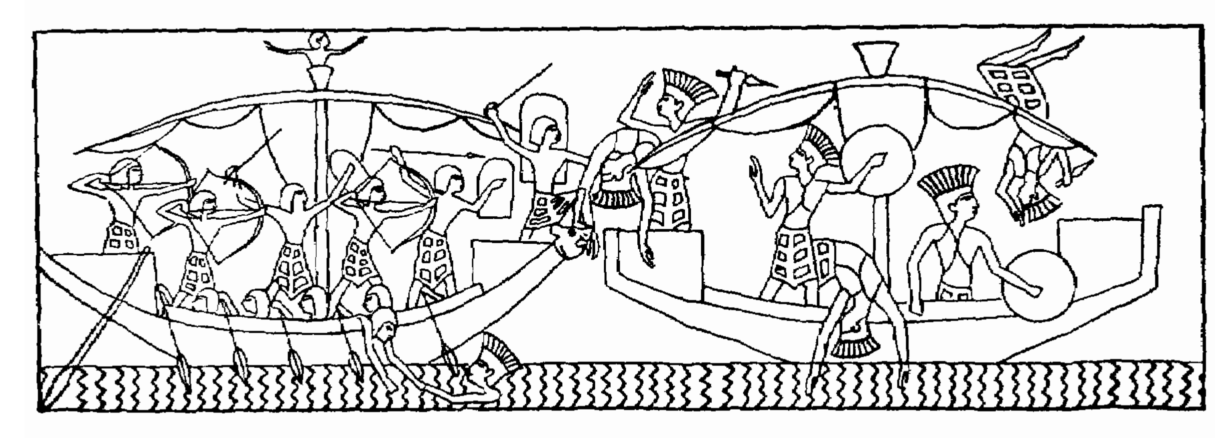
أَمَّا الْفُرْسَانُ فَيَرْكَبُونَ عَجَلَاتٍ حَرْبِيَّةً خَفِيفَةً ، يَجُرُّ كُلًّا مِنْهَا

حِصَانَانِ مُزَيَّنَانِ أَحْسَنَ زِينَةٍ ، يَسُوقُهُمَا جُنْدِىٌّ يَرْكَبُ بِجَانِبِ

الْفَارِسِ ، الَّذِى يُحَارِبُ بِالْقَوْسِ وَالسَّهْمِ ، أَوْ بِالْحَرْبَةِ ، أَوْ بِالسَّيْفِ .

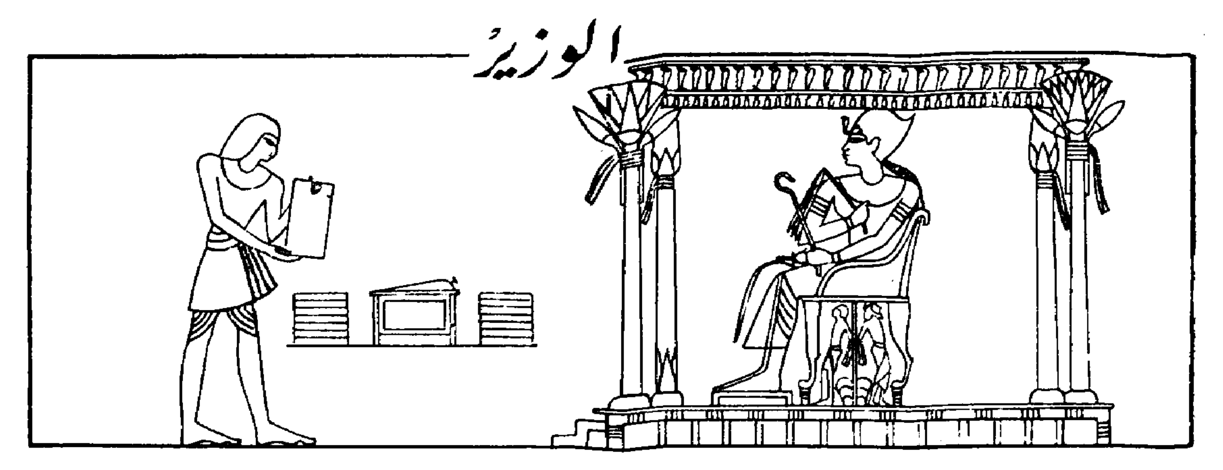


وَكَثِيراً مَا نَجَحَ الْجُنُودُ الْمِصْرِيُّونَ الْقُدَمَاءُ ، بِشَجَاعَتِهِمْ وَإِقْدَامِهِمْ ، فى مُهَاجَمَةِ الْقِلَاعِ ، وَهَدْمِ الْحُصُونِ ، وَقَتْلِ مَنْ فِيهَا مِنَ الْجُنُود وَأَخْذِ مَا فِيهَا مِنَ السلَاحِ والذَّخِيرَةِ ، وَفَتْحِ الْبِلَادِ الْمُجَاوِرَة

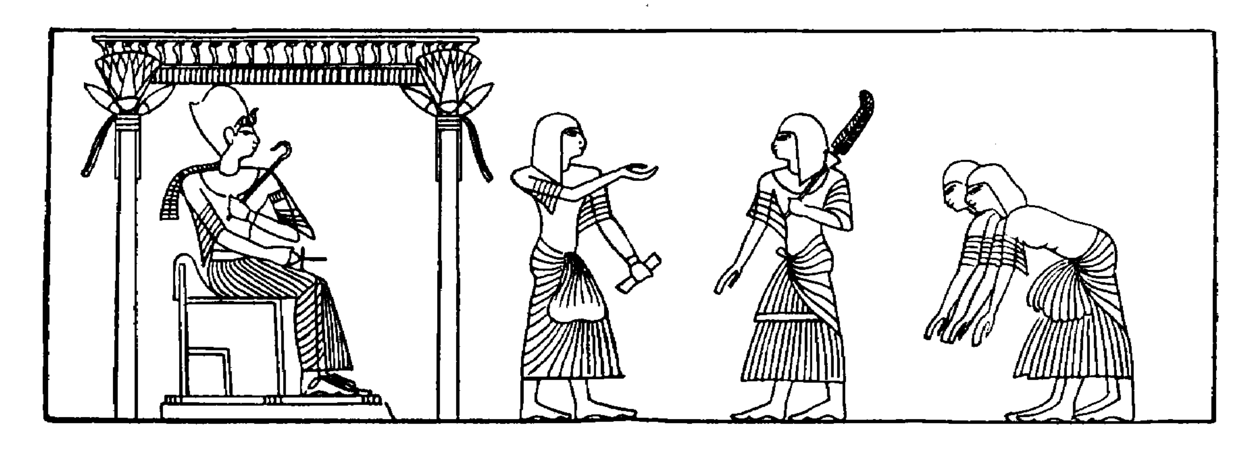


وَكَمَا حَارَبَ الْجُنُودُ الْمِصْرِيُّونَ عَلَى الْأَرْض ، كَانَتْ لَهُم مَوَاقِعُ بَحْرِيَّةٌ كَثِيرَةٌ ، اسْتَعْمَلُوا فِيهَا السُّفُنَ الْحَرْبِيَّةَ ، وَانْتَصَرُوا انْتِصَارَات عَظِيمَةً ، جَعَلَتْ جِيرَانَ مِصْرَ يَحْتَرِمُونَهَا ، وَيَخَافُونَ قُوَّتَهَا .

الوزير



كَانَ الْوَزِيرُ يُخْتَارُ ، فى الزَّمَنِ الْقَــدِيم ، مِنْ بَيْنِ رُؤَسَاء الْكَهَنَة والْكُتَّاب ، وَكَانَ مِنْ عَادَته أَنْ يُقَابِلَ الْمَلكَ كُلَّ صَبَاح ، ليَعْرِضَ عَلَيْه الْأُمُورَ الْمُهِمَّةَ ، وَيَعْرِفَ رَأْيَهُ فِيهَا .



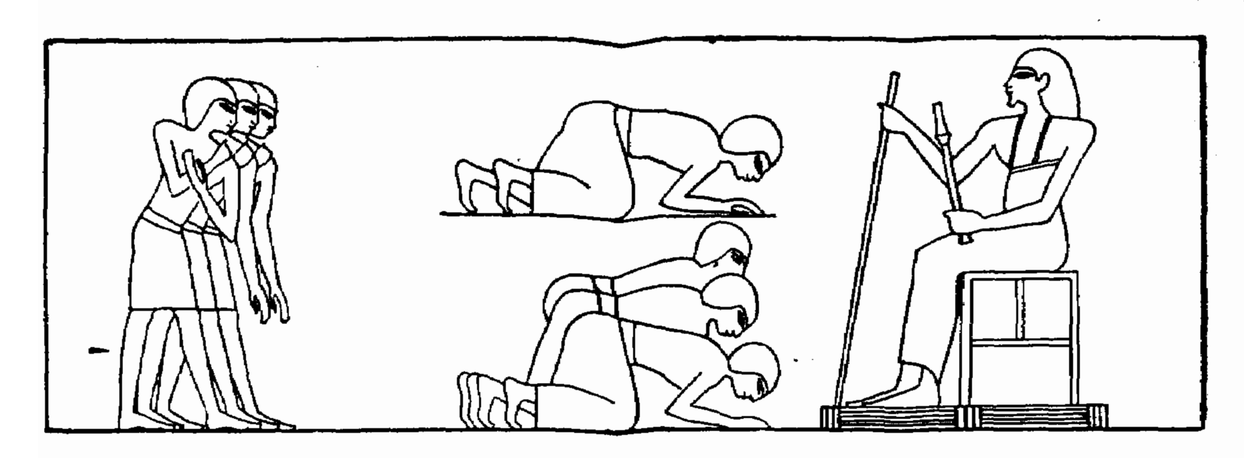
وَإِذَا زَارَ مصْرَ حُكَّامُ الْبِلَاد الْمُجَاوِرَة ، أَوْ كبَارُ مُوَظَّفِيهَا ، وَأَرَادُوا أَنْ يُقَابِلُوا الْمَلكَ ، اسْتَأْذَنُوا الْوَزِيرَ فى ذَلكَ ، فَإِنْ أَذنَ لَهُمْ ، صَحبَهُمْ إِلَى الْقَصْر ، وَقَدَّمَهُمْ بنَفْسه إِلَى الْمَلك



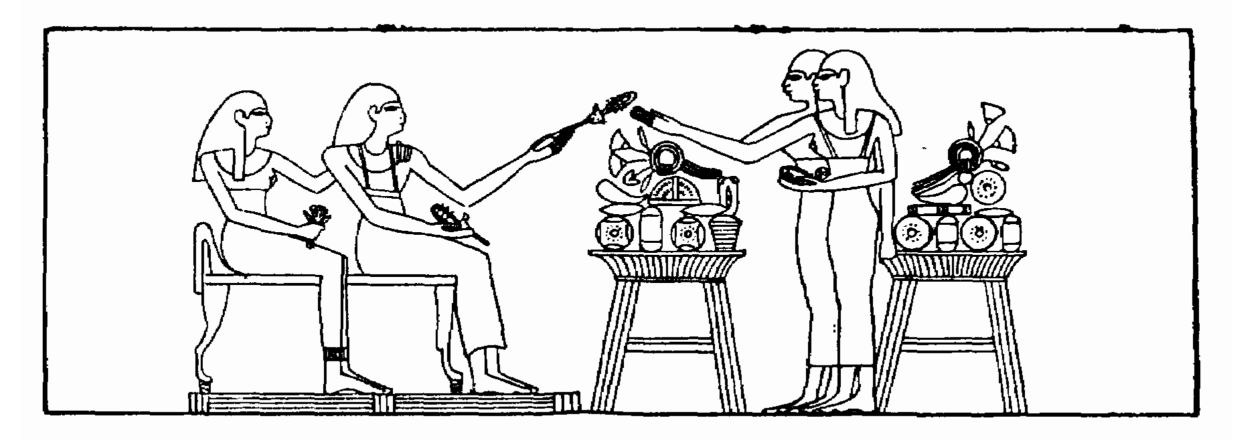
وَكَانَ الْوَزِيرُ يَذْهَبُ إِلَى الدِّيوَانِ ، فَيُقَابِلُهُ الْمُوَظَّفُونَ ، وَيَعْرِضُونَ عَلَيْهِ شُؤُونَ الدَّوْلَةِ الْمُخْتَلِفَةِ : مِنْ إِدَارَةٍ ، وَمَالِيَّةٍ ، وَزِرَاعَةٍ ، وَرَيٍّ ، وَتِجَارَةٍ ، وَصِنَاعَةٍ ، وَتَعْلِيمٍ ، وَقَضَاءٍ ، لِيُقَرِّرَ فِيهَا مَا يَرَاهُ .



وَكَثِيرًا مَا كَانَ الْوَزِيرُ يَخْرُجُ لِيَزُورَ أَمَاكِنَ الصِّنَاعَةِ ، وَيُشْرِفَ عَلَى الْعَمَلِ فِيهَا بِنَفْسِهِ ، وَيُشَجِّعَ الصُّنَّاعَ وَالْعُمَّالَ ، فَيَكْثُرَ بِذَلِكَ نَشَاطُهُمْ ، وَتَزِيدَ دِقَّتُهُمْ ، وَيُحْسِنُونَ مَا يَصْنَعُونَ .



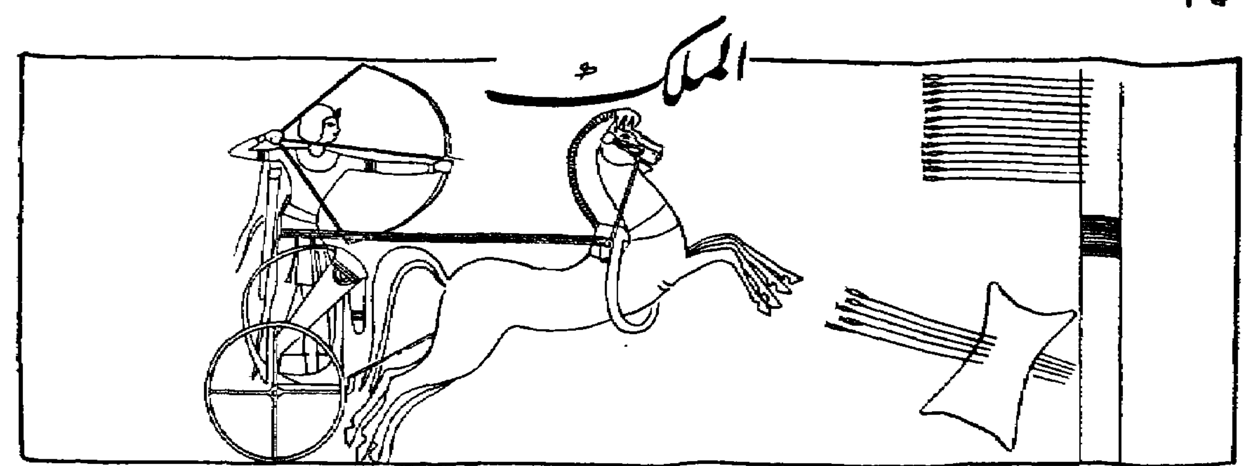
وَكَانَ الْوَزِيرُ رَئِيسَ الْقَضَاء : تُعْــرَضُ عَلَيْه الْقَضَايَا الْهَـامَّةَ ، فَيَدْرُسُهَا بِنَفْسِه ، ثُمَّ يُصْدِرُ حُكْمَهُ فِيهَـا ، مُرَاعِيًا فِى ذَلِكَ الْعَــدْلَ بَيْنَ النَّـاس ، فَيُنْصِفُ الْمَظْلُومَ ، وَيُعَاقِبُ الظَّالِمَ .



وَمَعَ كَثْرَة أَعْمَـال الْوَزِير ، كَانَ يَشْتَرِكُ فِى الْحَفَلَات والْوَلَائِم .

وَلَمَّـا اتَّسَعَتْ مِصْرُ ، صَارَ لَهَـا وَزِيرَان : أَحَدُهُمَا لِلشَّمَال ، وَالْآخَرُ لِلْجَنُوب ، وَكَانَ يَنُوبُ عَنِ الْمَـلِك ، إِذَا غَابَ

المَلِكُ

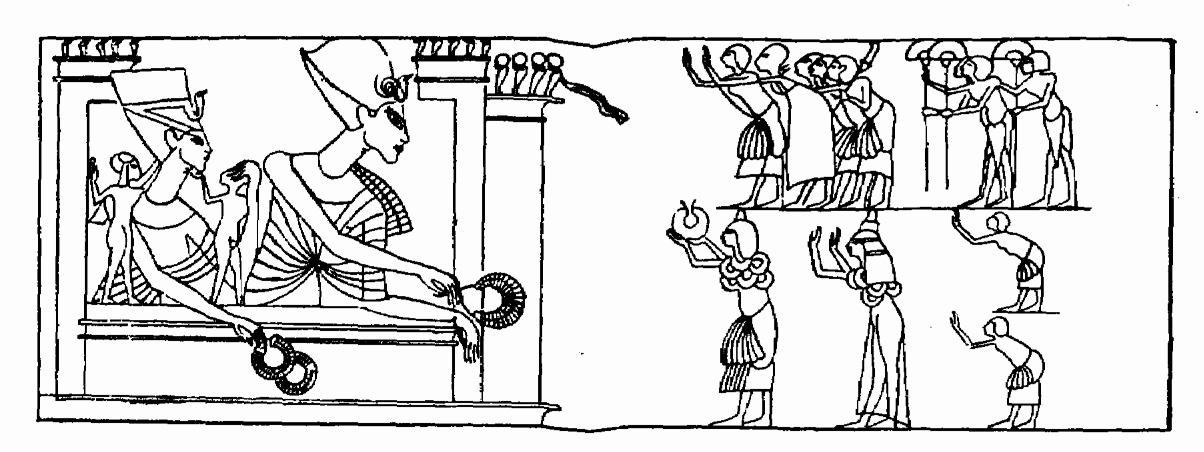


كَانَ الْأَمِيرُ الْمِصْرِىُّ الْقَدِيمُ يُرَبَّى فِى صِغَرِهِ أَحْسَنَ تَرْبِيَة ، وَيُمَرَّنَ عَلَى أَعْمَالِ الْحَرْبِ : كَاسْتِعْمَالِ الْأَقْوَاسِ وَالسِّهَامِ ؛ حَتَّى إِذَا صَارَ مَلِكًا اسْتَطَاعَ أَنْ يَقُودَ جُيُوشَهُ .

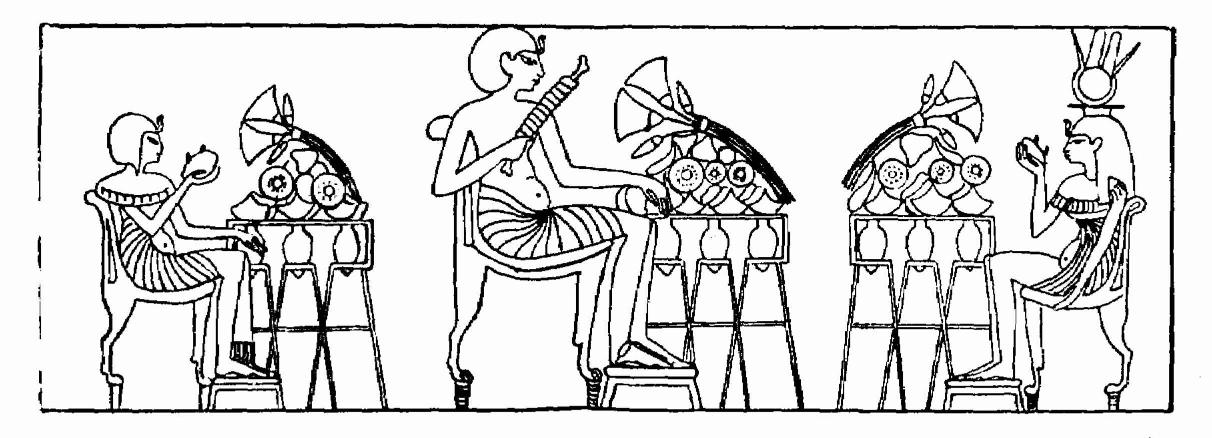


وَكَانَ قَبْلَ تَوْلِيَتِهِ ، يَذْهَبُ إِلَى الْمَعْبَدِ ، فَيُطَهِّرُهُ الْكَهَنَةُ بِالْمَاءِ وَالْعُطُورِ وَالْبُخُورِ ؛ ثُمَّ يَضَعُونَ عَلَى رَأْسِهِ التَّاجَ ؛ وَيُلَقِّبُونَهُ بِأَلْقَابٍ مُخْتَلِفَةٍ ، مِنْهَا : الصَّقْرُ ، وَسَيِّدُ الْأَرْضَيْنِ ؛ وَابْنُ الشَّمْسِ[1] .

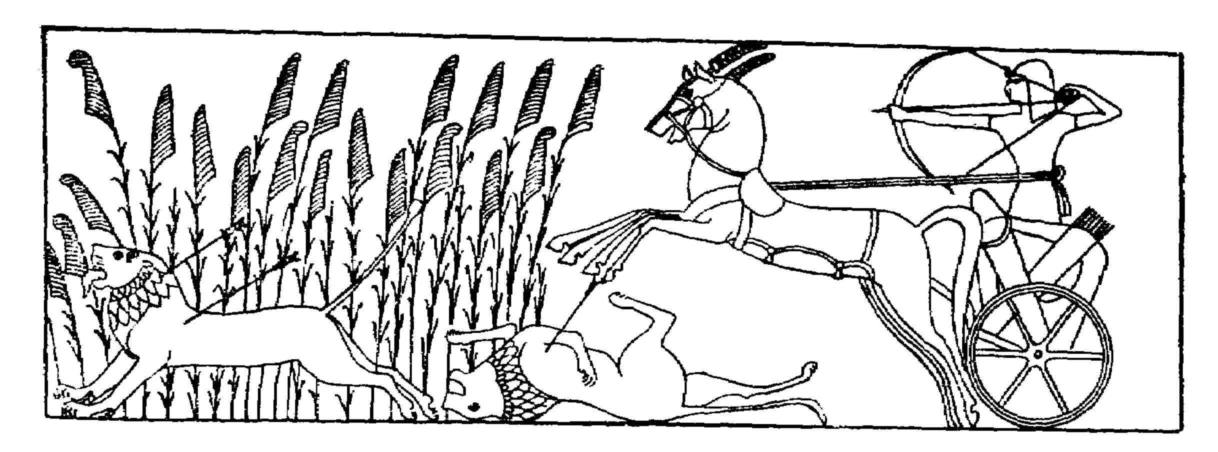
(١) كان المصريون يحبون ملكهم حبا كثيرا ، ويحترمونه احتراما تاما ، ويسمونه فرعون ، ومعنى هذه الكلمة "البيت العظيم"



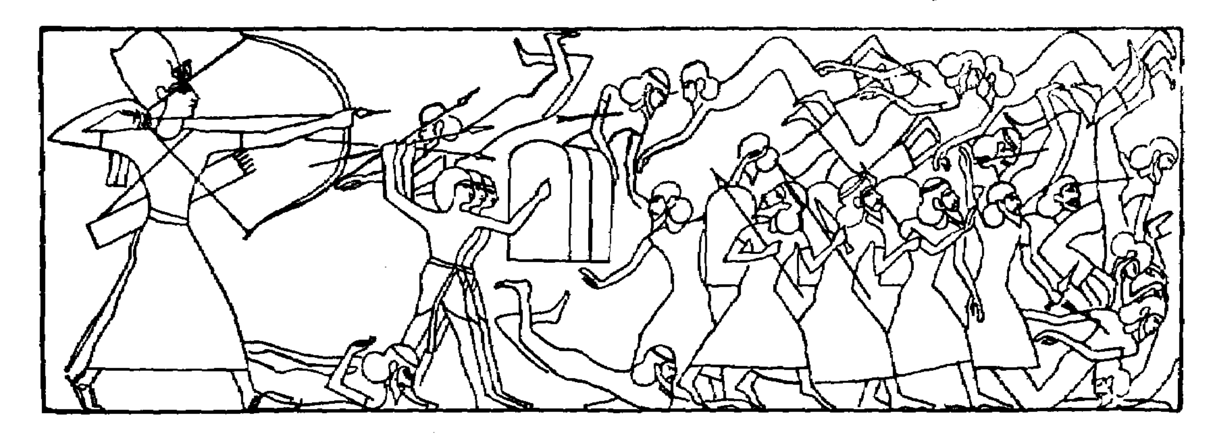
وَكَانَ المَلِكُ يَسْتَيْقِظُ مُبَكِّرًا ، فَيَقْرَأُ مَا يَصِلُهُ مِنَ الرَّسَائِل ، ثُمَّ يَنْتَقِلُ إِلَى غُرْفَة كَبِيرَة ، لِيُقَابِلَ الأُمَرَاءَ وَالحُكَّامَ ؛ وَعِنْدَ مَا يَرَوْنَهُ يَرْكَعُونَ ، فَيُكَلِّمُهُمْ ، أَوْ يُوَزِّعُ عَلَيْهِمُ الهَدَايَا .



وَإِذَا جَاءَ وَقْتُ الأَكْلِ ، انْتَقَلَ المَلِكُ إِلَى حُجْرَة أُخْرَى ؛ أُعِدَّ فِيهَا الطَّعَامُ عَلَى المَوَائِد ، فَيَأْكُلُ ، هُوَ وَالمَلِكَةُ وَالأُمَرَاءُ وَالأَمِيرَاتُ ؛ وَبَعْدَ مَا يَسْتَرِيحُ قَلِيلًا ، يَخْرُجُ لِلرِّيَاضَة .



وَكَانَ يَذْهَبُ فى عَرَبَته عَادَةً إلَى الصَّحْرَاء ، وَمَعَهُ الْأَقْوَاسُ وَالسِّهَامُ ، ليَصيدَ الحَيَوَانَات الْمُخْتَلفَة ، مثْلَ : الْأُسُود ، وَالْغزْلَان ، فَإِذَا عَادَ أَرْسَلَ بَعْضَ مَا صَادَهُ كَهَدَايَا للْأَصْدقَاء .

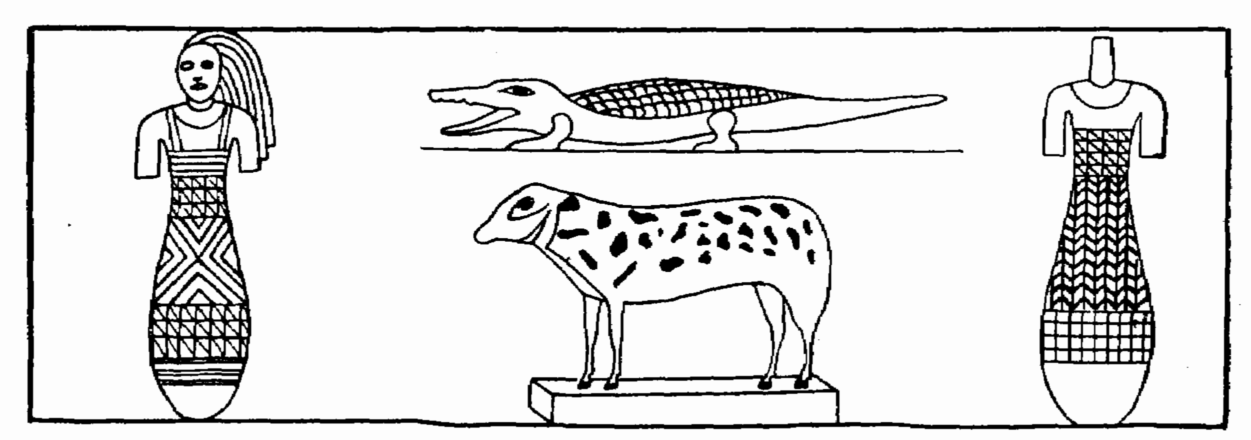


أَمَّا فى وَقْت الحَرْب ، فَكَانَ يَقُودُ الجَيْشَ بنَفْسه ، وَيَسيرُ مَعَ جُنُوده حَاملًا سلَاحَهُ ، فَيُقَاتلُ بهمَّة ونَشَاط ، وَيُشَجّعُ رجَالَهُ ، حَتَّى يَتمَّ لَهُمُ النَّصْرُ عَلَى الأَعْدَاء .

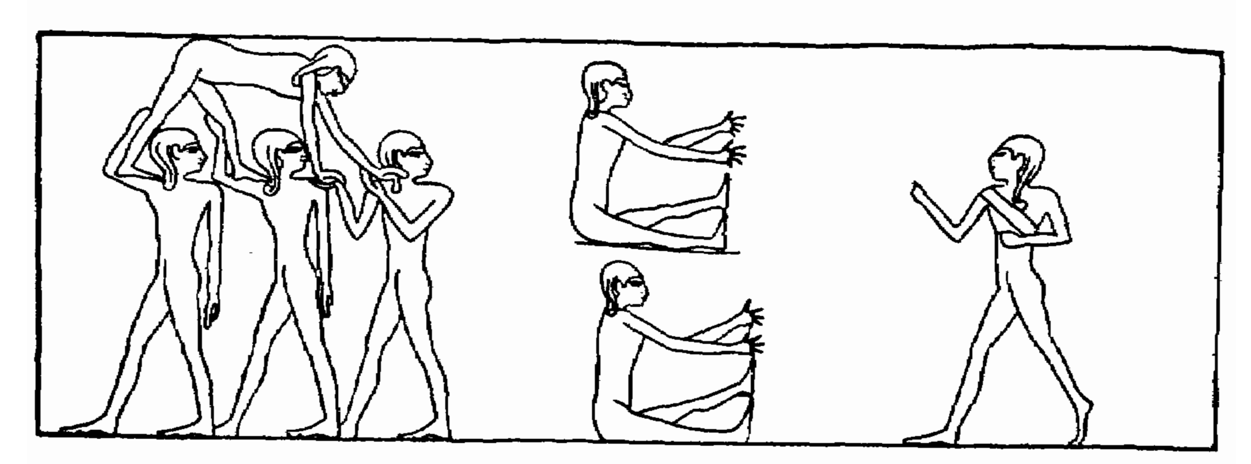
الأطفال



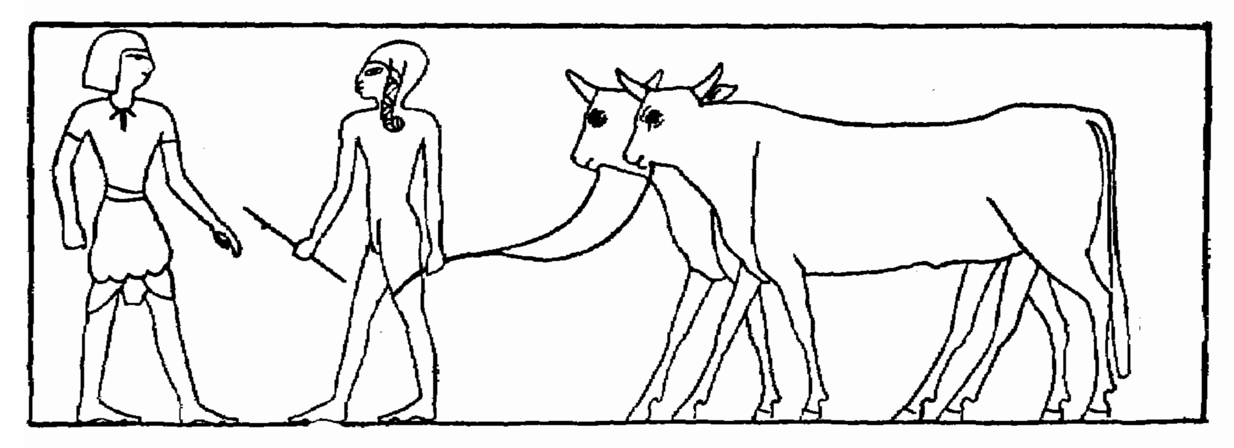
كَانَ الْمِصْرِىُّ الْقَدِيمُ يُعْنَى بِالطِّفْلِ عِنَايَةً كَبِيرَةً ، فَيَخْتَارُ لَهُ ، أَحْسَنَ الْأَسْمَاءِ : مِثْلَ قَوِىّ لِلْوَلَدِ ، وَجَمِيلَة لِلْبِنْت ؛ وَكَانَت الْأُمُّ تُرْضِعُ طِفْلَهَا ثَلَاثَ سِنِينَ حَتَّى يَنْمُوَ .



وَإِذَا كَبِرَ أَدْخَلَت السُّرُورَ عَلَى نَفْسِه ، وَاشْتَرَتْ لَهُ اللُّعَبَ الْمُخْتَلِفَةَ : كَتِمْسَاح يُحَرِّكُ فَمَهُ ، أَوْ خَرُوف يَمْشِى عَلَى أَرْبَع ، أَوْ قِرْد يَجُرُّ عَرَبَةً ، أَوْ عَرُوس مِنَ الْخَشَب



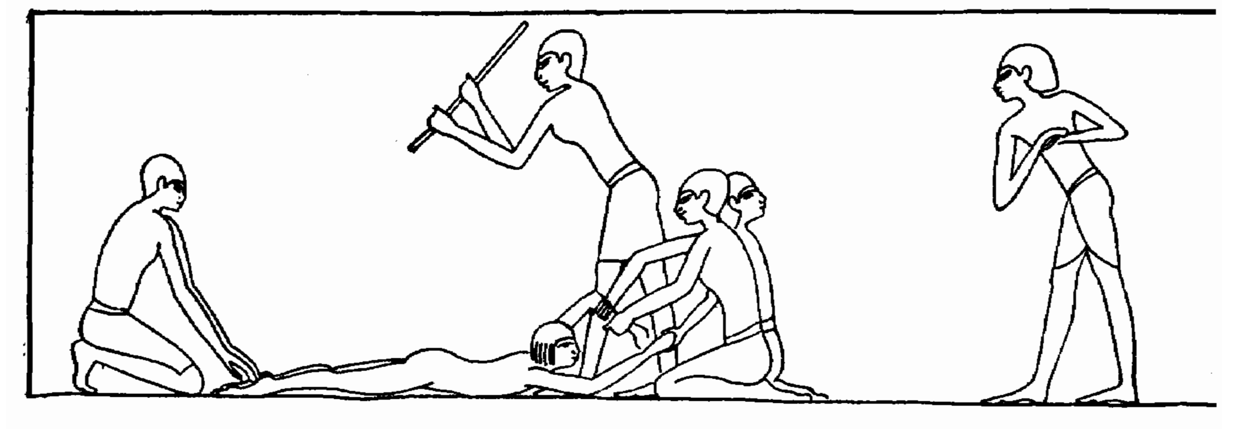
وَبَعْدَ أَنْ يَسِيرَ الطِّفْلُ عَلَى قَدَمَيْهِ ، تَسْمَحُ لَهُ أُمُّهُ بِالْخُرُوجِ مِنَ الْبَيْتِ ، لِيَلْعَبَ مَعَ إِخْوَتِهِ ، أَوْ أَصْدِقَائِهِ مِنْ أَبْنَاءِ الْجِيرَانِ ، أَلْعَابًا مُخْتَلِفَةً ، كَالَّتِي يَلْعَبُهَا أَطْفَالُنَا فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ .



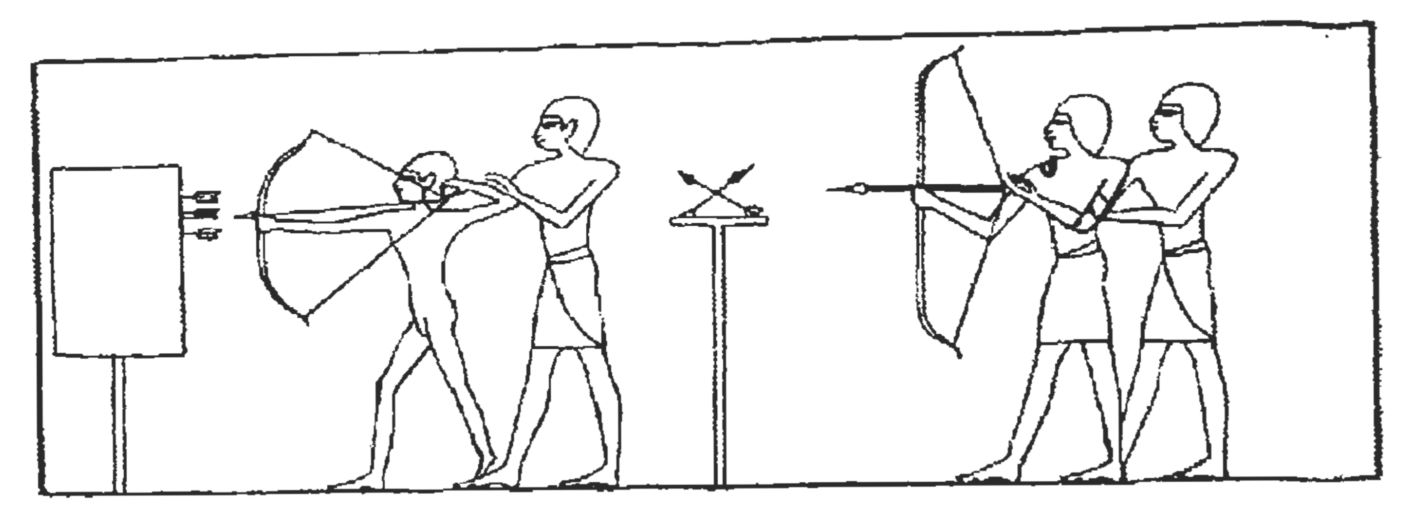
وَإِذَا أَصْبَحَ الطِّفْلُ صَبِيًّا ، قَامَ بِرَعْيِ الْمَاشِيَةِ ، أَوْ بِجَمْعِ الْحَطَبِ ، أَوْ ذَهَبَ إِلَى الْمَدْرَسَةِ ، لِيَتَعَلَّمَ الْقِرَاءَةَ وَالْكِتَابَةَ وَالْحِسَابَ ، وَيُصْبِحُ ، بَعْدَ قَلِيلٍ ، كَاتِبًا ، أَوْ كَاهِنًا ، أَوْ ضَابِطًا .

المدرسة

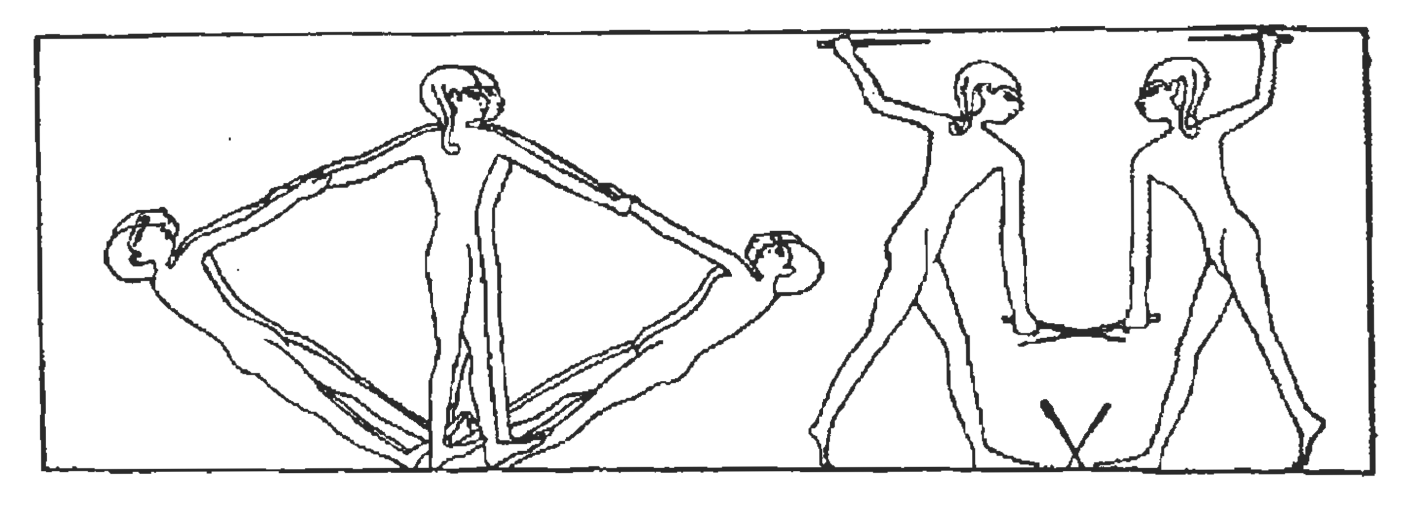
كَانَ الطّفلُ يَدْخُلُ الْمَدْرَسَةَ ، وَهوَ صَغِــيرٌ ، فَيَتَعَلَّمُ الْكِتَابَةَ
عَلَى أَلْوَاحٍ صَغِــيرَةٍ بَيْضَاءَ ، أَوْ عَلَى أَوْرَاقِ الْبَرْدِيّ ، وَإِذَا
أَخْطَأَ ، صَحَّحَ الْمُدَرِّسُ لَهُ الخَطَأَ ، كَمَا يَفْعَلُ الْمُدَرِّسُونَ الآنَ



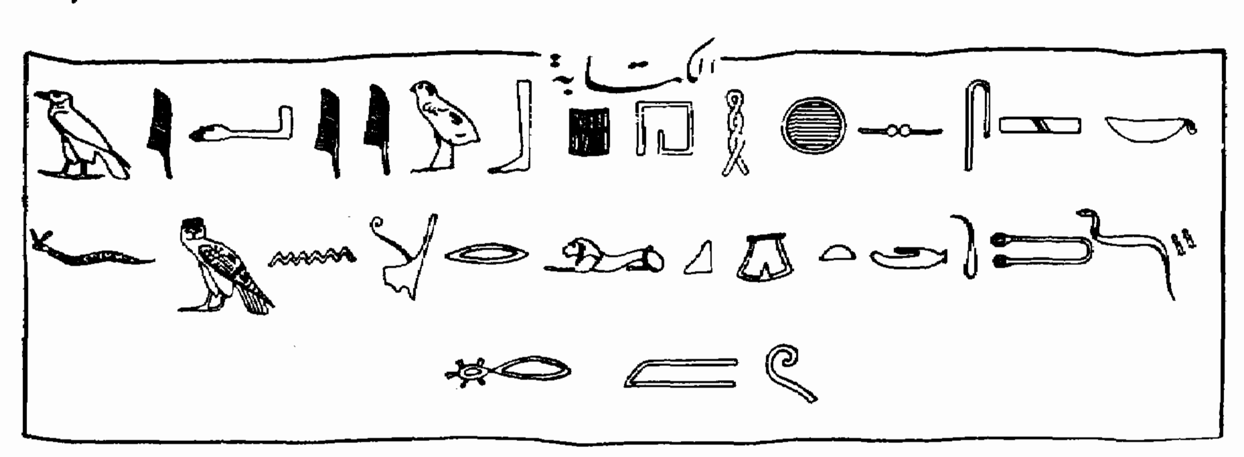
وَكَانَتِ الْمَدْرَسَةُ تَهْتَمُّ بِتَعْوِيدِ الطّفلِ الأَخْلاقَ الطَّيِّبَةَ ، وَخَاصَّةً
طَاعَةَ الْوَالِدَيْنِ ، فَإِنْ أَسَاءَ أَدَبَهُ ، أَوْ أَهْمَــلَ دُرُوسَــهُ
ضَرَبَهُ الْمُدَرِّسُ بِالْعَصَا عَلَى ظَهْرِهِ ، أَوْ حَبَسَهُ عِدَّةَ أَيَّامٍ



وَكَانَ التِّلْمِيذُ يَكْتَفِى بِتَعَلُّمِ الْقِرَاءَةِ وَالْكِتَابَةِ وَالْحِسَابِ ، إِنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ كَاتِبًا ، وَيَلْتَحِقُ بِالْمَدْرَسَةِ الْحَرْبِيَّةِ ، إِنْ رَغِبَ أَنْ يَكُونَ ضَابِطًا ، وَيَدْخُلُ الْمَعْبَدَ ، إِنْ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ كَاهِنًا .



وَكَانَتِ الْمَدْرَسَةُ تَفْتَحُ أَبْوَابَهَا فِى الصَّبَاحِ الْبَاكِرِ ، وَتَنْتَهِى الدِّرَاسَةُ فِيهَا ، بَعْدَ الظُّهْرِ بِقَلِيلٍ ، وَإِذَا جَاءَ فَصْلُ الصَّيْفِ تَعَطَّلَتِ الدُّرُوسُ ، وَقَضَى التَّلَامِيذُ وَقْتَهُمْ فِى الرِّيَاضَةِ وَاللَّعِبِ .



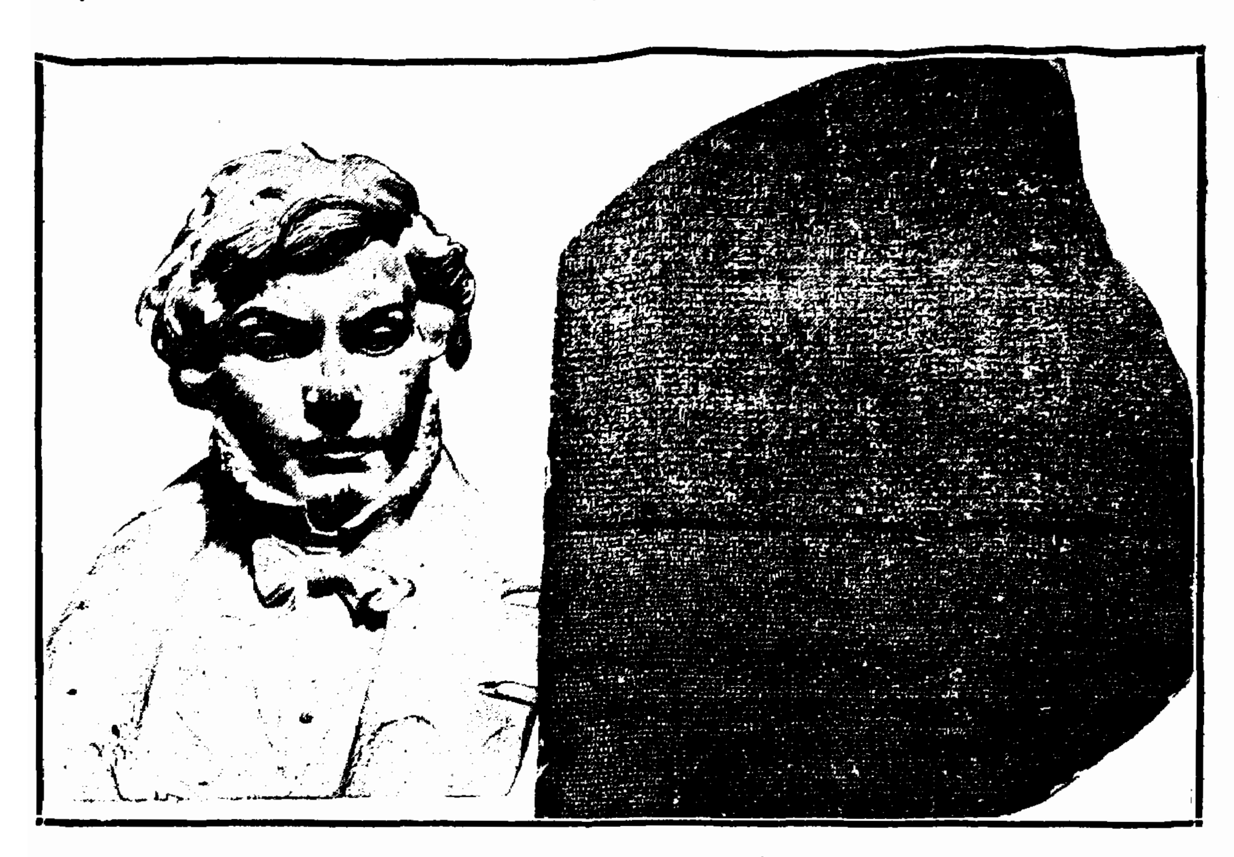
كَانَ الْمِصْرِيُّونَ أَوَّلَ مَنْ عَرَفُوا الْكِتَابَةَ ، وَعَبَّرُوا عن الشَّيْء بِرَسْمِه : فَرَمَزُوا للطَّيْر بِصُورَتِه ، وللْفَرَح بِآلَة مُوسِيقِيَّة ، وَمِنْ هَـذِه الصُّوَر كَوَّنُوا حُرُوفَهُمْ الْهِجَائِيَّةَ ، وَسَمَّوْهَا الْهِيرُوغْلِيفِيَّةَ[1] .

وَتُكْتَبُ هَـذِه الْحُرُوف مِنَ الْيَمِين ، كَالْحُرُوف الْعَرَبِيَّة ، أَوْ مِنَ الْيَسَار ، كَالْحُرُوف الإفْرِنْجِيَّة ، أَوْ مِنَ أَعْلَى ، كَالْحُرُوف الصِّينِيَّة ، وَتُنْقَش عَادَةً عَلَى الْمَبَانِي ، أَوْ الْخَشَب ، أَوْ الْفَخَّار .

(١) الحروف المقدسة .

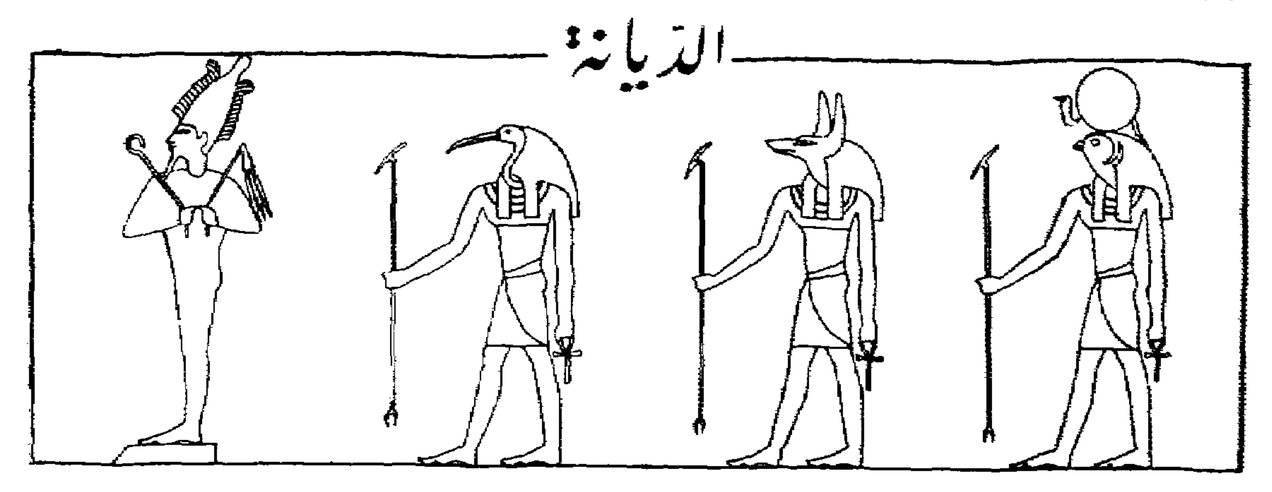
وَلَمَّا كَانَ هَـــذَا الخَطُّ يَحْتَاجُ إِلَى زَمَن لِكِتَابَتِه ، اخْتَصَرَهُ المِصْرِيُّونَ ، وَأَوْجَدُوا نَوْعاً آخَرَ أَبْسَطَ مِنْه : يُكْتَبُ مِن اليَمِين ، أَوْ مِنْ أَعْلَى ، وَبِه كَتَبُوا الرَّسَائِلَ عَلَى الــبَرْدِيّ .

وَبَعْــدَ مُدَّة مِن الزَّمَن ، رَأَى الكُتَّابُ أَنْ يُسَهِّــلُوا الكِتَابَةَ ، فَأَزَالُوا مِنْهَا جَمِيعَ الصُّــوَر ، وَأَوْجَدُوا نَوْعاً ثَالِثاً مِنَ الخَـــطّ ، يُكْتَبُ دَائِماً مِنَ اليَمِين إِلَى الشِّمَال .



بَقِيَتْ هَذه الْكِتَابَةُ مَجْهُولَةً ، لَا يُمْكِنُ قِرَاءَتُهَا ، زَمَنًا طَوِيلًا ، فَلَمَّا عَثَرَ أَحَدُ الفرنسيِّينَ عَلَى حَجَر ، فِي رَشِيدَ ، عَلَيْه أَنْوَاعٌ مِنَ الْكِتَابَة ، منْهَا الْهِيرُوغْلِيفيَّةُ ، أَمْكَنَ فَكُّ هَــذه الرُّمُوز ؛ إذ اسْتَطَاعَ عَالِمٌ فَرَنْسيٌّ ، اسْمُهُ شَمْپِلْيُونُ ، أَنْ يَقْــرَأَ مَا عَلَى الْحَجَر وَيَفْهَمَهُ ، ثُمَّ تَمَــكَّنَ الْعُلَمَــاءُ مِنْ قِرَاءَة النُّقُوش الْمَوْجُودَة فِي الْمَعَابِد وَالْمَقَابِر ، وَمنْهَا عَرَفُوا تَارِيخَ مِصْرَ الْقَدِيمِ .

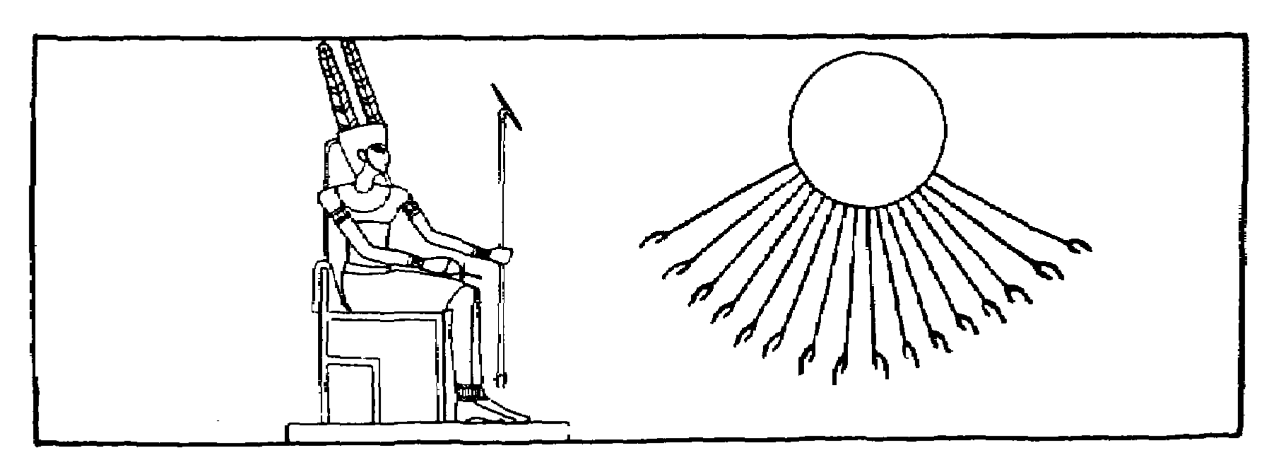
الدِّيانَة



اعْتَقَدَ الْمِصْرِىُّ الْقَدِيمُ فى وُجُود إلَه ، يَظْهَرُ كَحَيَوَان أَوْ طَيْر ،

لِذَلِكَ عَبَدَ الْحَيَوَانَ أَو الطَّيْرَ ، الَّذِى يَكْثُرُ فى بَلَدِه ،

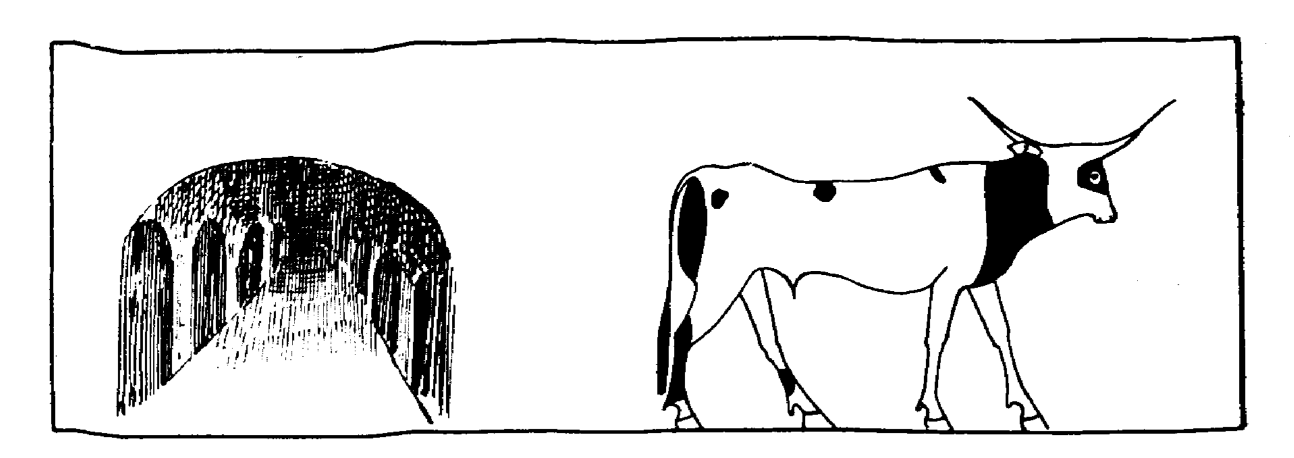
ثُمَّ رَمَزَ لَهُ بِإنْسَان لَهُ رَأْسُ هَذَا الْحَيَوَان أَو الطَّيْر .



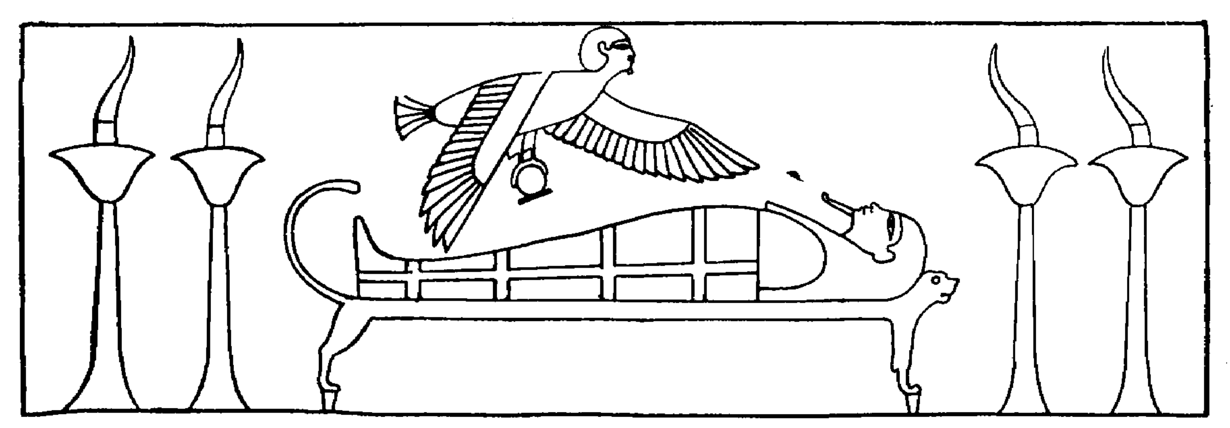
وَعَبَدَ مُعْظَمُ الْمِصْرِيِّينَ الشَّمْسَ ، لأَنَّهُمْ وَجَدُوهَا تَمْلأُ الدُّنْيَا نُورًا

وَدِفْئًا ، وَتُسَاعِدُ الْمَخْلُوقَات عَلَى الْحَيَاة ، وَرَمَزُوا لَهَا بِقُرْص

تَتَدَلَّى مِنْهُ الأَشِعَّةُ ، أَوْ بِإنْسَان يَلْبَسُ تَاجًا عَلَيْه رِيشَتَان .



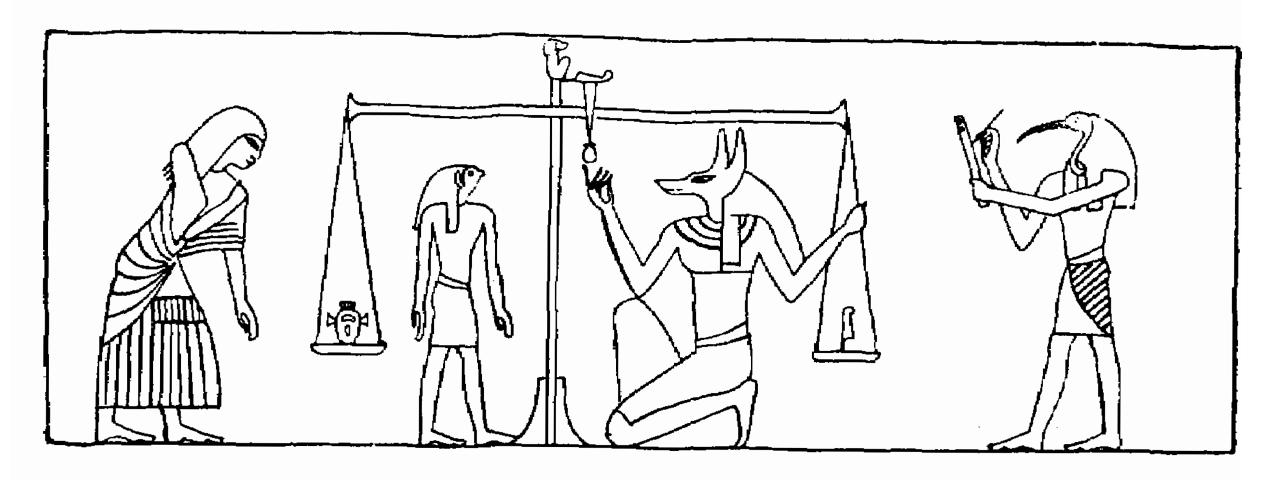
وَلَمَّا انْحَطَّ الْمِصْرِيُّونَ ، عَادُوا إِلَى عِبَادَةِ الْحَيَوَانِ ، وَخَاصَّةً : عِجْلٍ أَبْيَضِ اللَّوْنِ ، بِهِ عَلَامَاتٌ سَوْدَاءُ[1]، سَمَّوْهُ الْعِجْلَ أَبِيسَ ، وَأَقَامُوا الْمَعَابِدَ ، لِيَعْبُدُوهُ فِيهَا ، وَبَنَوْا الْمَقَابِرَ ، لِيَدْفِنُوهُ بِهَا[2].



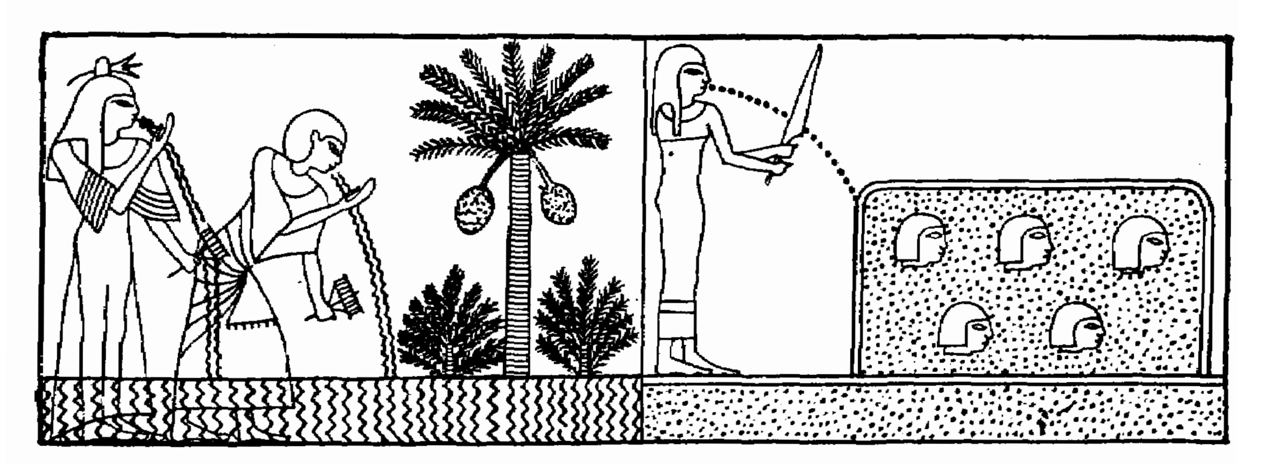
وَاعْتَقَدَ الْمِصْرِيُّ أَنَّ الرُّوحَ تَعُودُ إِلَى الْجَسَدِ بَعْدَ الدَّفْنِ ، وَتَفْرَحُ إِذَا وَجَدَتْهُ سَلِيمًا ، وَمَعَهُ مَا تَتَمَتَّعُ بِهِ ، وَهُوَ حَيٌّ لِذَلِكَ حَنَّطَ الْجُثَّةَ ، وَوَضَعَ مَعَهَا الْأَثَاثَ وَالطَّعَامَ وَالشَّرَابَ

(١) ويقال إنه كان أسود اللون به علامات بيضاء .

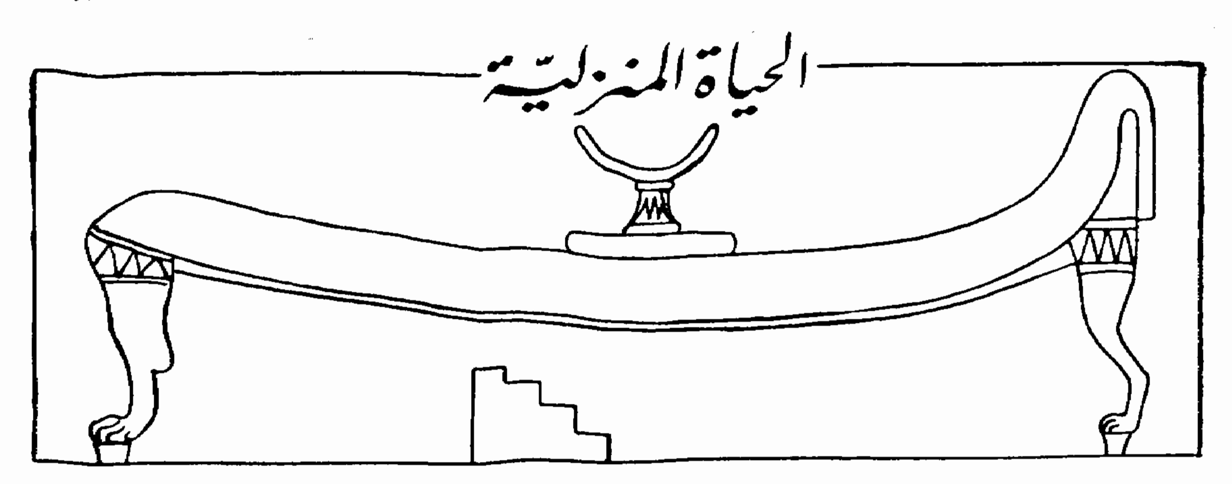
(٢) وما زالت هذه المقابر بجهة سقارة ، وتسمى "السرابيوم"



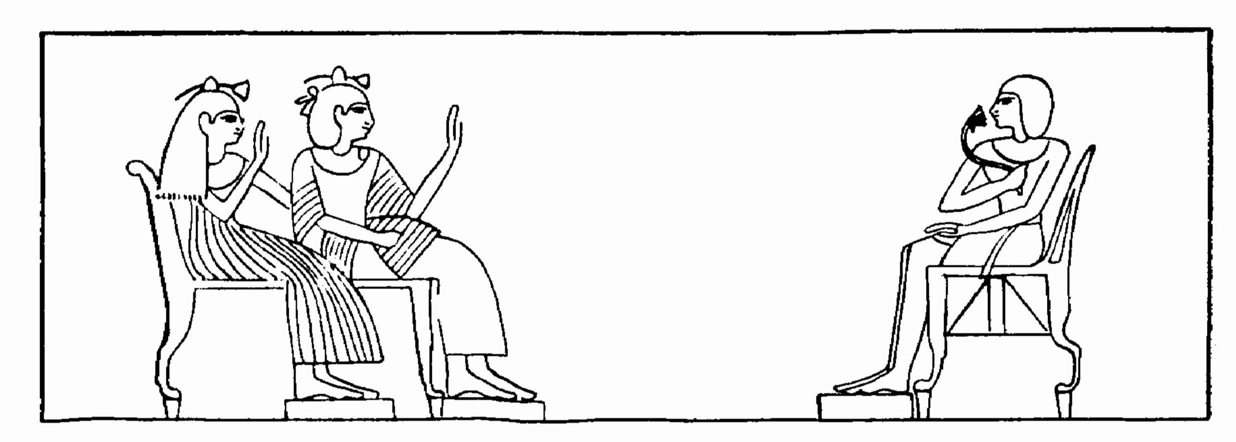
وَاعْتَقَـدَ الْمِصْرِىُّ أَنَّهُ سَيُحَاسَبُ عَلَى أَعْمَالِهِ ، بَعْدَ دَفْنِهِ ، فَيُوضَعُ قَلْبُهُ وَرِيشَـةٌ فِى كَفَّتَىْ مِيزَانٍ ، فَإِنْ ثَقُلَ قَلْبُهُ فَهُوَ مُذْنِبٌ ، وَإِنْ تَسَاوَتِ الْكَفَّتَانِ ، فَهُوَ مِنَ الصَّالِحِينَ .



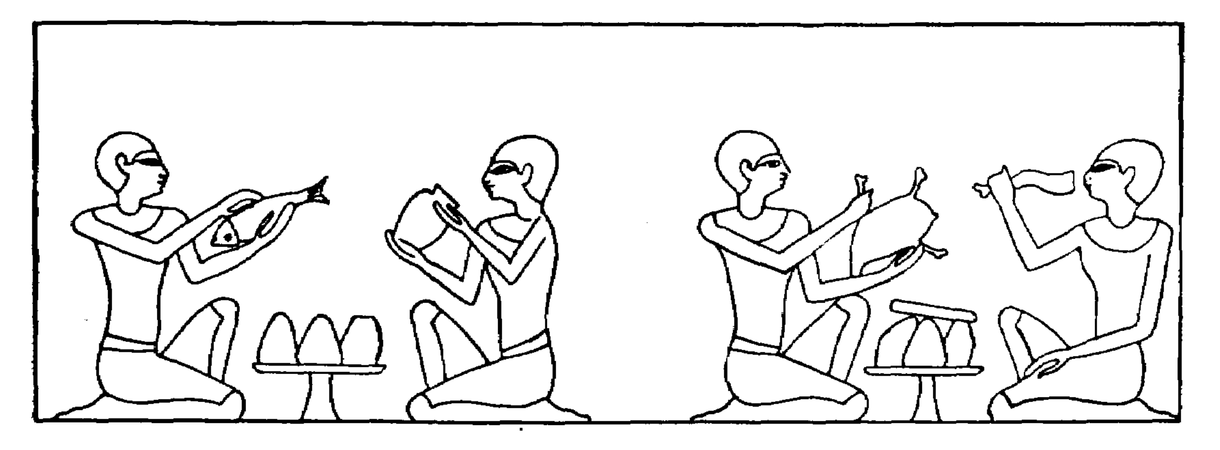
فَأَمَّا الْمُذْنِبُ فَيُقَطَّعُ وَيُرْمَى فِى نَارٍ حَامِيَـةٍ ، لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ، وَأَمَّا الصَّالِحُ ، فَيَـدْخُلُ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ، فِيهَا نَخِيلٌ وَأَعْنَابٌ ، يَعِيشُ فِيهَا عِيشَةً رَاضِيَةً .



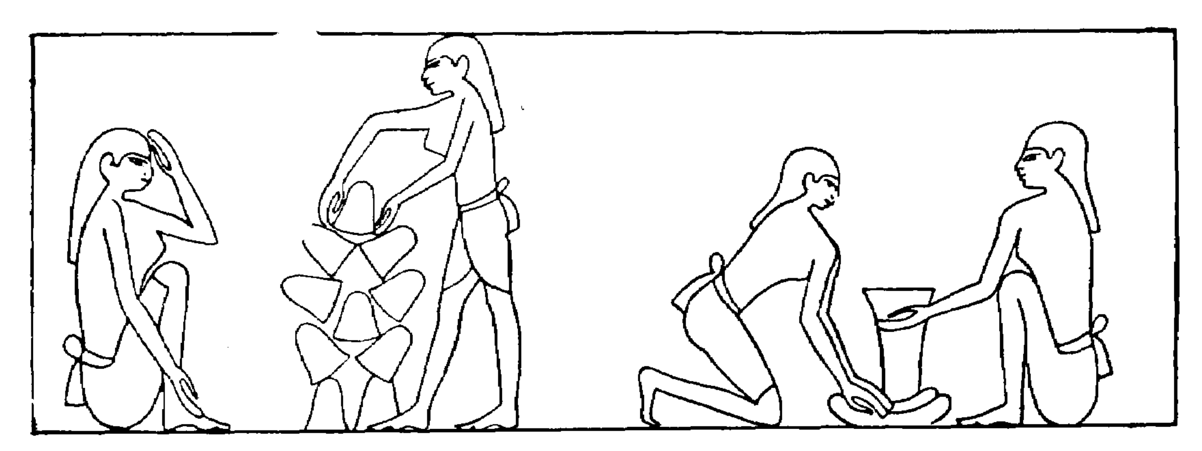
كَانَتْ حيَاةُ الْمِصْرى الْقَدِيم فى مَنْزِله بَسِيطَةً ، فَهُوَ يَكْتَفِى فى حُجْـــرَة نَوْمه بسَرِير منَ الْخَشَب أَو الْأَبَنُوس ، عَلَيْه فرَاشٌ منَ التّيــل ، وَمَخَدَةٌ منَ الْخَشَب أَو العَـاج .



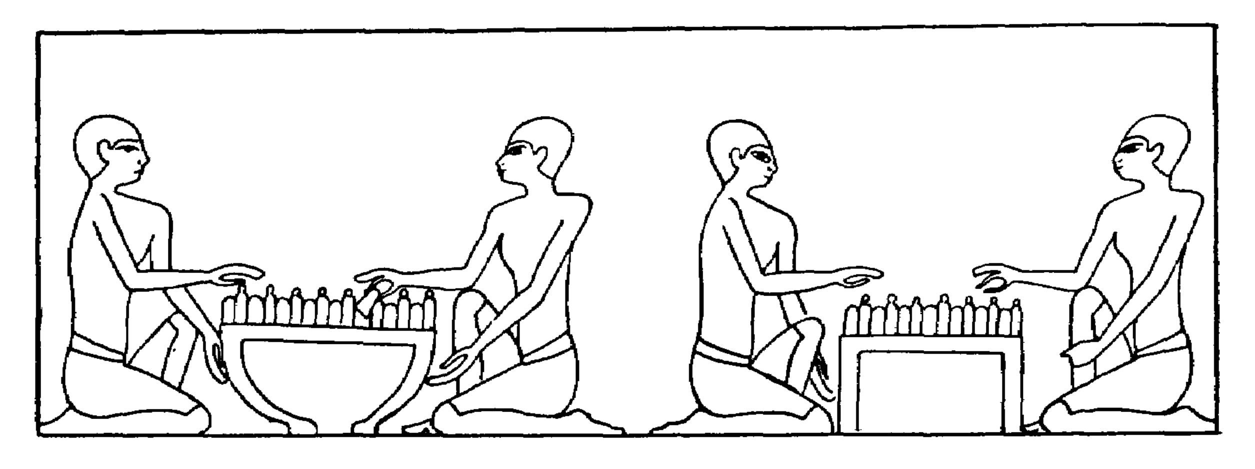
وَيَجْلسُ فى حُجْرَة الطَّعَام أَوْ الاسْتقْبَال ، عَلَى الْحَصير أَو الْوَسَائد ، أَوْ عَلَى كَرَاسى منَ الْخَشَب أَو الْأَبَنُوس ، مَقَاعدُهَا مِنَ الجِـــلْد ، أَو الْبَرْدىّ الْمَضْفُور .



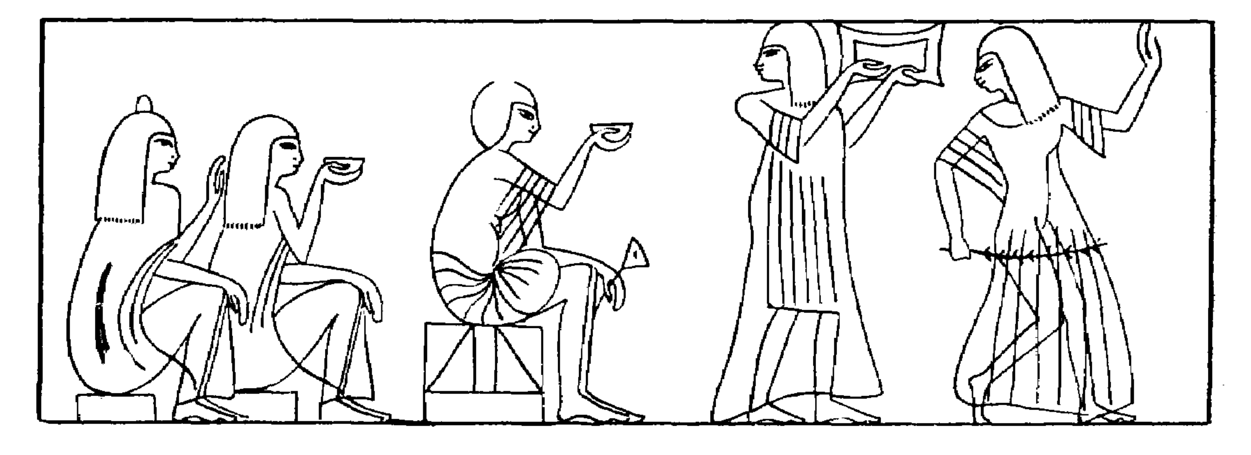
وَكَانَ الْمِصْرِىُّ يَضَعُ الطَّعَامَ عَلَى الْأَرْض ، أَوْ عَلَى مَوَائِدَ مُسْتَدِيرَة ، وَيَتَنَاوَلُهُ عَادَةً بِيَدِه ، أَوْ بِمَلَاعِقَ مِنَ الْخَشَب أَو الْعَاج ، وَيَشْرَبُ فِى أَكْوَاب مِنَ الْمَعْدِن أَو الْفَخَّار .



وَكَانَت الْمَرْأَةُ هِىَ الَّتِى تَقُومُ بِإِعْدَاد الْخُبْز فِى الْمَنْزِل : فَتَطْحَنُ الدَّقِيقَ ، وَتَعْجِنُهُ ، ثُمَّ تَخْبِزُهُ فِى الْفُرْن ، وَتُلَاحِظُهُ حَتَّى يَنْضَجَ ، وَيُصْبِحَ صَالِحًا لِلْأَكْل .

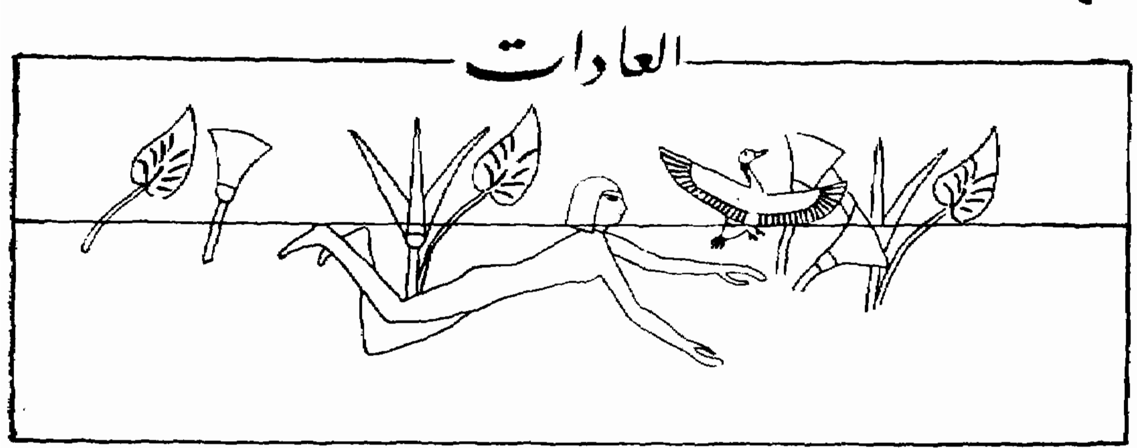


وَكَانَ الْمِصْرِىُّ الْقَدِيمُ لَا يَخْرُجُ إِلَّا لِلْعَمَلِ أَوِ الْعِبَادَةِ أَوِ الرِّيَاضَةِ ، لِذَلِكَ اهْتَمَّ بِجَعْلِ الْحَيَاةِ فِى مَنْزِلِهِ سَارَّةً . فَكَانَ يَتَسَلَّى هُوَ وَأَفْرَادُ أُسْرَتِهِ ، بِالْأَلْعَابِ الْمُخْتَلِفَةِ .

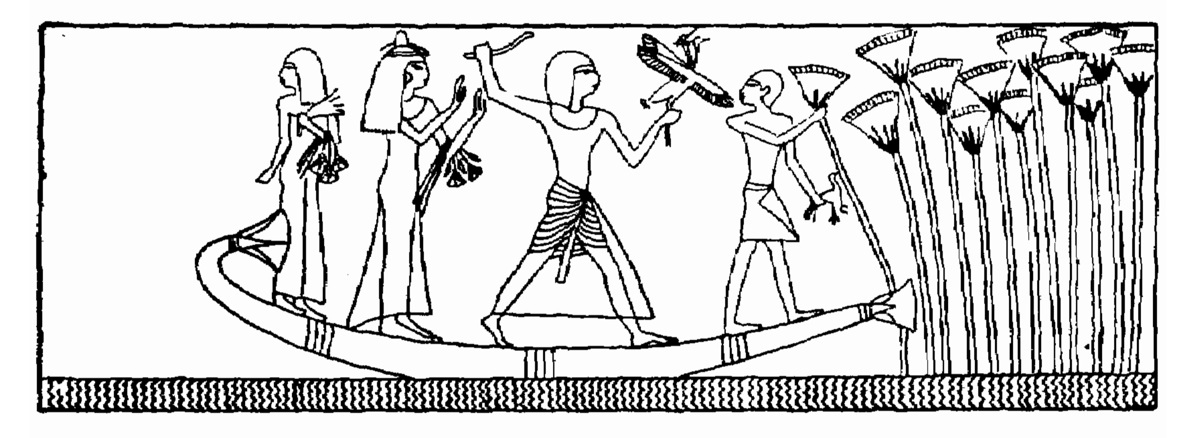


وَكَانَ يُقِيمُ الْوَلَائِمَ ، فَيَجْتَمِعُ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ مَعًا ، يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ ، وَيَسْمَعُونَ الْغِنَاءَ ، وَيُشَاهِدُونَ الرَّقْصَ ، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا ، فِى اجْتِمَاعِهِمْ وَسُرُورِهِمْ ، يُحَافِظُونَ عَلَى الْأَخْلَاقِ الْكَرِيمَةِ .

العادات



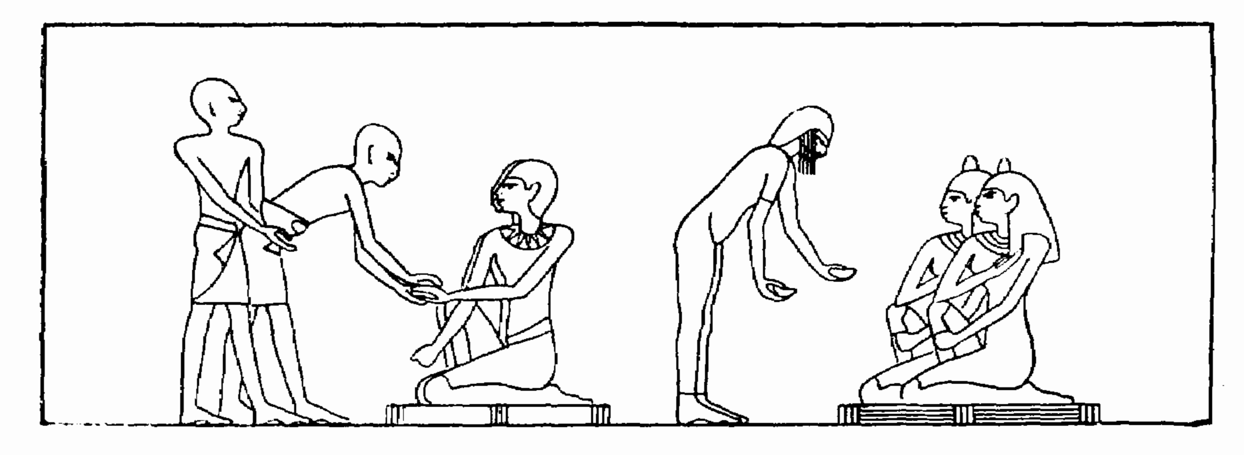
كَانَ من عَادَات قُدَمَاء المْصريّينَ أَنْ يهتَمُّوا بصحَّتهمْ : فيَستَحمُّ الوَاحدُ منهُمْ كُلَّ يَوْم تقريبًا ، وَيَغسلُ يَدَيْه قَبْلَ الأَكْل وَبَعْدَهُ ، وَقَدَمَيْه ، قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ مَكَانًا مَفْرُوشًا .



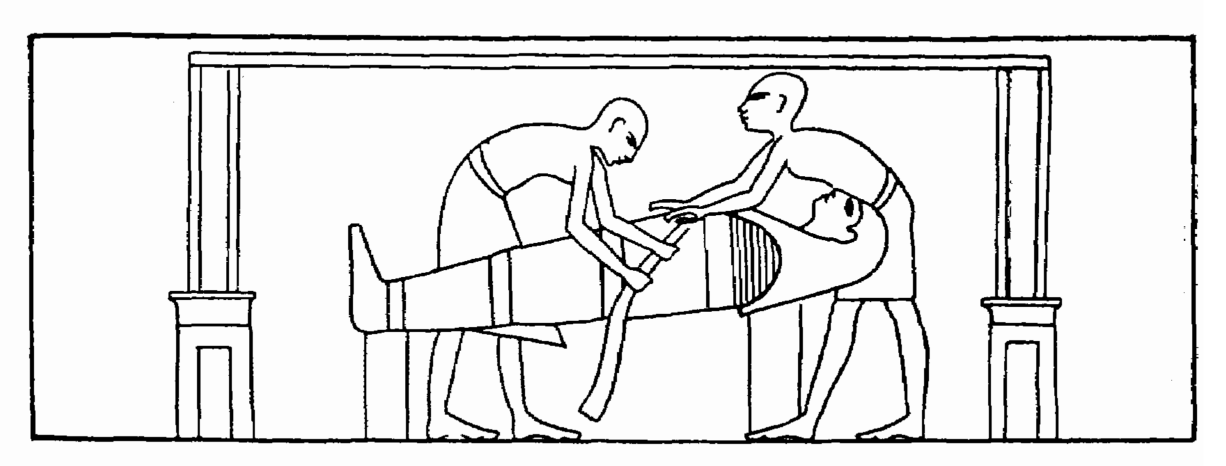
وَيَخْرُجُ كَثيرًا للرِّيَاضَة ، وَخَاصَّةً الصَّيْدَ ، فَيَرْكَبُ هُوَ وَأَفْرَادُ أُسْرَته ، أَوْ أَصْدقَاؤُه ، قَاربًا خَفيفًا منَ الْبَرْدىّ ، ليَصيدَ السَّمكَ بالْحَرْبَة أَوْ بالشّصّ ، وَالطُّيُورَ بعَصًا قَصيرَة مُلْتَوية .



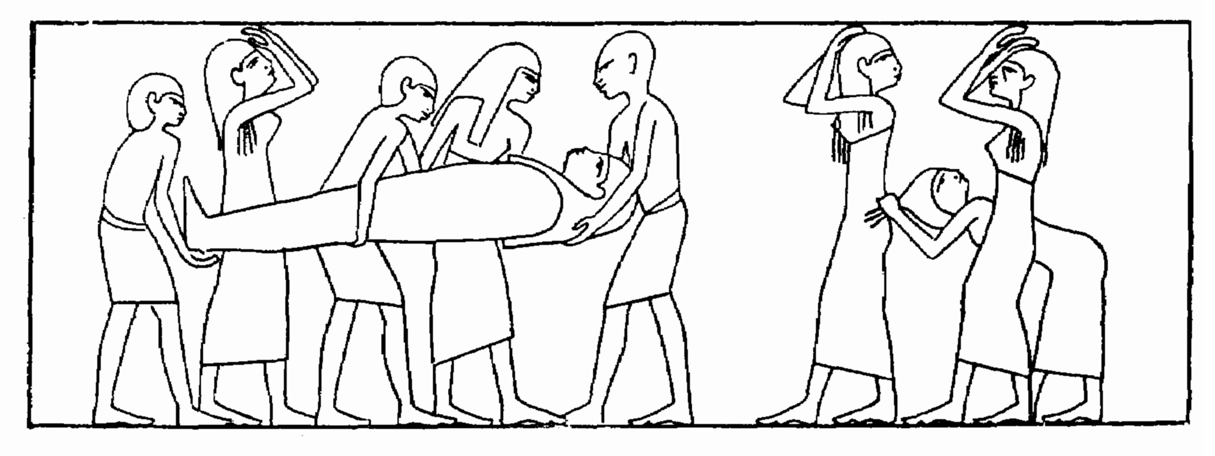
وَاعْتَادَ الْمصْرِىُّ الْقَدِيمُ ، أَنْ يَتَزَوَّجَ امْرَأَةً وَاحِدَةً ، تَكُونُ أَحْيَانًا أُخْتَهُ أَوْ بِنْتَ أُخْتِه ؛ أَمَّا الْأَغْنِيَاءُ فَكَانُوا يَتَزَوَّجُونَ نِسَاءً كَثِيرَاتٍ ، وَيَحْتَفِلُونَ بِزِفَافِهِمْ أَعْظَمَ احْتِفَالٍ .



وَعُرِفَ الْمصرِىُّ بِالْكَرَم ، فَكَانَ يُقِيمُ الْوَلَائِمَ الْفَخْمَةَ ، وَكَانَ الضُّيُوفُ يَلْبَسُونَ فِى تِلْكَ الْوَلَائِمِ مَلَابِسَ بَيْضَاءَ طَوِيلَةً وَيَضَعُونَ عَلَى رُءُوسِهِمُ الشَّعْرَ الْمُسْتَعَارَ ، وَيَتَعَطَّرُونَ بِالرَّوَائِحِ الزَّكِيَّةِ .



وَكَانَ الْمِصْرِىُّ الْقَدِيمُ يُحَنِّطُ جُثَّةَ الْمَيِّت ، وَيَلفُّهَا فِى الْكَتَّان ، وَيَضَعُهَا فى تَابُوت ، مِنَ الْخَشَب أَو الْحَجَر ، حَتَّى تَبْقَى سَلِيمَةً ، وَيَضَعُ مَعَهَا أَحْسَنَ مَا كَانَ الْمَيِّتُ يَمْلِكُهُ .



وَاعْتَادت الْمَرْأَةُ ، عِنْدَ وَفَاة أَحَد أَقَاربهَا ، أَنْ تُمَزِّق ثِيَابَهَا ، وَتَضَعَ الْوَحْلَ عَلَى رَأْسهَا ، وَتَطُوفَ بِالْبَلَدِ تَصْرُخُ وَتَلْطِمُ ؛ أَمَّا الرَّجُلُ فَلَا يَحْلقُ شَعْرَهُ ، وَلَا يُقِيمُ الْأَفْرَاحَ ، زَمَنًا .

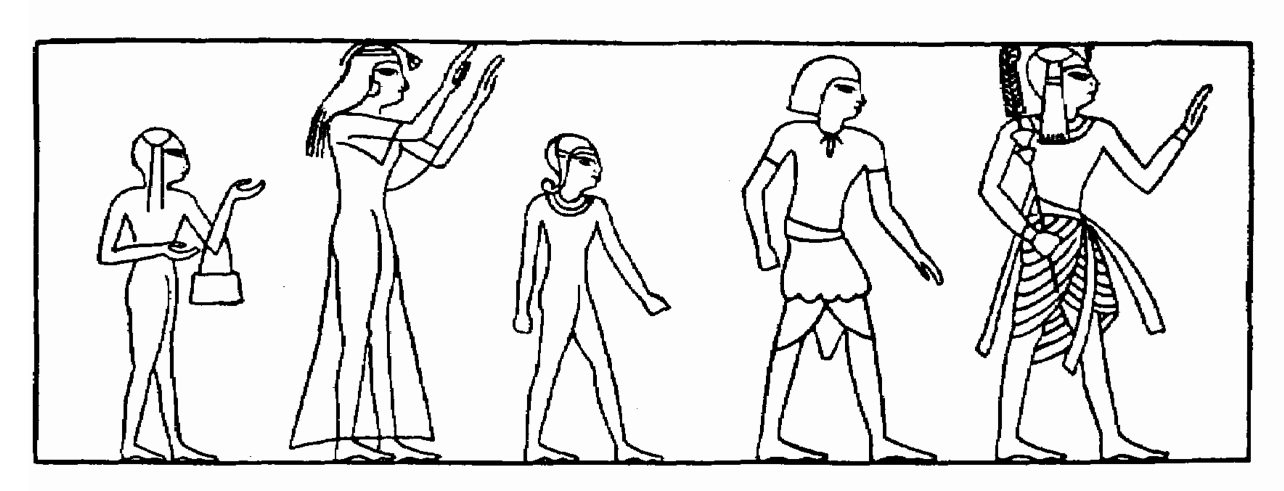
الأزياء



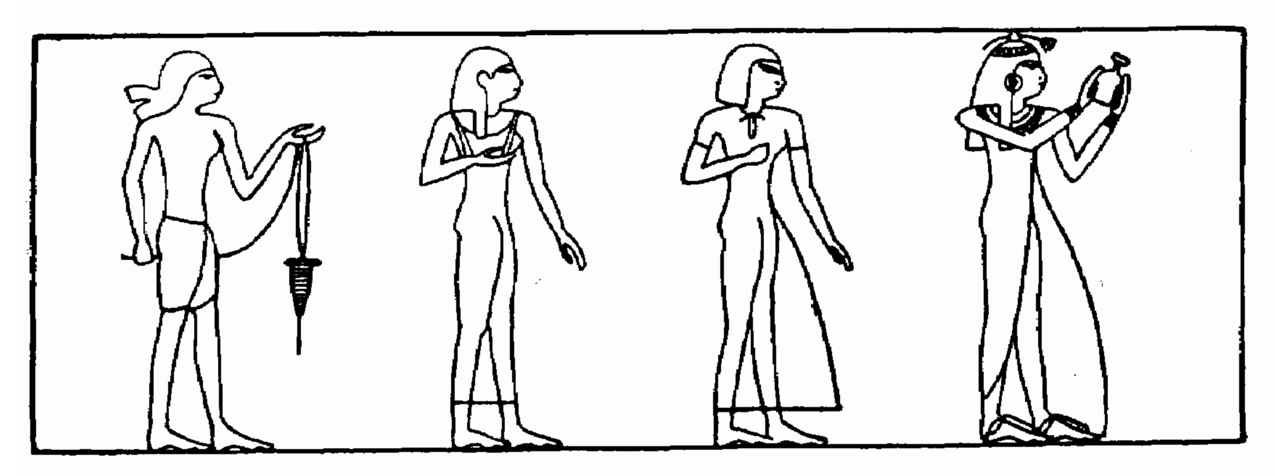
كَانَ الْمِصْرِيُّونَ الْقُدَمَاءُ يَلْبَسُونَ مَلَابِسَ قَلِيلَةً ، مِنَ الْكَتَّان الأَبْيَض : فَالرَّجُلُ الْعَادِىُّ يَلْبَسُ ثَوْباً قَصِيراً مِنَ الْقُمَاش السَّميك ، وَيَضَعُ عَلَى رَأْسه قَلَنْسُوَةً ، وَيَسِيرُ حَافِىَ الْقَدَمَيْن .



أَمَّا الْغَنِىُّ فَيَلْبَسُ ثِيَابًا مِنْ كَتَّان رَقِيق ، يُشْبِهُ الْحَرِيرَ ، وَيَضَعُ عَلَى رَأْسه شَعْراً مُسْتَعَاراً ، وَيُزَيِّنُ صَدْرَهُ بِالْعُقُود ، وَيَدَيْه بِالأَسَاوِر ، وَيَلْبَسُ فِى قَدَمَيْه نِعَالًا مِنَ الْبَرْدِىّ الْمَضْفُور .



وَكَانَ الْوَلَدُ يَسِيرُ عارِىَ الجِسْمِ ، حَافِىَ الْقَدَمَيْنِ ، وَيَحْلِقُ رَأْسَهُ ، وَلَا يَتْرُكُ بِهَا الَّا خُصْلَةً وَاحِدَةً مِنَ الشَّعْرِ ، أَمَّا الْبِنْتُ فَتَلْبَسُ ثَوْباً قَصِيراً ، وَتَقُصُّ شَعْرَهَا أَوْ تَضْفِرُهُ .



وَتَلْبَسُ الْمَرْأَةُ ثَوْباً ضَيِّقاً ، بِغَيْرِ أَكْمَام ، وَتُمَشِّطُ شَعْرَهَا وَتَضْفِرُهُ ، أَوْ تُغَطِّيه بِقِطْعَةٍ مِنَ الْكَتَّانِ الشَّفَّافِ ، وَتَتَحَلَّى بِالْقَلَائِدِ وَالْأَسَاوِرِ وَالْخَوَاتِم ، وَتَتْرُكُ وَجْهَهَا مَكْشُوفاً



أَمَّا المَلِكَةُ ، أَوِ الأَمِيرَةُ ، فَتَلْبَسُ ثَوْباً مِنَ الكَتَّانِ الأَحْمَرِ ، وَتَقُصُّ شَعْرَهَا ، وَتَرْبُطُهُ بِشَرِيطٍ مِنَ الذَّهَبِ ، بِهِ حِلْيَةٌ ، تُشْبِهُ رَأْسَ الثُّعْبَانِ ، أَوْ تَلْبَسُ التَّاجَ ، وَتَتَزَيَّنُ بِالحُلِيِّ الثَّمِينَةِ .



وَيَرْتَدِي المَلِكُ ، أَوِ الأَمِيرُ ، ثِيَاباً مِنَ الكَتَّانِ المُزَرْكَشِ ، وَيُغَطِّي رَأْسَهُ بِقِطْعَةٍ مِنَ الكَتَّانِ الأَصْفَرِ ، أَوْ بِالتِّيجَانِ[1] ، وَيَتَحَلَّى بِالجَوَاهِرِ ، وَيَلْبَسُ نِعَالاً مِنَ الجِلْدِ الثَّمِينِ .

(١) يلبس أحيانا تاجا أبيض ، وأحيانا تاجا أحمر ، وأحيانا تاجا مكونا من التاجين .

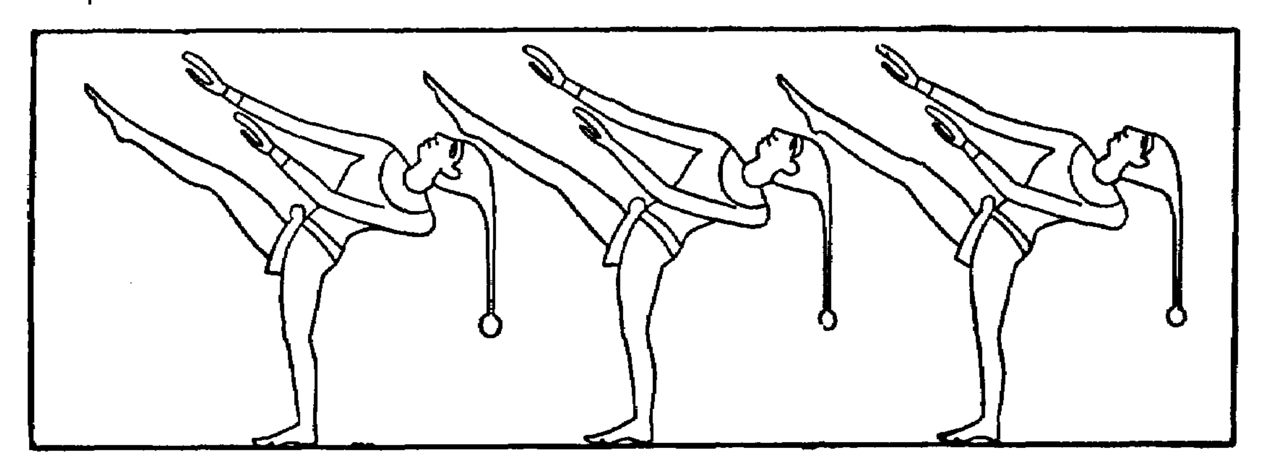
الفنون



أَحَبَّ الْمِصْرِيُّونَ الْقُدَمَاءُ الْفُنُونَ ، وَاهْتَمُّوا بِهَا اهْتِمَاماً كَبِيراً :

فَبَرَعَ كَثِيرُونَ مِنْهُمْ فِى الْمُوسِيقَى ، وَأَحْسَنُوا الْعَزْفَ عَلَى آلاتِهَا ،

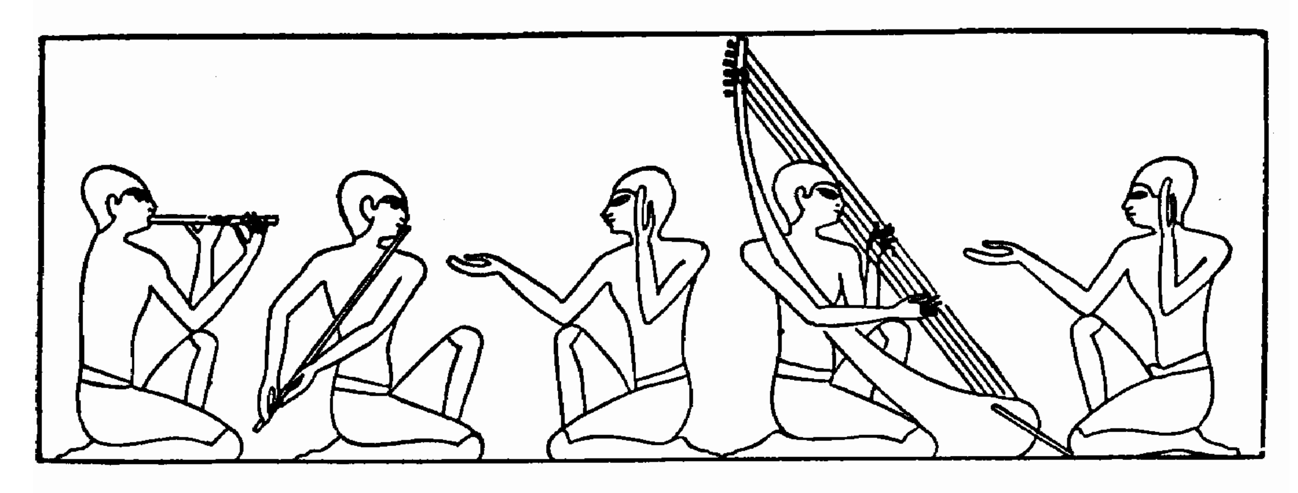
فِى الْحَفَلَاتِ ، وَالْأَفْرَاحِ ، وَالْمَآتِم ، وَالْأَعْيَاد ، وَالْمَوَاسِم .



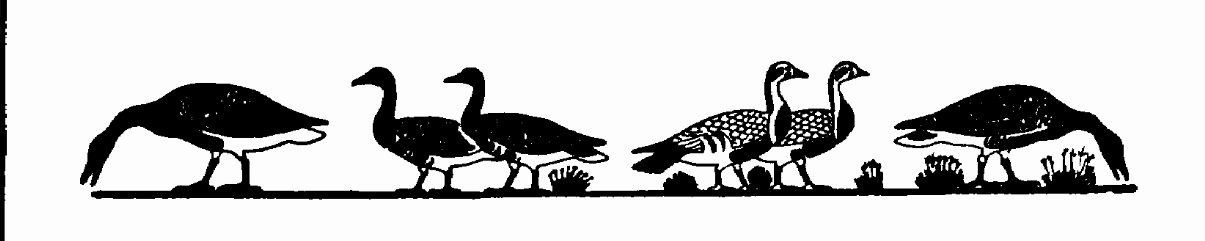
وَكَانَ الرَّقْصُ عِنْدَهُمْ فَنًّا مُحْتَرَمًا ، يُشْبِهُ الْأَلْعَابَ

الرِّيَاضِيَّةَ الْمُنْتَظِمَةَ ، وَتَقُومُ بِهِ النِّسَاءُ وَالرِّجَالُ ، عَلَى نَغَمَاتِ

الْمُوسِيقَى ، فِى الْبُيُوتِ وَالْمَعَابِد ، لِإِظْهَارِ الْفَرَحِ وَالسُّرُور .



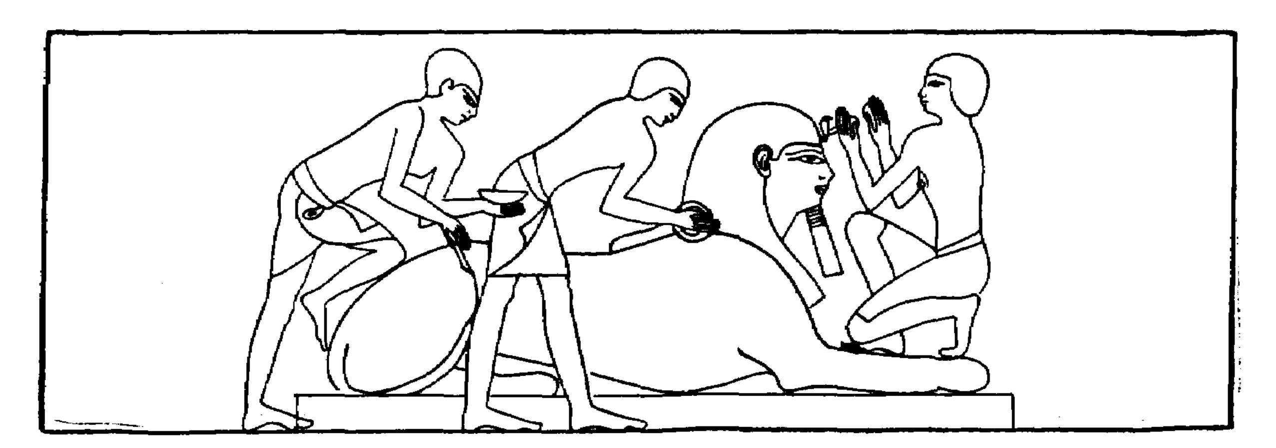
وَمنَ الْفُنُون الَّتى اهْتَمُّوا بهَا الْغنَاءُ : فَكَانُوا يُغَنُّونَ فى أَثْنَاء الْعَمَل ، ليُسَلُّوا أَنْفُسَهُمْ ، وَيَجْتَمعونَ فى الْمَعَابد وَالْمَنَازل ، لينْشُدُوا الْأَنَاشيدَ الدّينيَّة ، أَوْ يُغَنُّوا الْأَغَانى الْوَطَنيَّة .



وَأَجَادَ الْمصْريُّونَ فَنَّ التَّصْوير : فَكَانُوا يَرْسُمُونَ الْإنْسَانَ أَو الْحَيَوَانَ أَو النَّبَاتَ ، خُطُوطًا ، ثُمَّ يلَوِّنُونَ الشَّكْلَ تَلْوينًا بَديعًا يَجْعَلُهُ صُورَةً نَاطقَةً ، تَدُلُّ عَلَى دقَّة فَنّهم وَجَمَاله .

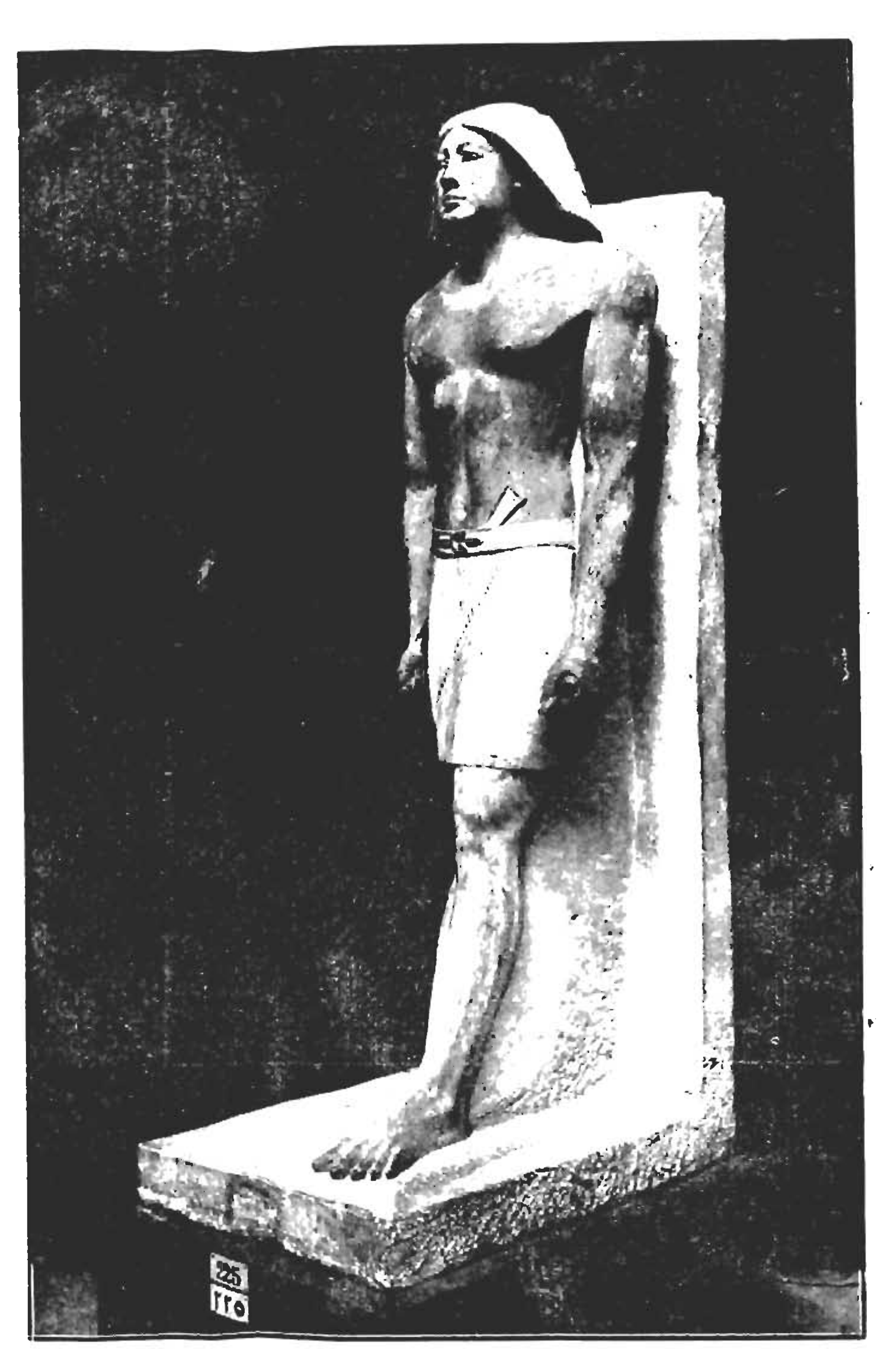


وَامْتَازَ الْمِصْرِيُّونَ كَذَلِكَ بِالْقُدْرَةِ عَلَى النَّقْشِ فِى الْحَجَرِ أَوِ الْمَعْدِن أَوِ الْخَشَب ، وَكَانَتْ نُقُوشُهُمْ بَارِزَةً أَوْ مَحْفُورَةً ، يُلَوِّنُونَهَا أَحْيَانًا تَلْوِينًا بَدِيعًا ، فَتَظْهَرُ غَايَةً فِى الْجَمَال .

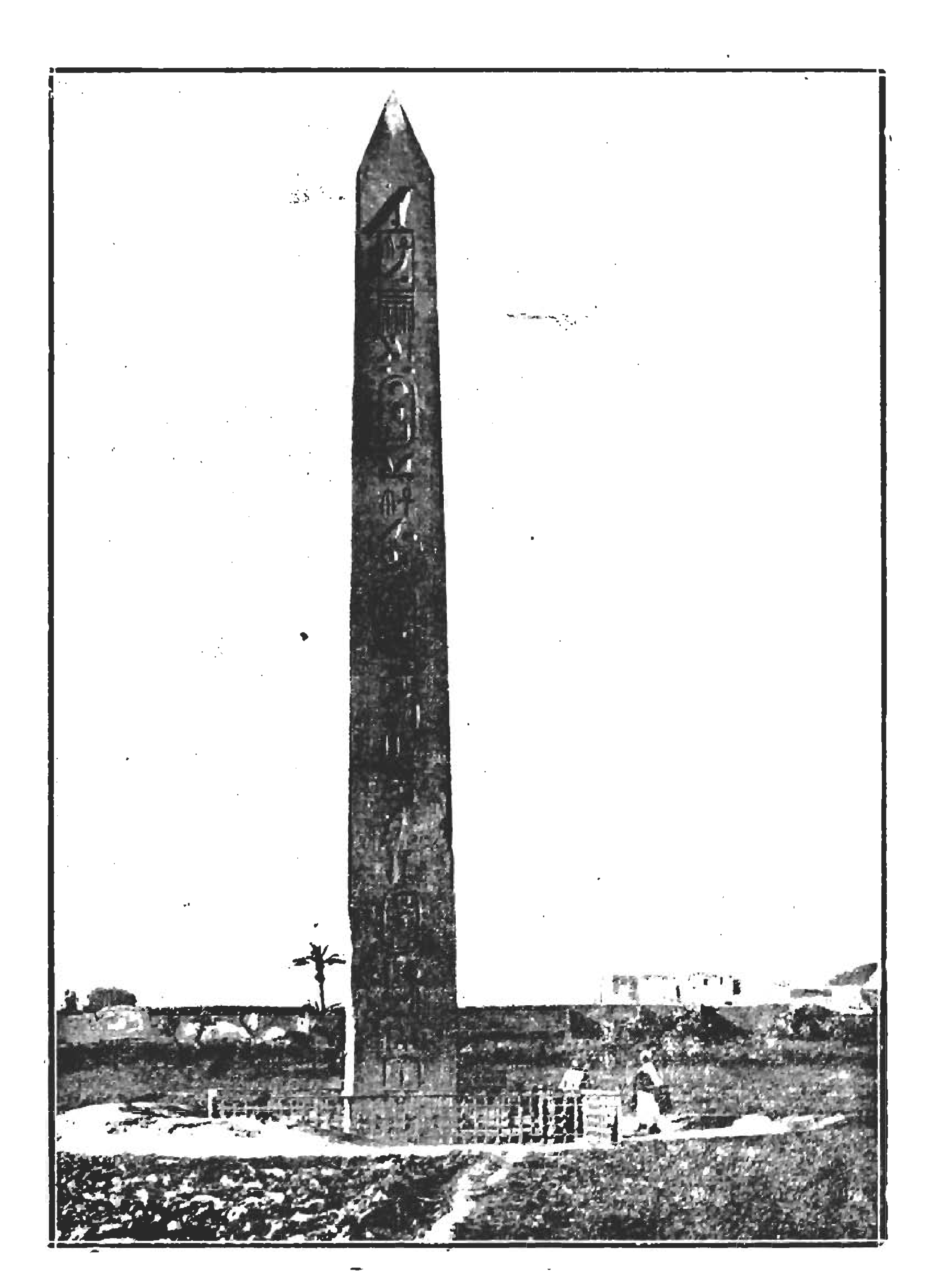


أَمَّا النَّحْتُ فَكَانَ مِنَ الْفُنُونِ الَّتِى أَتْقَنُوهَا : فَنَحَتُوا التَّمَاثِيلَ وَجَعَلُوهَا تُشْبِهُ صَاحِبَهَا تَمَامًا ، كَمَا نَحَتُوا مَسَلَّات مِنَ الْجَرَانِيت ، هِىَ أَعْمِدَةٌ طَوِيلَةٌ ، لَهَا أَرْبَعَةُ أَوْجُه مَلْسَاءَ وَقِمَّةٌ كَالْهَرَم(١)

(١) كانت تنقش عليها أسماء الملوك وأخبارهم .

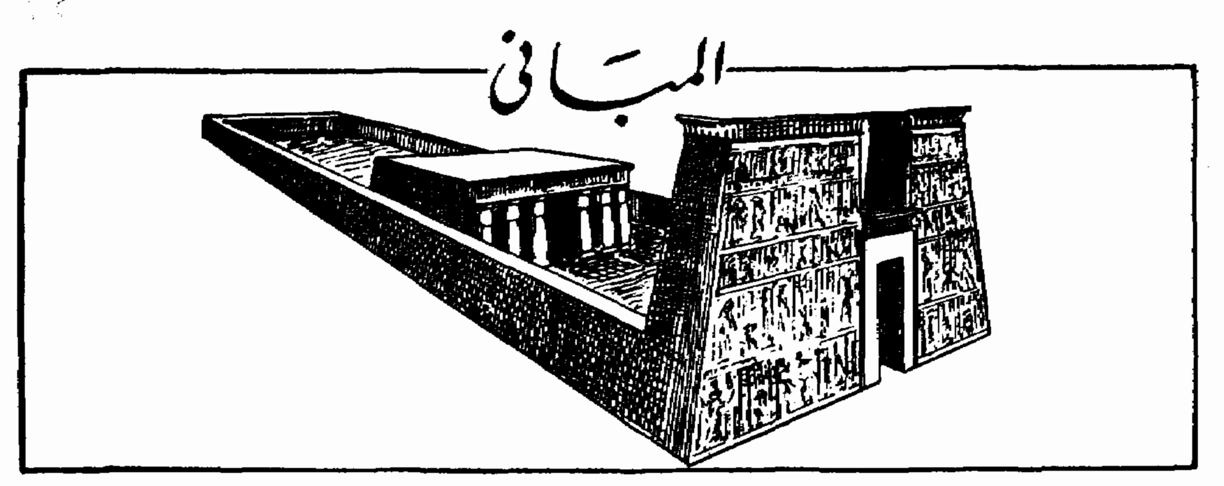


(تمثال من الحجر)

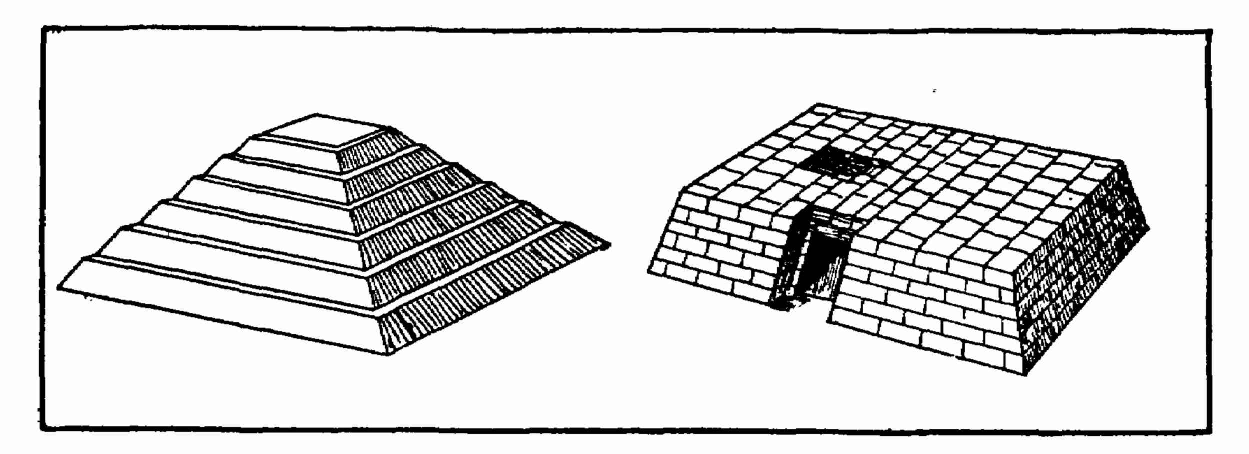


(مسلة من الجرانيت)

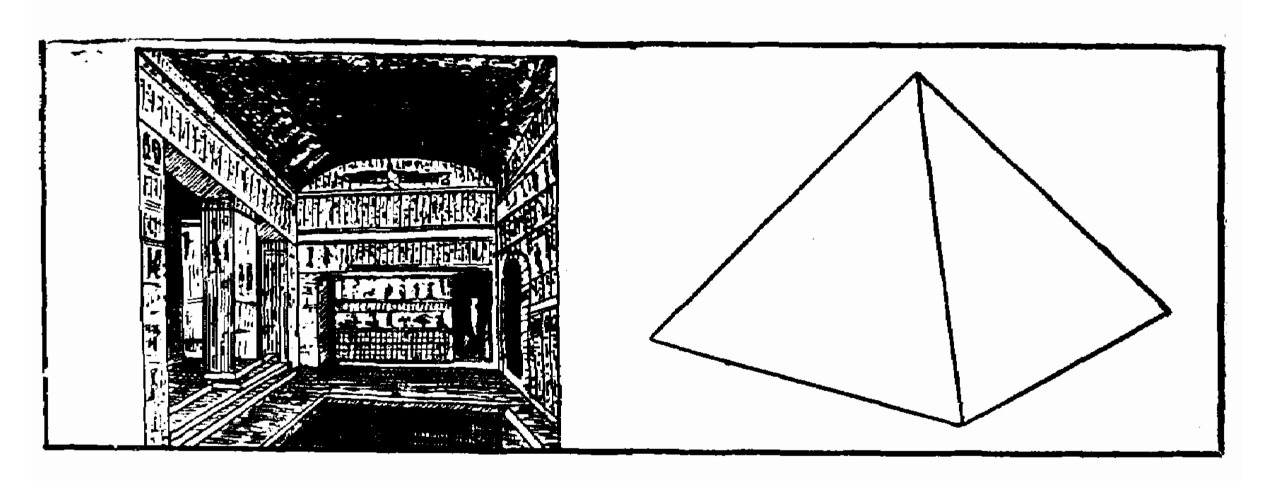
المبانى



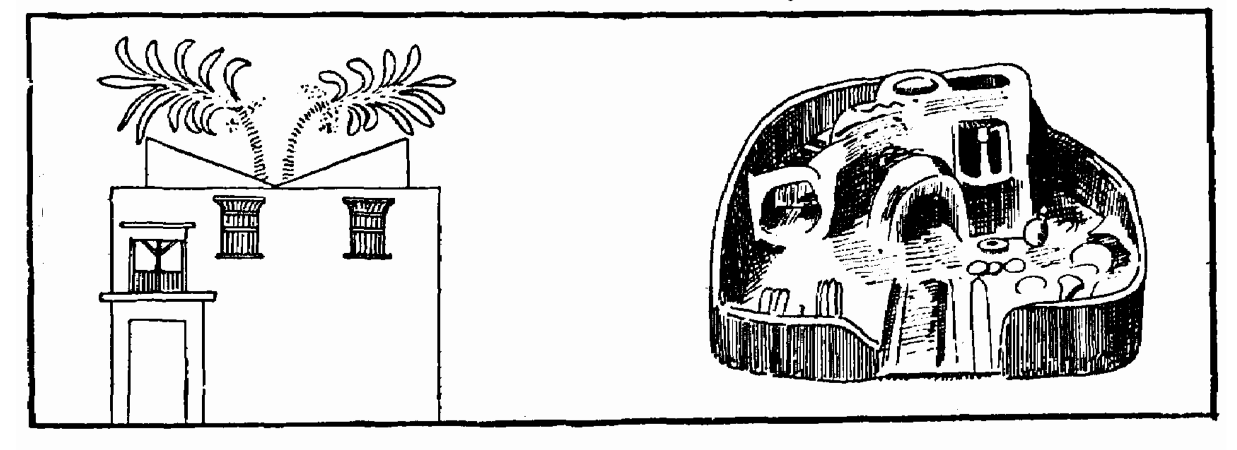
بَنَى الْمِصْرِىُّ الْمَعْبَدَ مِنَ الْحِجَارَةِ ، وَجَعَلَ لَهُ مَدْخَلاً ، عَلَى جَانِبَيْهِ بُرْجَانِ ، وَأَمَامَهُ تَمَاثِيلُ وَمَسَلَّاتٌ ، وَخَلْفَهُ فِنَاءٌ وَاسِعٌ ، تَلِيهِ حُجْرَةٌ بِهَا أَعْمِدَةٌ ، وَرَاءَهَا غُرْفَةٌ مُظْلِمَةٌ ، تُسَمَّى الْهَيْكَلَ .



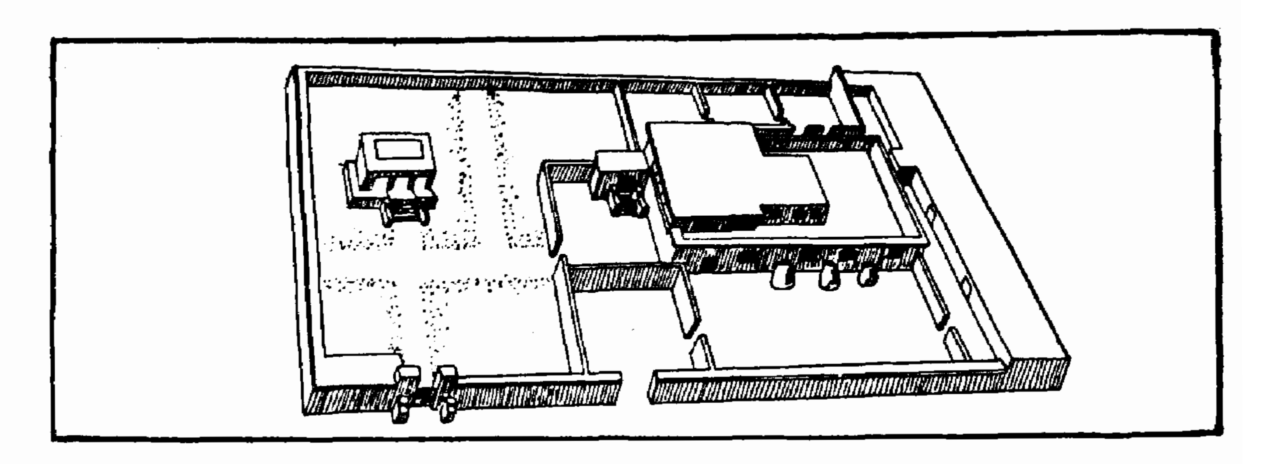
أَمَّا الْقَبْرُ فَكَانَ ، فِى أَوَّلِ الْأَمْرِ ، حُفْرَةً ، جُدْرَانُهَا مِنَ اللَّبِنِ ، وَسَقْفُهَا مِنَ الْخَشَبِ ، ثُمَّ بُنِيَتْ مِنَ الْحِجَارَةِ ، عَلَى شَكْلِ مَصْطَبَةٍ ، ثُمَّ بَنَى فَوْقَ الْمَصْطَبَةِ مَصَاطِبَ ، فَنَشَأَ الْهَرَمُ الْمُدَرَّجُ



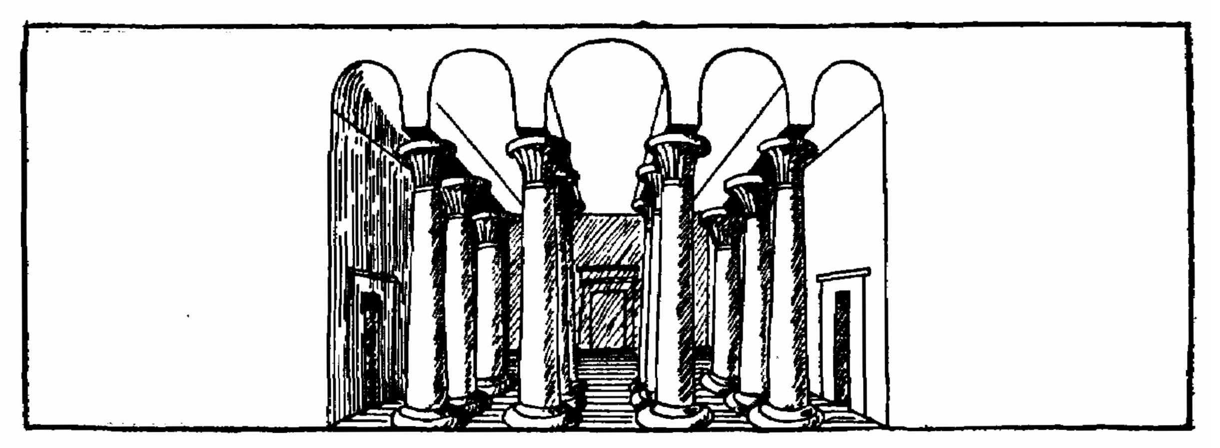
وبعــد ذلك بنى القــبرُ على شكل هرم كامل ، وهو بناء له أربعــة أوجه ، كلٌّ منهــا على شكل مثلَّث ؛ ثمّ نحتَ الملوكُ قبورَهمْ فى الصَّخــر ، على شكل حجــرات .



أمّا المنازلُ فكانَ الاهتمامُ ببنائهــا قليــلًا ، فاكتفى الفقيرُ بكوخ جُدرانُهُ من سعف النَّخل ، وسقفُهُ من البوص ، أوْ ببيت صغير من اللَّبن ، به غُرفتان صغيرتان ومخزنٌ للغــلال .



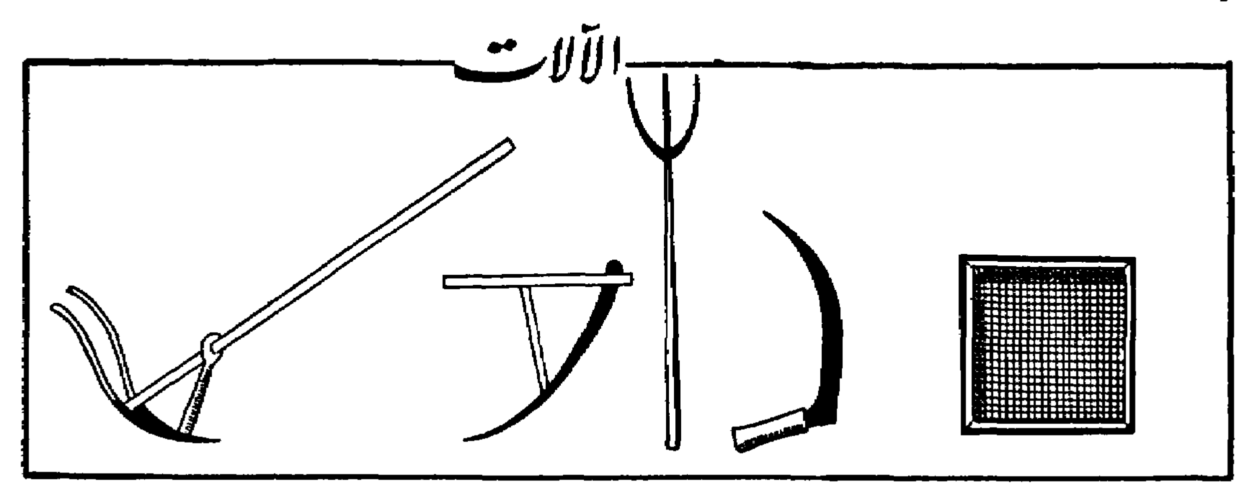
وَكَانَ بَيْتُ الْغَنِىّ منَ اللَّبن كَذَلكَ ، وَيَتَكَوَّنُ من طَابق أَوْ طَابقيْن ، يُسْتَقْبَلُ الضُّيُوفُ وَتُخْزَنُ الْغلَالُ فى الطَّابق الْأَوَّل ، وَيَعيشُ أَفْرَادُ الْأُسْرَة فى الطَّابق الثَّانى .



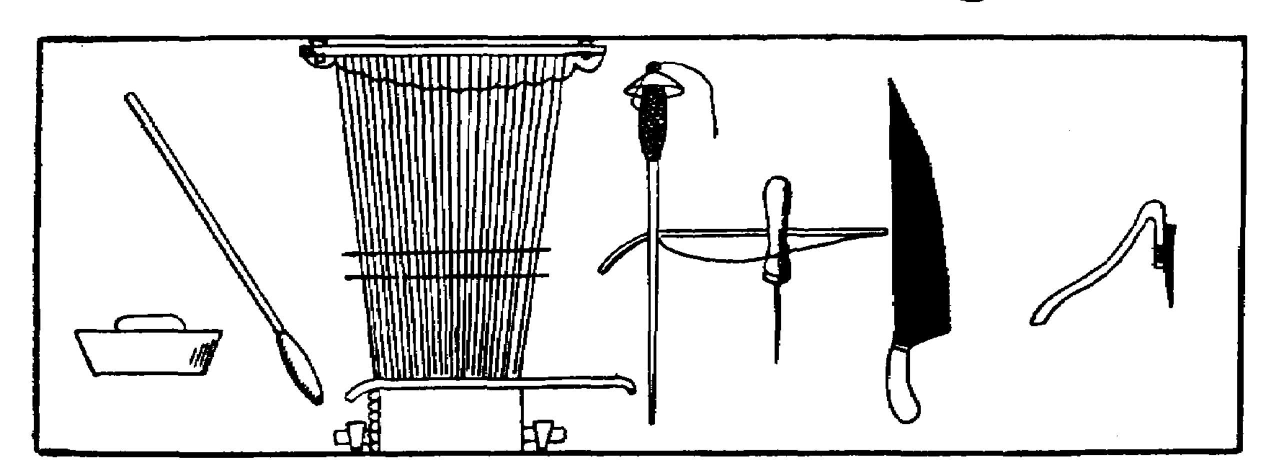
وَلَمْ يَخْتَلف الْقَصْرُ الْمَلَكىُّ كَثيرًا عَنْ بُيُوت أَغْنيَائنَا : فَكَانَ لَهُ فنَاءٌ وَاسعٌ مَرْصُوفٌ ، حَوْلَهُ حَديقَةٌ بهَا الْأَشْجَارُ ، وَبرْكَةٌ فيهَا السَّمَكُ ، وَبه غُرَفٌ كَثيرَةٌ ، عَلَى جُدْرَانهَا نُقُوشٌ بَديعَةٌ(١) .

(١) وقد زالت المنازل بمرور الزمن ولم يبق منها إلا آثار بعضها . أما القبور والمعابد فما زالت باقية إلى الآن .

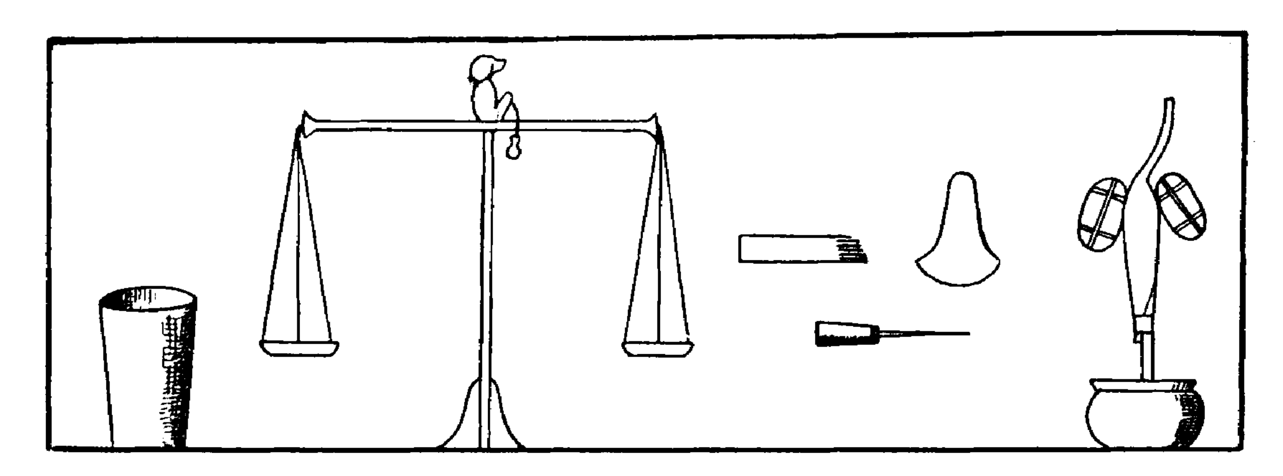
الآلات



اسْتَخْدَمَ قُدَمَاءُ الْمِصْرِيِّينَ ، فِى الزِّرَاعَةِ وَالصِّنَاعَةِ وَالتِّجَارَةِ وَالْفُنُونِ ،
آلَاتٍ بَسِيطَةً ، مِنَ الْحِجَارَةِ ، أَوْ النُّحَاسِ ، أَوِ الْبُرُونْزِ ، أَوْ الْحَدِيدِ :
فَاسْتَعْمَلَ الْفَلَّاحُ الْمِحْرَاثَ ، وَالْفَأْسَ ، وَالْمِذْرَاةَ ، وَالْمِنْجَلَ ، وَالْغُرْبَالَ .



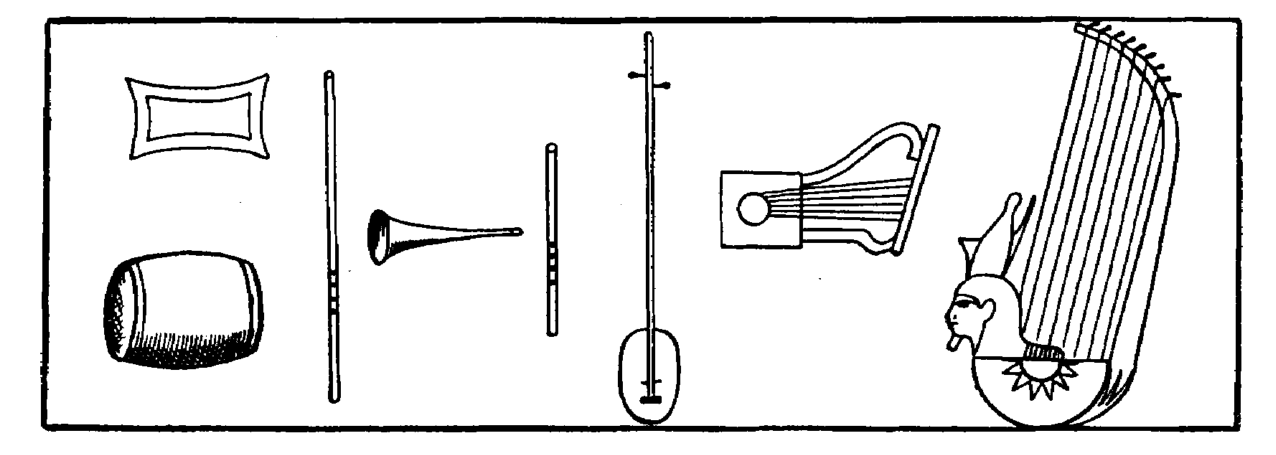
وَاسْتَعْمَلَ النَّجَّارُ الْفَأْسَ لِقَطْعِ الْخَشَبِ ، وَالْمِنْشَارَ لِشَقِّهِ ، وَالْقَدُّومَ
لِصَقْلِهِ ، وَالْمِثْقَابَ لِثَقْبِهِ . أَمَّا النَّسَّاجُ فَاسْتَعْمَلَ الْمِغْزَلَ وَالنَّوْلَ ،
وَاسْتَخْدَمَ الصَّائِغُ الْمِنْفَاخَ لِصَهْرِ الْمَعْدِنِ ، وَالسِّنْدَانَ لِطَرْقِهِ



أَمَّا الْخَزَّافُ فَاسْتَعْمَلَ عَجَلَةً لِصُنْعِ الْأَوَانِى ، تُسَمَّى بِاسْمِهِ

وَاسْتَعْمَلَ الْإِسْكَافُ السِّكِّينَ ، وَالْمِخْرَازَ ، وَالْمِثْقَابَ ، فِى صُنْعِ النِّعَالِ

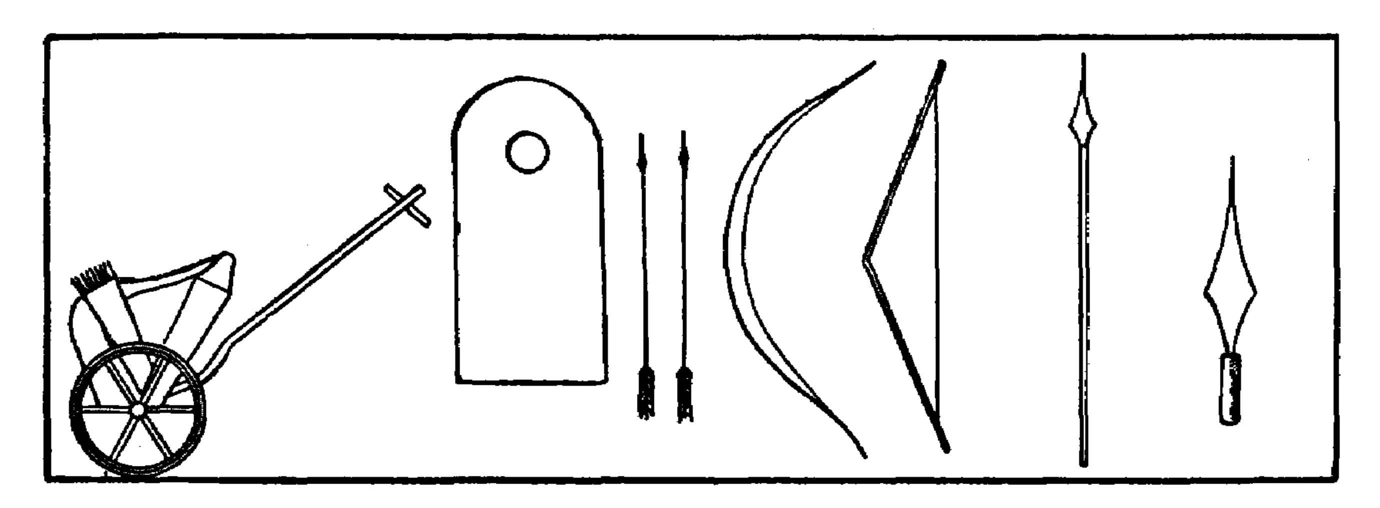
وَاسْتَخْدَمَ التَّاجِرُ الْمِيزَانَ وَالْمِكْيَالَ ، لِيَعْرِفَ مِقْدَارَ بِضَاعَتِهِ .



وَكَانَتِ الْآلَاتُ الْمُوسِيقِيَّةُ ، الَّتِى أَجَادَ الْمِصْرِىُّ الْعَزْفَ عَلَيْهَا :

الصَّنْجَ ، وَالْكِنَّارَةَ ، وَالطُّنْبُورَ – وَهِىَ آلَاتٌ لَهَا أَوْتَارٌ –

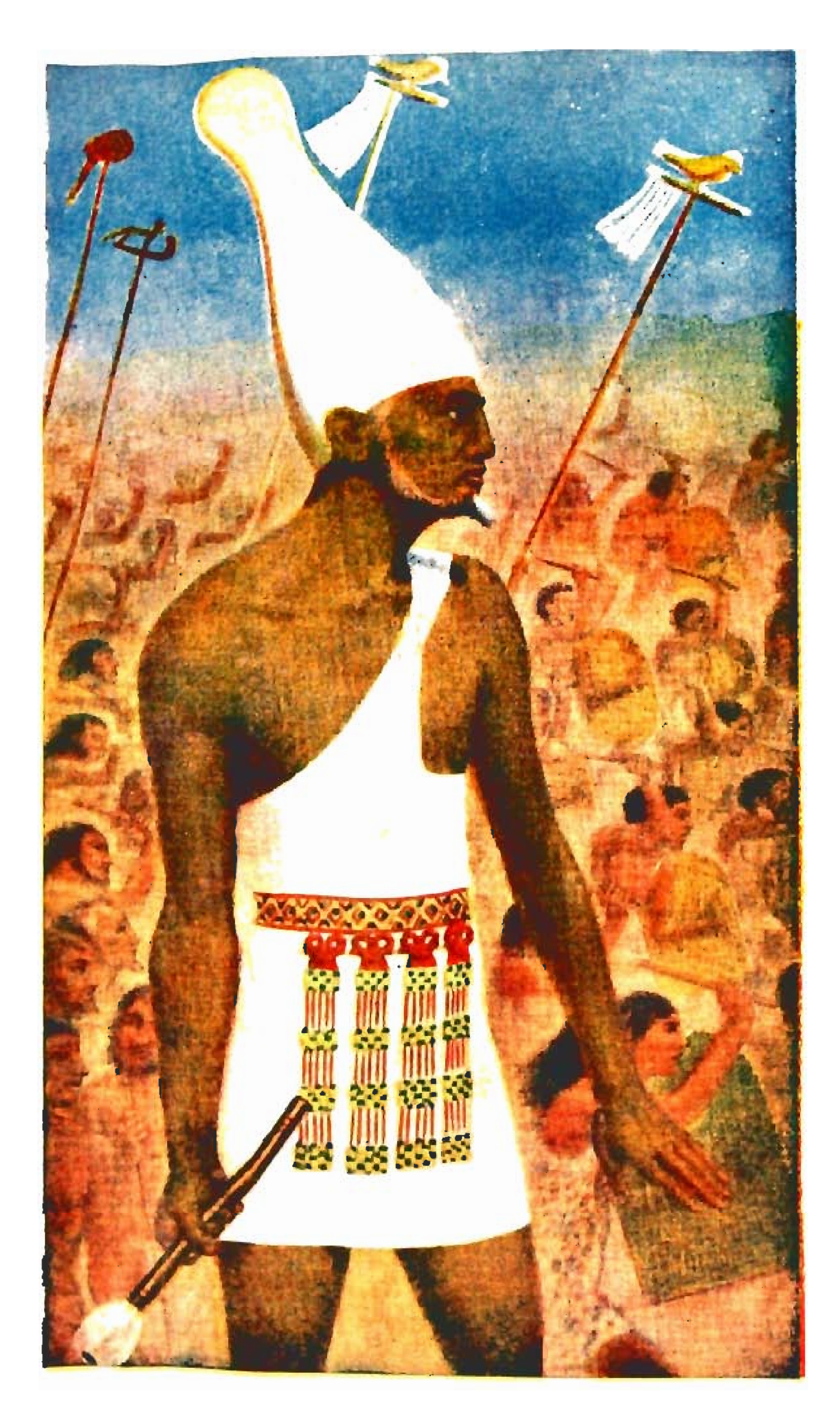
وَالْمِزْمَارَ ، وَالْبُوقَ ، وَالنَّايَ ؛ وَكَذَلِكَ الدُّفَّ ، وَالطَّبْلَ .



أَمَّا آلَاتُ الْحَرْبِ فَكَانَ أَهَمُّهَا : الْخَنَاجِرَ وَالرِّمَاحَ ، وَالْأَقْوَاسَ وَالسِّهَامَ ، وَالدُّرُوعَ وَالْعَجَلَاتِ . وَمَعَ بَسَاطَةِ هَذِهِ الْآلَاتِ فَإِنَّ الْمِصْرِيِّينَ صَنَعُوا بِهَا أَشْيَاءَ تَدُلُّ عَلَى النُّبُوغِ .

٢

قصص العظماء



"مينا" أول ملوك مصر

قصة الملك مينا



كَانَتْ مصْرُ مُقَسَّمَةً ، فى الزَّمَنِ الْقَدِيمِ ، أَقْسَامًا كَثِيرَةً ، يَحْكُمُ كُلًّا مِنْهَا أَمِيرٌ ، وَكَانَ حَاكِمُ طِينَة[1] يُسَمَّى مِينَا ، أَخْضَعَ أُمَرَاءَ الْوَجْهِ الْقِبْلِيِّ ، وَجَعَلَ نَفْسَهُ مَلِكًا ، وَلَبِسَ تَاجًا أَبْيَضَ[2] .



ثُمَّ سَارَ عَلَى رَأْسِ جَيْشِهِ إِلَى الْوَجْهِ الْبَحْرِيِّ ، وَهَزَمَ مَلِكَهُ ، وَلَبِسَ تَاجَهُ الأَحْمَرَ ، وَسَمَّى نَفْسَهُ مَلِكَ الْوَجْهَيْنِ ، فَكَانَ بِذَلِكَ أَوَّلَ مَلِكٍ حَكَمَ الْبِلَادَ الْمِصْرِيَّةَ كُلَّهَا

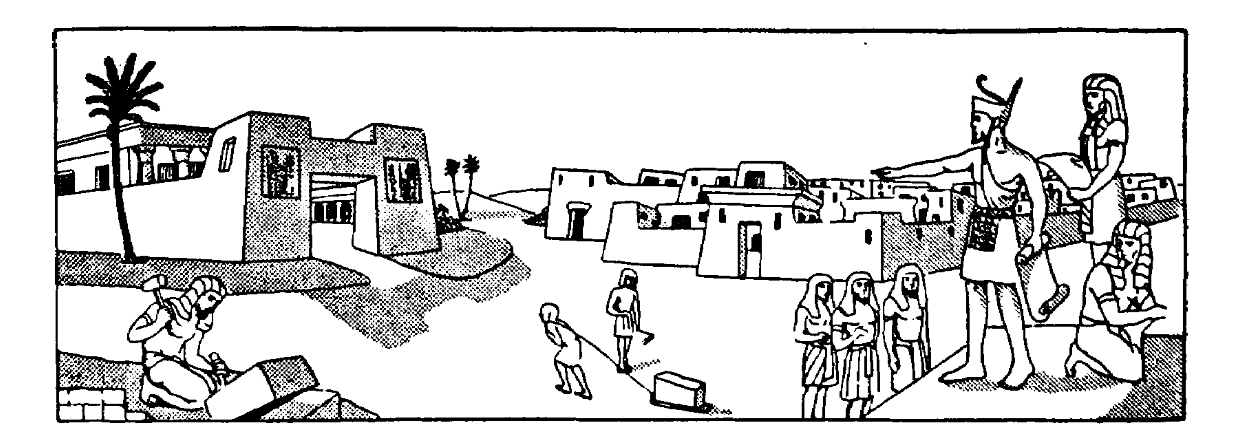
(١) مكانها الآن العرابة (بالبلينا — مديرية جرجا) . (٢) سمى فيما بعد تاج الوجه القبلى



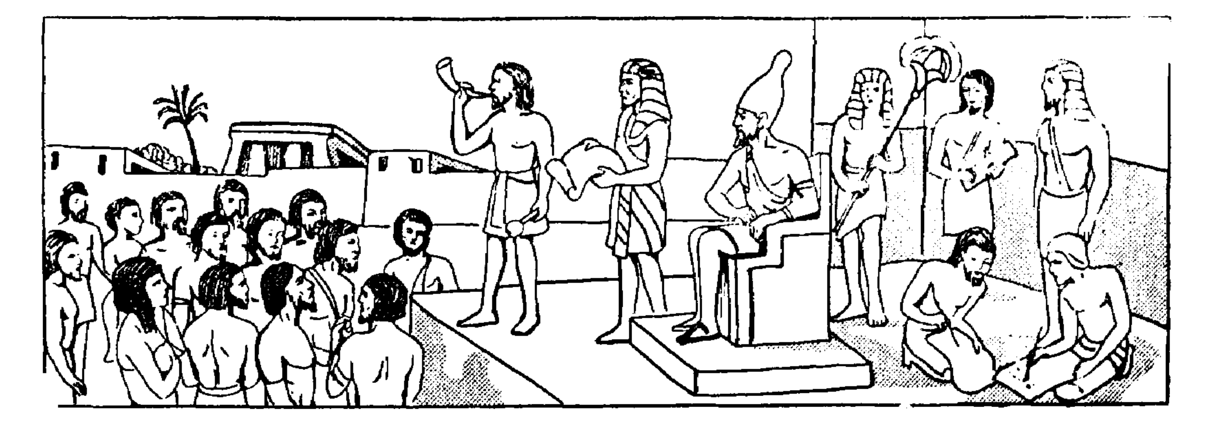
(الملك مينا يلبس تاج الوجه القبلى الأبيض ، وأمامه أسير)



(الملك مينا يلبس تاج الوجه البحرى الأحمر ، وأمامه بعض الأعلام)

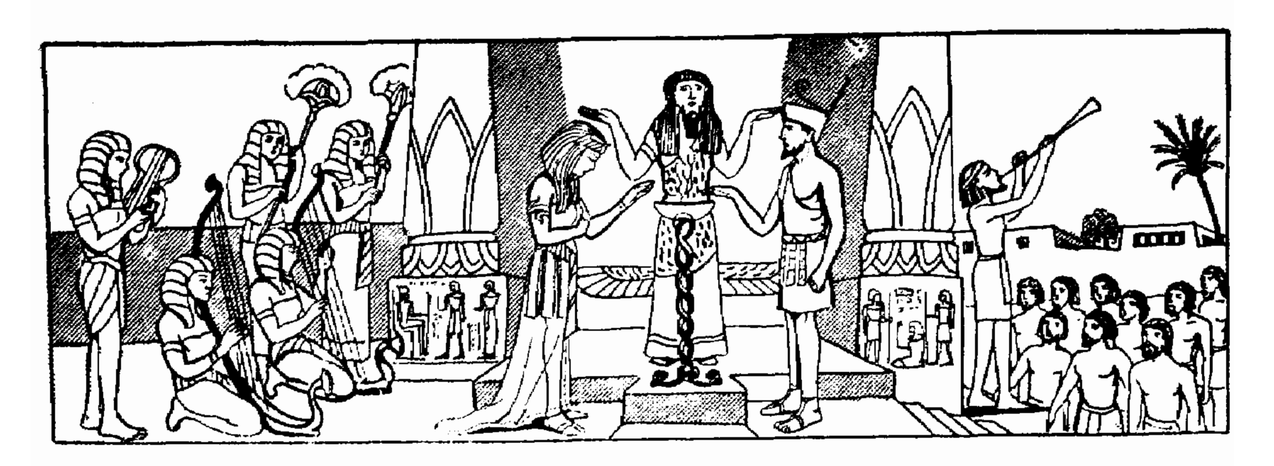


وَأَسَّسَ مينَا مَدِينَةً عَظِيمَةً ، بَنَى بِهَا حِصْنًا ، سَمَّاهُ الْقَلْعَةَ الْبَيْضَاءَ ، وَشَيَّدَ قَصْرًا وَمَعْبَدًا ، وَجَعَلَ مَوْقِعَهَا بَيْنَ الْوَجْهَيْنِ الْبَحرِىّ وَالْقِبْلِىّ ، لِتَكُونَ عَاصِمَةَ مِصْرَ . وَكَانَ اسْمُهَا مَنْف(١) .

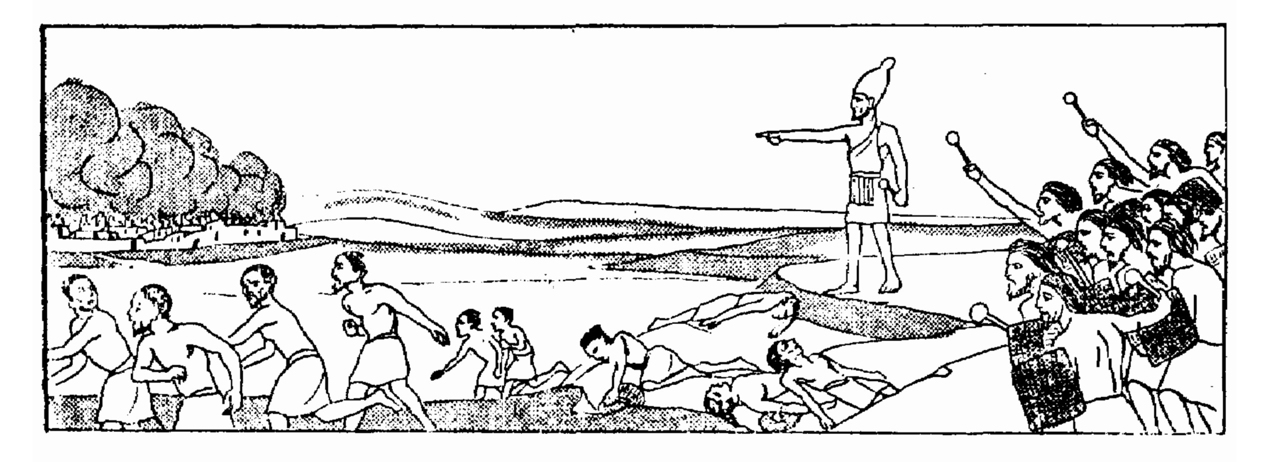


ثُمَّ فَكَّرَ مينَا فِى إِصْلَاحِ مَمْلَكَته ، فَقَسَّمَهَا إِلَى وِلَايَات ، جَعَلَ عَلَى كُلٍّ مِنْهَا حَاكِمًا عَادِلًا ، وَوَضَعَ لَهَا الْقَوَانِينَ الصَّالِحَةَ ، فَانْتَشَرَ الْأَمْنُ بَيْنَ النَّاس ، وَعَمَّ السَّلَامُ جَمِيعَ الْبِلَاد .

(١) مكانها الآن قرب البدرشين (مديرية الجيزة)



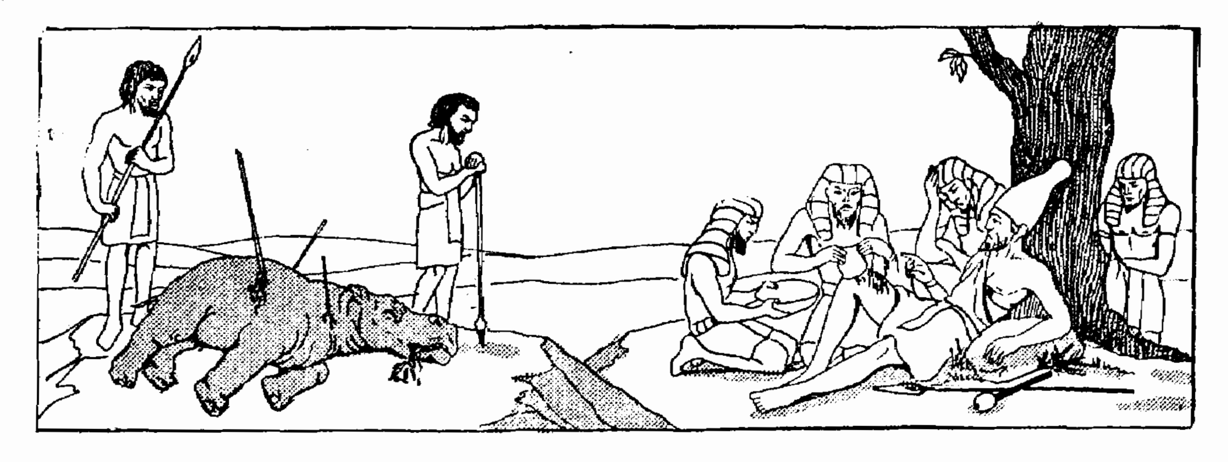
وَرَأَى المَـلِكُ مينَـا أَنْ يُثَبّتَ حُكْمَهُ فى مصْرَ كُلّهَـا ، فَتَزَوَّجَ ابْنَـةَ مَلك الْوَجْه الْبَحْرىّ ، والْوَارِثَةَ الْوَحيدَةَ لعَرْشه ، وَبذَلكَ زَادَتْ قُوّتُهُ . وَأَصْـبَحَ لَا يُنَازِعُهُ أَحَدٌ فى المُلْك .



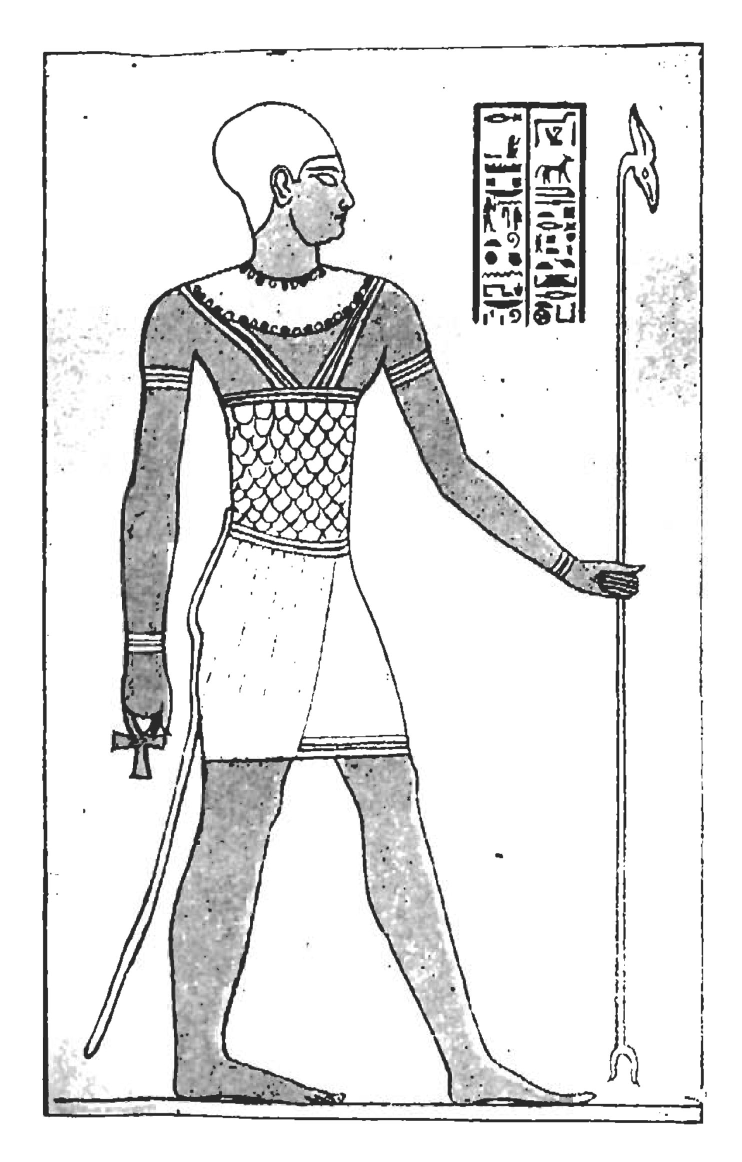
أَخَذَ مينَـا ، بَعْدَ ذَلكَ ، يُفَكّرُ فى تَوْسيع مَمْلَكَته ، وَيُقَالُ إنَّهُ سَارَ بجَيْشه إلى ليبيَـا ، فى غَرْب مصْـرَ ، وَحَارَبَ أَهْلَهَـا ، فَانْتَصَرَ عَلَيْهمْ ، وأَسَرَ منْهُمْ كَثيرينَ ، وَاسْـتَوْلَى عَلَى بلَادهمْ .



وَكَانَتْ ليبيَا ، فى ذَلكَ الْوَقْت غَنيَّـــةً جدًّا ، فَأَخَذَ منْهَـا مينَـا آلَافًا منَ الْبَقَـــر والْغَنَم ، وَعَادَ إلَى مصْرَ ، ليُتَمّمَ إصْلَاحَاته ، وَاسْتَمَرَّ يَحْكُمُ البــلَادَ بالْعَدْل زَمَنًا طَويلًا .



وَيُقَالُ إنَّهُ بَيْنَمَا كَانَ يَســيرُ يَوْمًا بالْقُرْب منَ النّيــل ، هَجَمَ عَلَيه فَرَسٌ منْ أَفْرَاس الْبَحْر ، فَجَـرَحَهُ جُرْحًا خَطيراً كَانَ السَّبَبَ فى مَوْته ، فَحَــزنَ عَلَيْه شَـــعْبُهُ حُزْنًا شَديدًا .

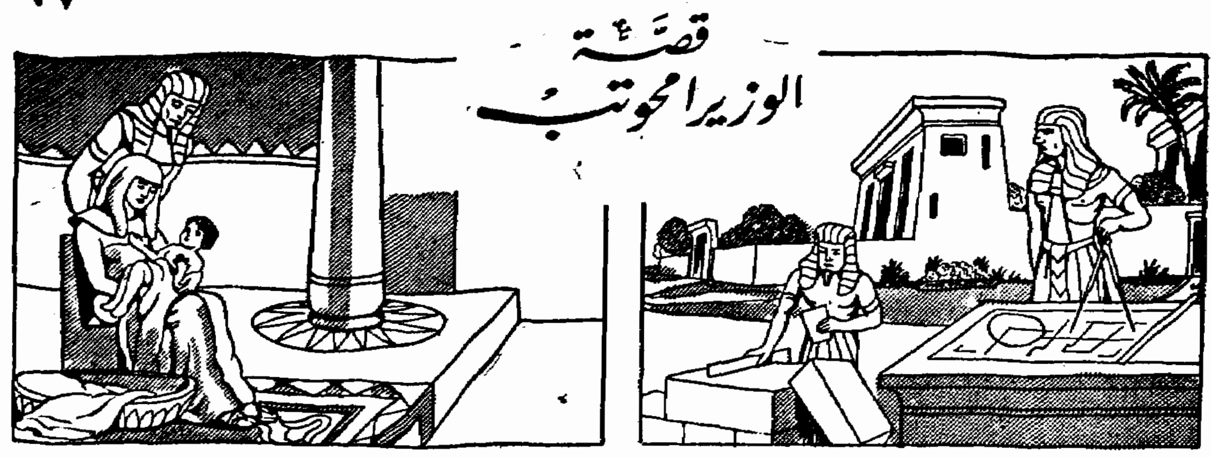


(الوزير امحوتب)

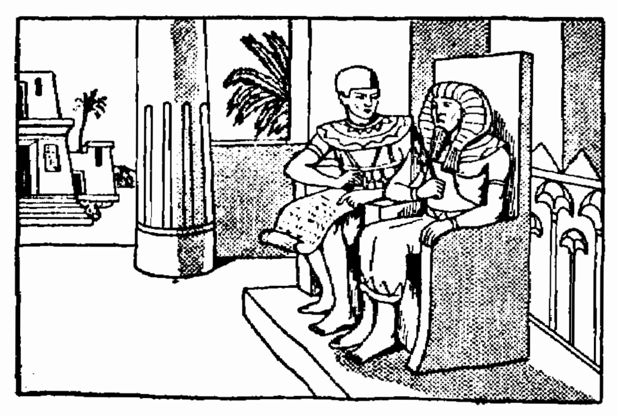


(تمثال الملك زوسر)

قِصَّةُ الوزير امحوتب



بَعْدَ وَفَاةِ مينَا ، بِزَمَنٍ طَوِيلٍ ، ظَهَرَ فِي قَرْيَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْ مَدِينَةِ مَنْف ، مُهَنْدِسٌ عَظِيمٌ . اسْمُهُ كَانُوفِرْ ، تَزَوَّجَ سَيِّدَةً مِنْ أُسْرَةٍ كَبِيرَةٍ ، وَلَدَتْ لَهُ طِفْلاً ، سَمَّاهُ امْحُوتِبْ .



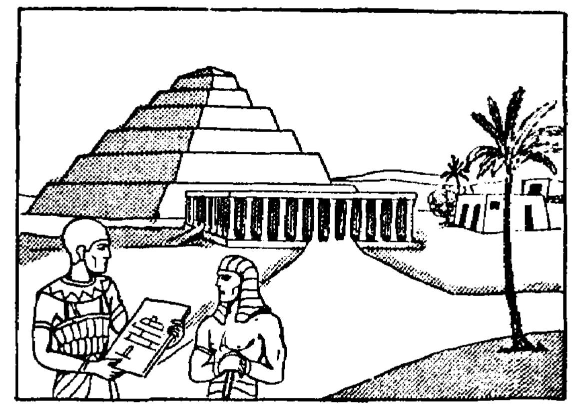


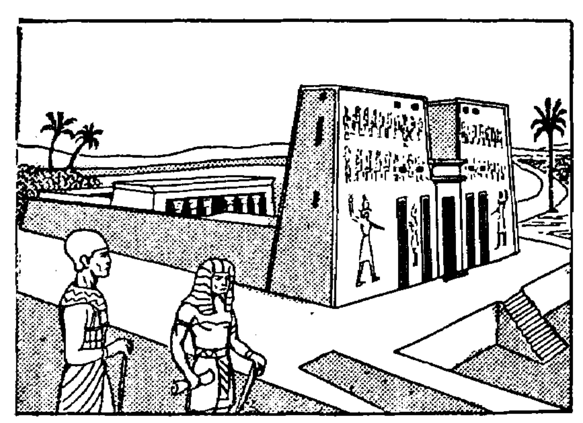
عُنِيَ كَانُوفِرْ بِتَرْبِيَةِ وَلَدِهِ عِنَايَةً عَظِيمَةً ، وَلَمَّا كَبِرَ ، أَرْسَلَهُ إِلَى الْمَعْبَدِ ، لِيُعَلِّمَهُ الْكَهَنَةُ ، فَنَبَغَ ، وَصَارَ عَالِمًا كَبِيرًا ، وَلَمَّا عَلِمَ بِهِ الْمَلِكُ زُوسَرُ ، اخْتَارَهُ وَزِيرًا لَهُ ، يَسْتَشِيرُهُ فِي الْأُمُورِ الْهَامَّةِ .





وَيُقَالُ إنَّ مَاءَ النِّيلِ قَلَّ فى عَهْدِه ، وَحَدَثَتْ مَجَاعَةٌ فى مِصْرَ ، دَامَتْ سَبْعَ سِنِينَ ، فَبَذَلَ امْحُوتبُ جُهْداً كَبِيراً ، وَاسْتَطَاعَ أَنْ يُخَفِّفَ مِنْ أَثَرِ الْمَجَاعَةِ ، وَيُعِيدَ الرَّخَاءَ .



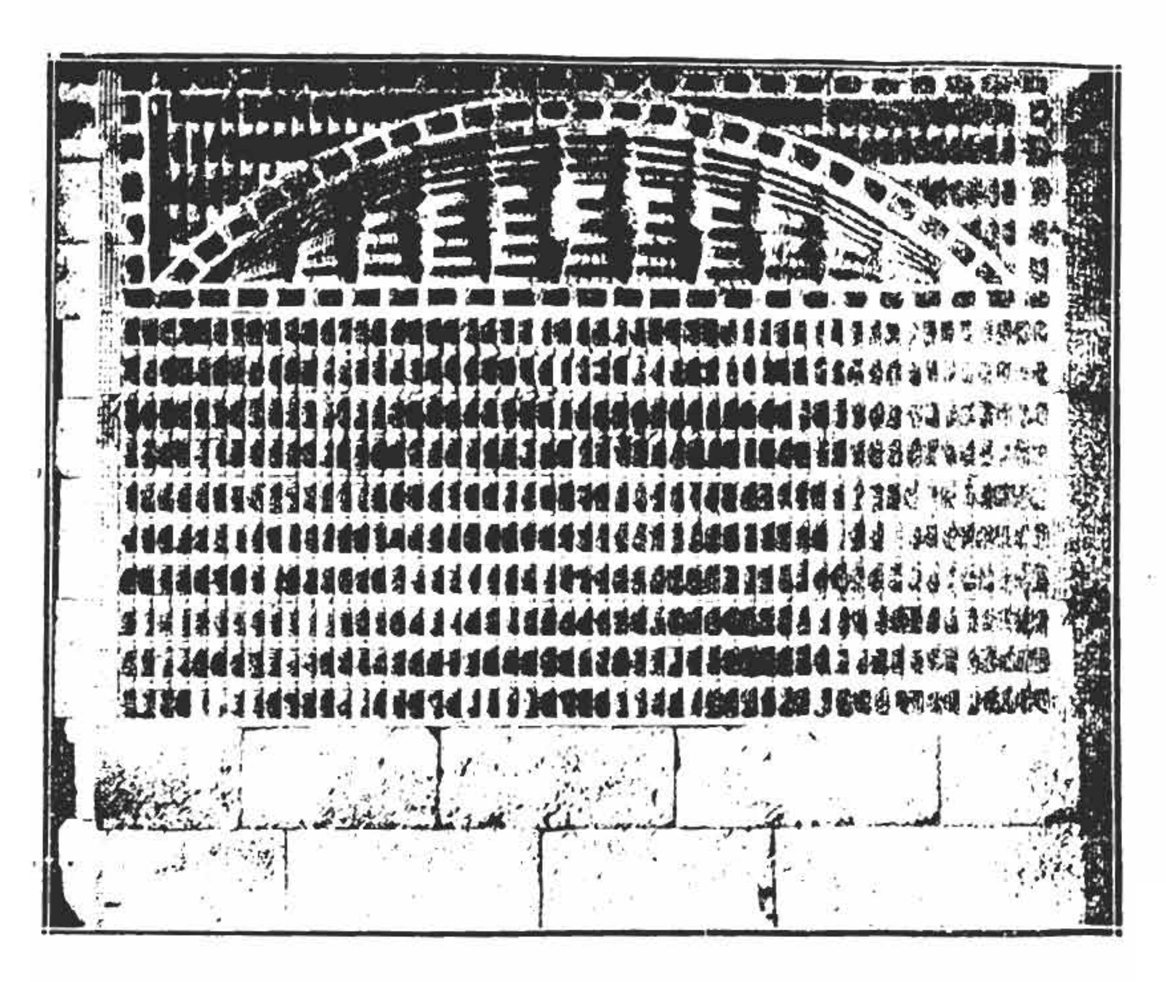


وَكَانَ امْحُوتبُ ، كَاتِبه ، مُهَنْدِساً قَدِيراً : بَنَى هَرَمَ سَقَّارَةَ الْمُدَرَّجَ ، لِيَكُونَ قَبْراً لِزُوسَر ، بَعْدَ وَفَاتِه . وَيُقَالُ إِنَّهُ بَنَى مَعْبَداً فَخْماً فى أُدْفُو ، زَالَتْ آثَارُهُ ، وَقَامَ مَكَانَهُ الْمَعْبَدُ الْحَالى .

(١) وهذا الهرم مكون من ست مصاطب بعضها فوق بعض ، فى داخله حجرات تنتهى ببئر كبيرة فى قاعها مخدع الملك ، وكان يغطى الهرم ، فى أول عهده ، طبقة من الحجر الجيرى الدقيق ، ويحيط به سور عظيم . ويعتبر هذا الهرم من أقدم المبانى الحجرية المعروفة فى العالم .

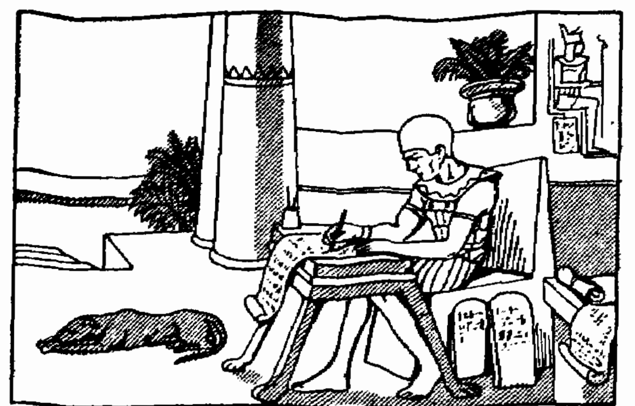


(هرم سقارة المدرج)



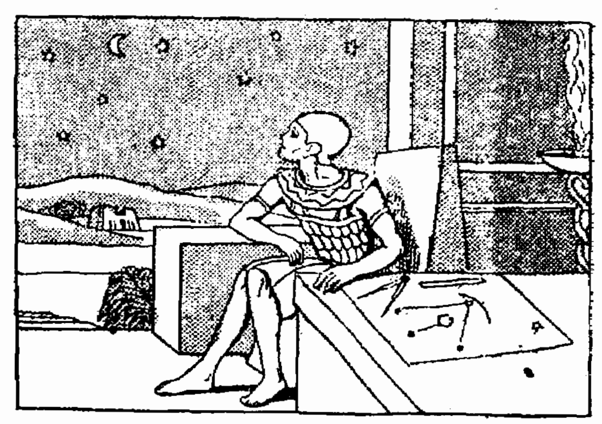
(داخل هرم زوسر وهو مغطى بالقاشانى)





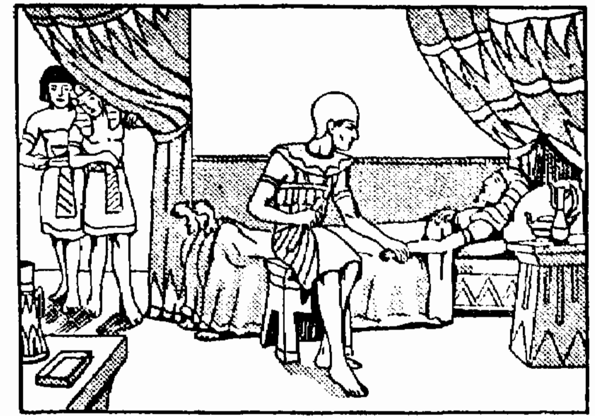
وَكَانَ امْحُوتبُ رَئِيسًا لِلْكَهَنَة ، يُصَلِّى بالنَّـاس كُلَّ يَوْم ، وَيرَأَسُ بَعْضَ الْحَفَلَاتِ الدِّينِيَّة : كَتَبْخِير تِمْثَـال الْإِلَه ، وَتَعْطِيره ، وَتَزْيِينه .

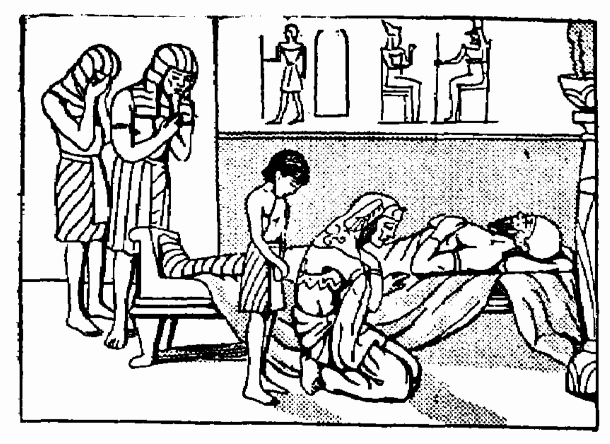
وَأَلَّفَ امْحُوتبُ كُتُبًا فى الْهَنْدَسَة ، والطِّبّ ، وَالْمَعْلُومَات الْعَامَّة .





وَكَانَ امْحُوتبُ مَيَّالًا لِدرَاسَــة النُّجُوم ، لاعْتقَاده أَنَّ لِلْكَوَاكِب أَثَرًا فى حَيَاة كُلّ انْسَان . وَاشْتَهَـرَ امْحُوتبُ كَطَبِيب ، وَكَانَ يَسْتَخْدم أَنوَاعًا مِنَ النَّبَات فى عِلَاج الْمَرْضَى الَّذِينَ يَزُورُونَهُ .



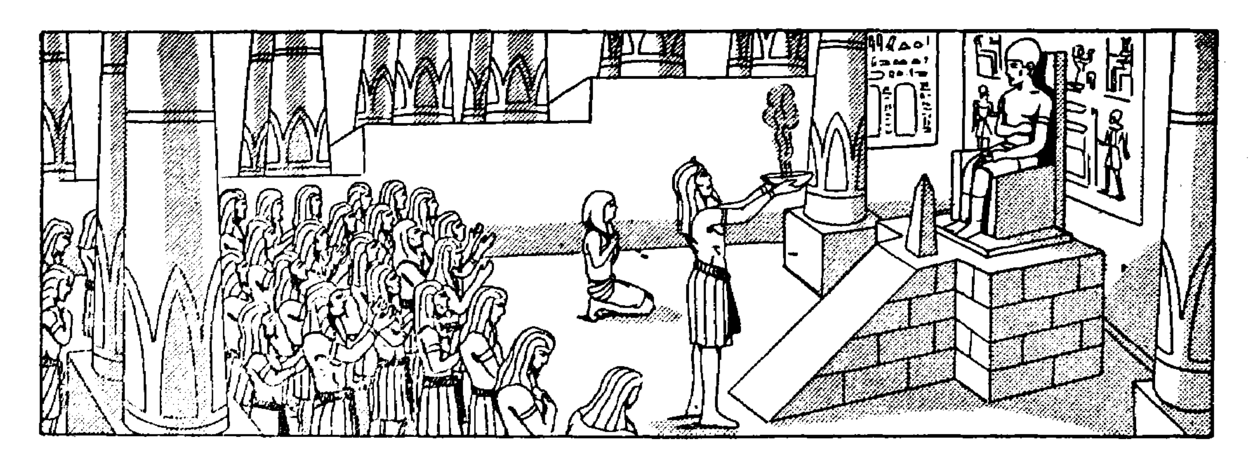


وَلَمَّا ظَهَرَتْ مَقْدرَتُهُ ، عَيَّنَهُ الْمَلِكُ زُوسَرُ طَبِيباً خَاصًّا لَهُ ، يُعَالِجُهُ ، إِذَا مَرِضَ ، فَنَجَحَ فى عَمَله نَجَاحًا تَامًّا .

وَبَعْدَ حَيَاة نَافعَة ، مَاتَ امْحُوتبُ ، فَحَزنَ عَلَيْه الْمصْرِيُّونَ .



وَيُقَالُ إِنَّهُ دُفنَ فى قَبْر كَانَ قَدْ أَعَدَّهُ لنَفْسه ، بالقُرْب منَ الْهَرَم الْمُدَرَّج ، وَبَنَى لَهُ النَّاسُ مَعْبَدًا فَخْمًا بجوَاره ، كَانَ يَزُورُهُ الْمَرْضَى وَالْمُصَابُونَ .



وَاعْتَرَفَ النَّاسُ بِفَضْلِ امْحُوتب ، فَأَقَامُوا لَهُ التَّمَاثِيلَ ، وَعَبَدَهُ الْكَثِيرُونَ ، ثُمَّ جَعَلُوهُ ، فِيمَا بَعْدُ ، إِلَهًا لِلطِّبِّ ، وَبِذَلِكَ كَانَ امْحُوتبُ عَظِيماً بَعْدَ مَمَاتِه ، كَمَا كَانَ عَظِيماً فِي حَيَاتِه .

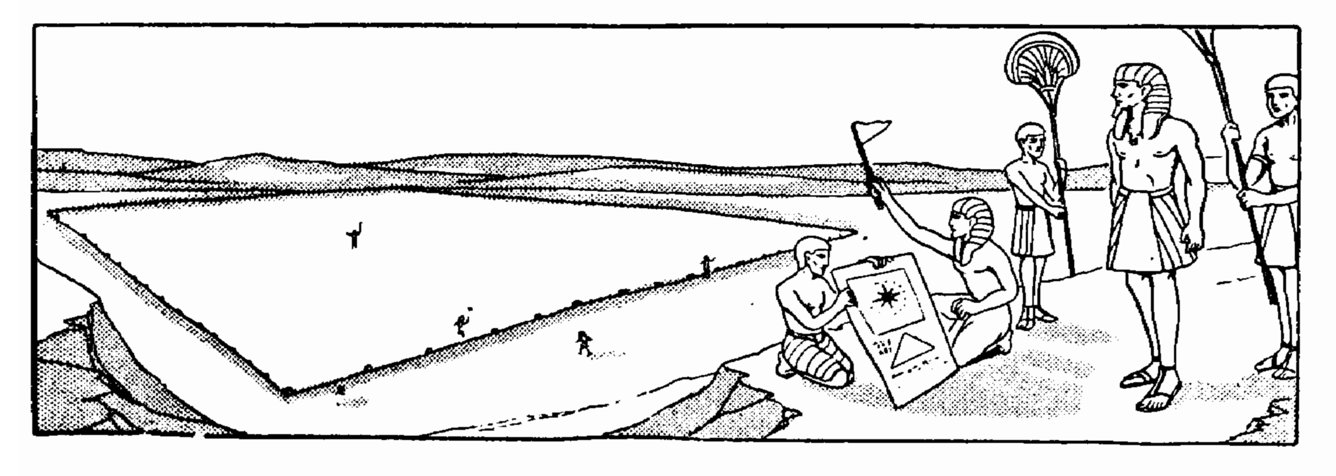


(تمثـال الملك خوفو)

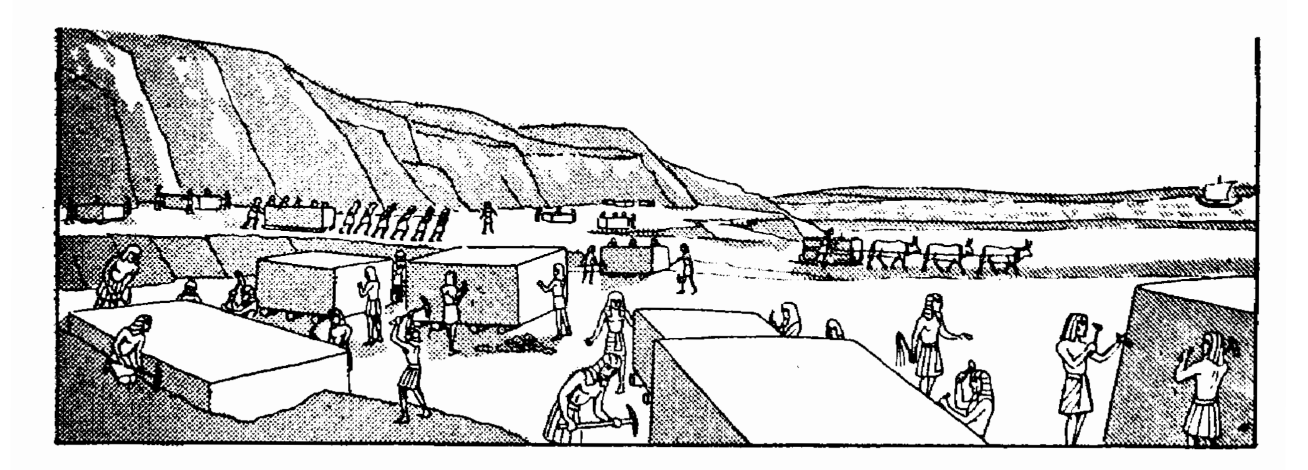
خوفو والهرم الأكبر



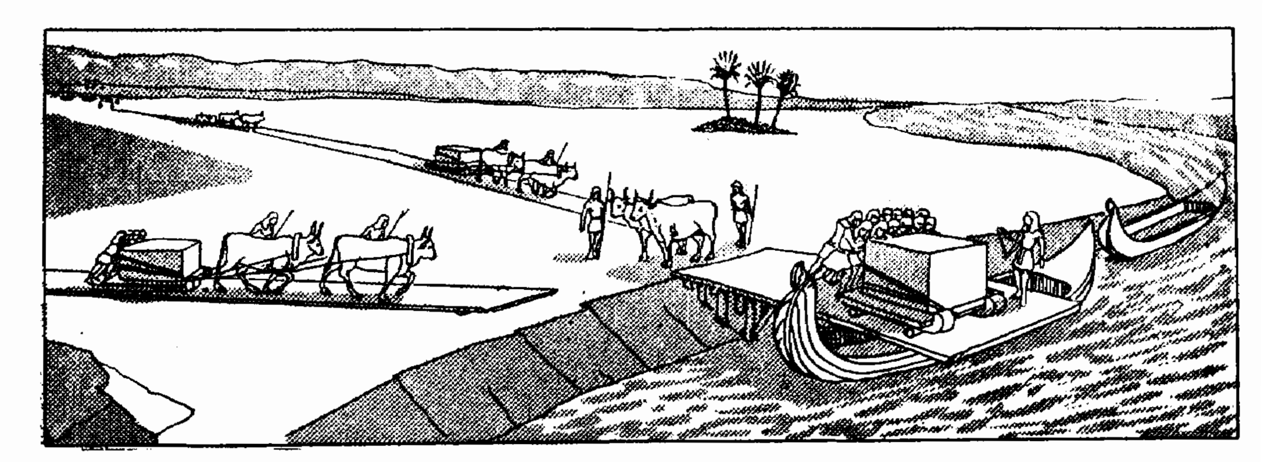
بَعْدَ وَفَاة زُوسَرَ وامْحُوتِبَ بعدَّة سنينَ ، حَكَمَ مصرَ ملكٌ عَظيمٌ ، يُسَمَّى خُوفُو ، كَانَ أَوَّلَ مَا فَكَّرَ فيه أَنْ يَبْنِيَ قَبْرًا عَظيمًا تُدْفَنُ فيه جُثَّتُهُ ، بعدَ وَفَاته .



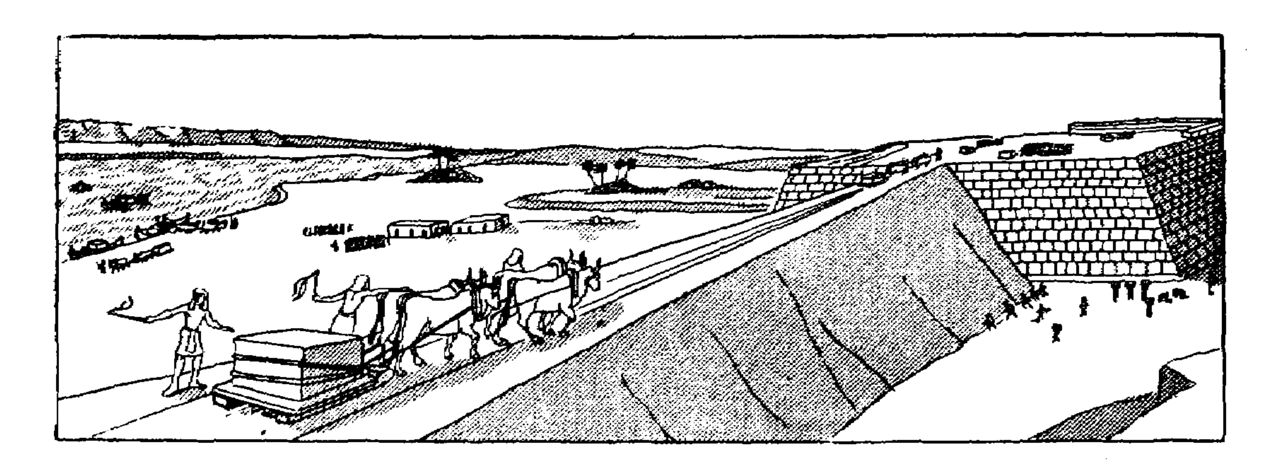
فَاخْتَارَ صَحَرَاءَ الْجيزَة الْمُرْتَفعَةَ ، لِيُقيمَ عَلَى قطْعَة منْهَا ، مَسَاحَتُهَا اثْنَا عَشَرَ فَدَّانًا ، هَرَمًا ضَخْمًا ، يَكُونُ ارْتفَاعُهُ ١٤٥ مترًا ، وَتَكُون أَوْجُهُهُ مُقَابلَةً لِلْجهَات الأَرْبَع الأَصْليَّة



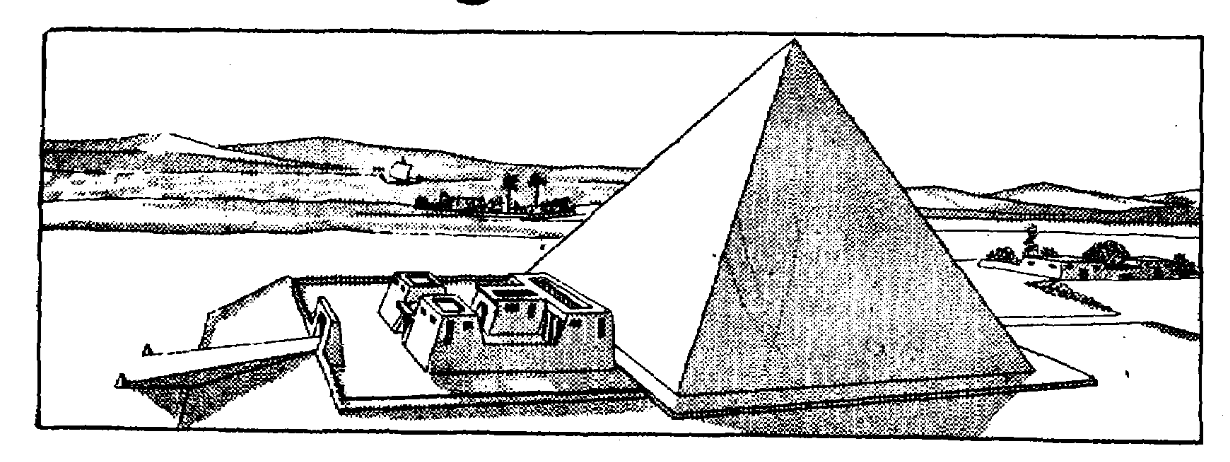
وَلَمَّا كَانَ الفَلَّاحُونَ لَا يَشْتَغلُونَ بالزّرَاعَة زَمَنَ الْفَيَضَان ، لأَنَّ المَاء يُغَطّى الْأَرَاضىَ ، فى ذَلكَ الْوَقْت ، اسْتَخْدَمَ خُوفُو الْآلَافَ منْهُمْ ليَقْطَعُوا الْأَحْجَارَ منَ الْجهَات الْمُجَاورَة ويَنْحَتُوهَا ،



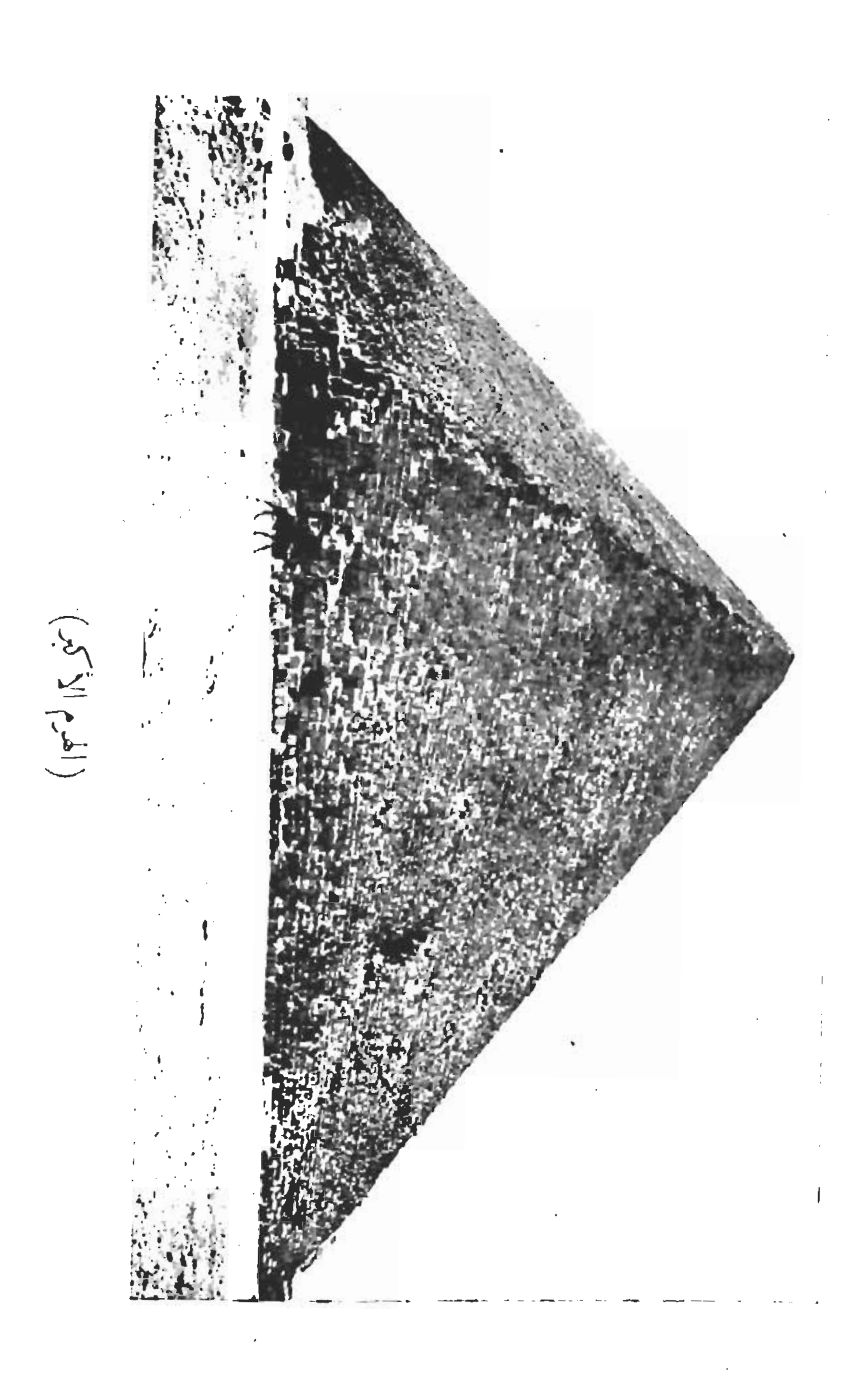
ثُمَّ يَضَعُوا كُلَّ حَجَر عَلَى كُتَل منَ الْخَشَب ، وَيَرْبُطُوهُ فيهَا بحبَال ، لتَجُرَّهُ الثّيرَانُ إلَى سَفينَة رَاسيَة عنْدَ شَاطئ النّيل الأَيْمَن ، وَهَذه تَعْبُرُ النَّهْرَ به إلَى الشَّاطئ الْأَيْسَر .



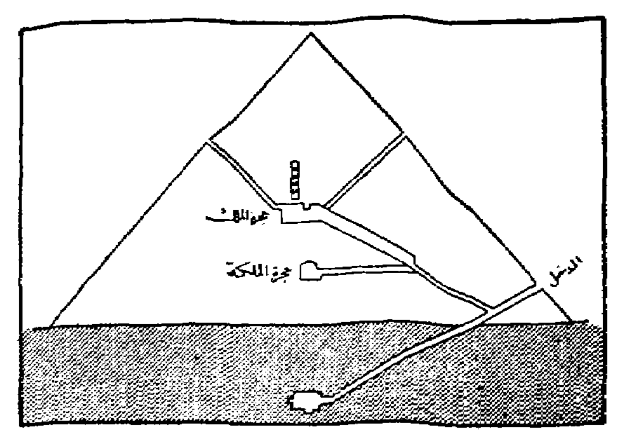
وَهُنَاكَ تَرْفَعُهُ الثِّيرَانُ وَالْعُمَّالُ إِلَى مَكَانِ الْبِنَاءِ ، عَلى طَرِيق مَرْصُوف . وَكُلَّمَا بَنَى الْبَنَّاءُونَ صَفًّا مِنَ الحِجَارَةِ ، مَدُّوا هَــذه الطَّرِيقَ إِلَيْه ، حَتَّى يَسْهُلَ وَضعُ كُلِّ حَجَر فى مَكَانه .

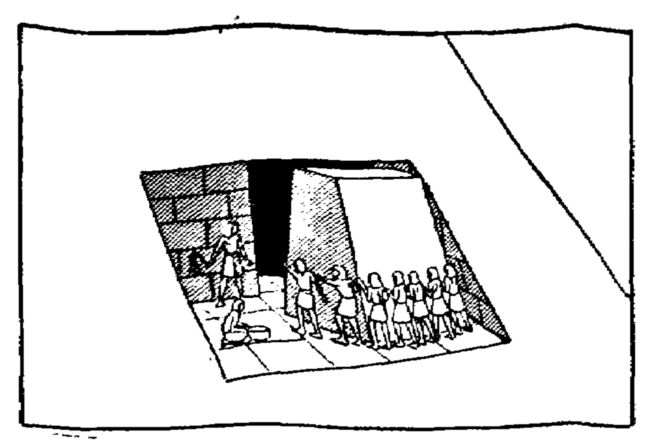


وَلَقَدْ تَمَّ هَـذَا الْبِنَاءُ فى عشرِينَ عَامًا ، ثُمَّ غُطِّىَ سَطْحُهُ بِطَبَقَة حَجَرِيَّة لَامِعَة ، جَعَلَتْهُ كَصَخْرَة وَاحِدَة . ثُمَّ بُنِىَ بِجوَاره مَعْبَدٌ عَظِيمٌ . فَأَصْبَحَ هَرَمُ خُوفُو عَجِيبَةً من عَجَائِب الدُّنْيَا ،

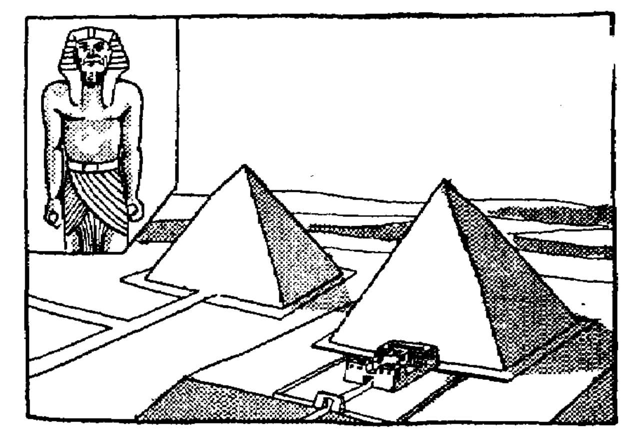


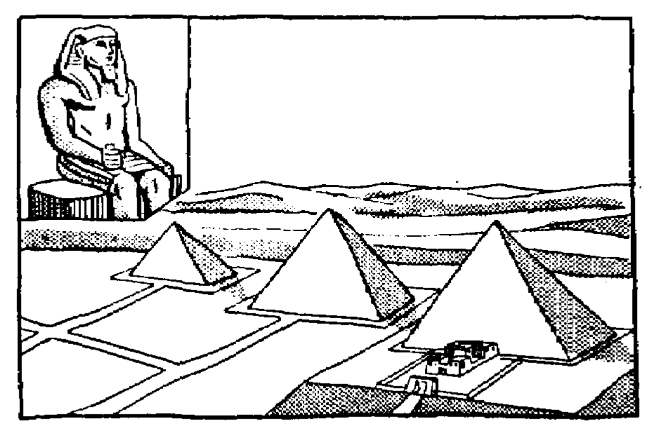
(الهرم الأكبر)





وَيُمْكِنُ دُخُولُ الْهَرَم مِنَ الْجِهَةَ الْبَحْرِيَّة ، وَالسَّيْرُ فِى مَمَرَّات إِلَى حُجْرَتَيْن ، إِحْدَاهُمَا دُفِنَ فِيهَا خُوفُو ، وَالأُخْرَى دُفِنَتْ بِهَا زَوْجُهُ ، ثُمَّ سُدَّ الْمَدْخَلُ وَغُطِّىَ ، كَبَاقِى الْجُذْرَان .





وَحِينَمَا تَوَلَّى خَفْرَعُ بَعْدَ أَبِيه ، بَنَى لِنَفْسِه هَرَمًا أَصْغَرَ قَلِيلاً مِنْ هَرَم خُوفُو . كَذَلِكَ بَنَى مَنْقَرَعُ هَرَمًا ثَالِثًا أَصْغَرَ مِنَ الْهَرَمَيْن السَّابِقَيْن ، وَلَكِنَّهُ تَمَّ بَعْدَ وَفَاته .



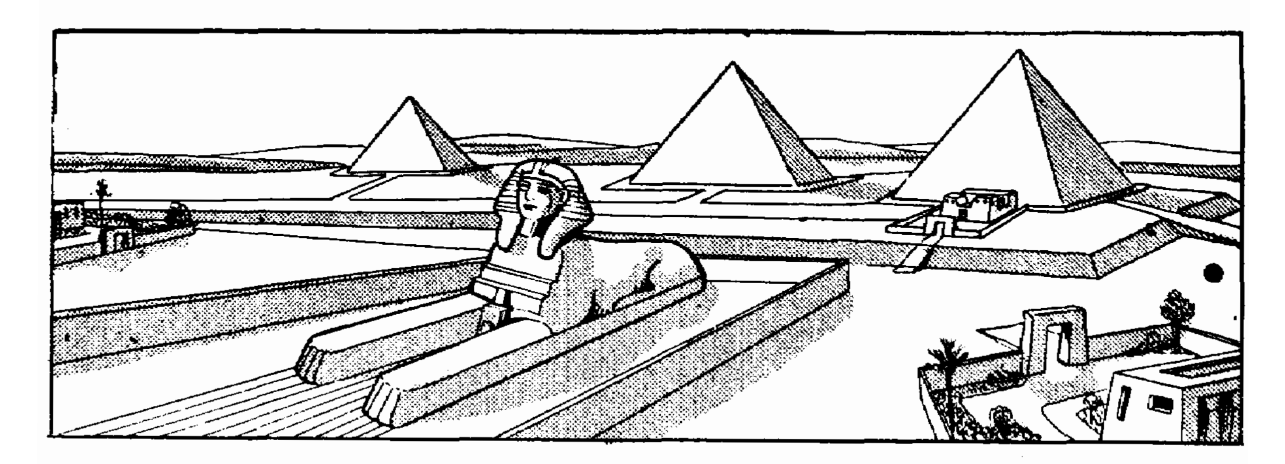
(الملك خفرع)



(الملك منقرع وزوجته)

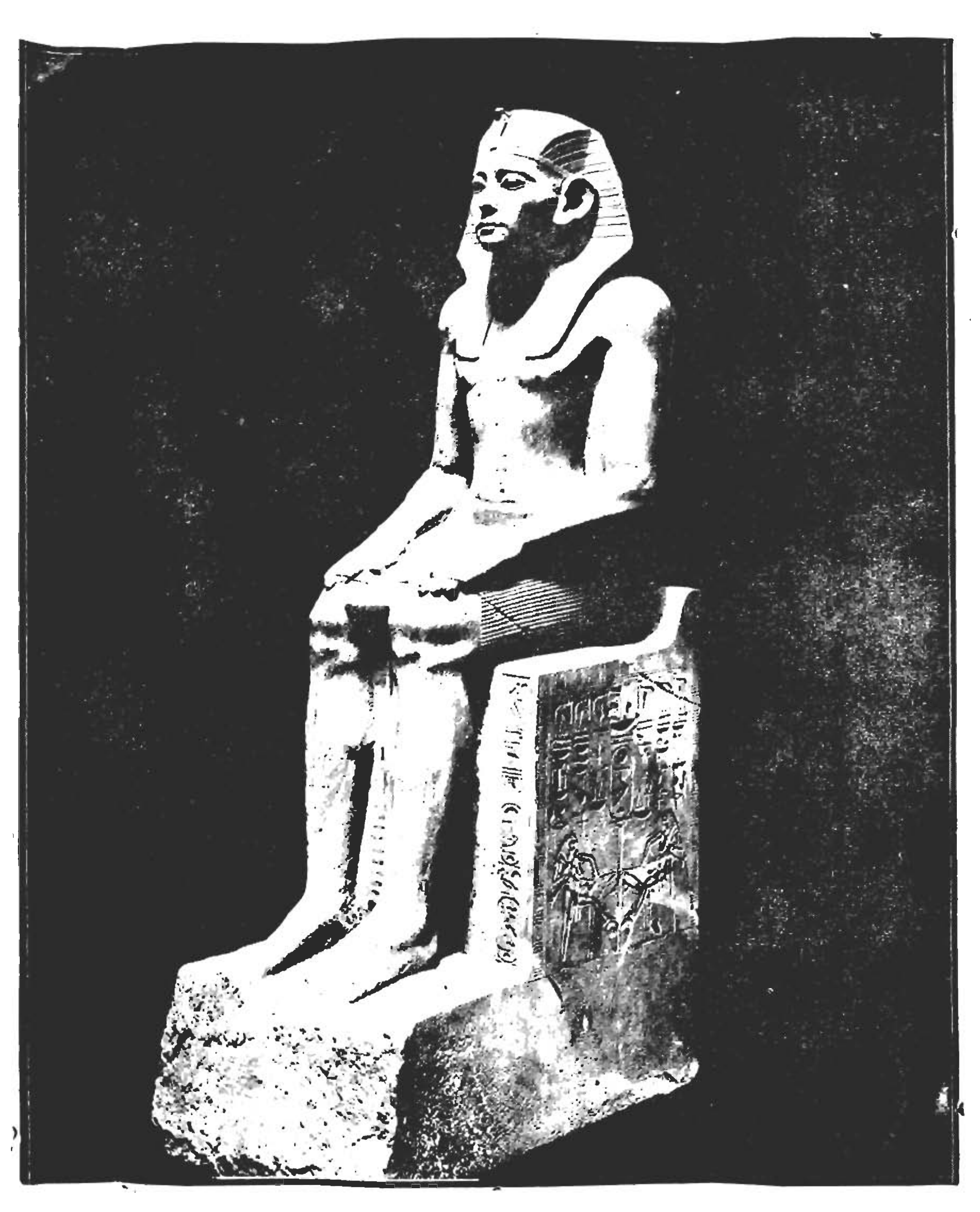


(الأهرام وأبو الهول)



وَبِجِوَار الْأَهْرَام نُحتَ تِمْثَالُ أَبِي الْهَوْل مِنْ صَخْرَة طَبِيعِيَّة ، عَلَى شَكْل أَسَد عَظِيم جَالِس ، رَأْسُهُ رَأْسُ إِنْسَان .

وَلَكِنَّ هَذِه الآثَار لَمْ تَبْقَ عَلَى حَالِهَا : فَقَدْ تَهَدَّمَتْ قِمَّة الْهَرَم الأَكْبَر ، وَزَال غِطَاؤُهُ ، وَسُرِقَ مَا بِدَاخِله . كَذَلِكَ زَالَ غِطَاءُ الْهَرَمَيْن الأَوْسَط وَالأَصْغَر ، وَتَهَشَّم جُزْءٌ مِنْ وَجْه أَبِي الْهَوْل ، الَّذِي يُمَثِّلُ الْمَلِك خَفْرَع .



(تمثال امنمحات الثالث)

قصة امنحات الثالث

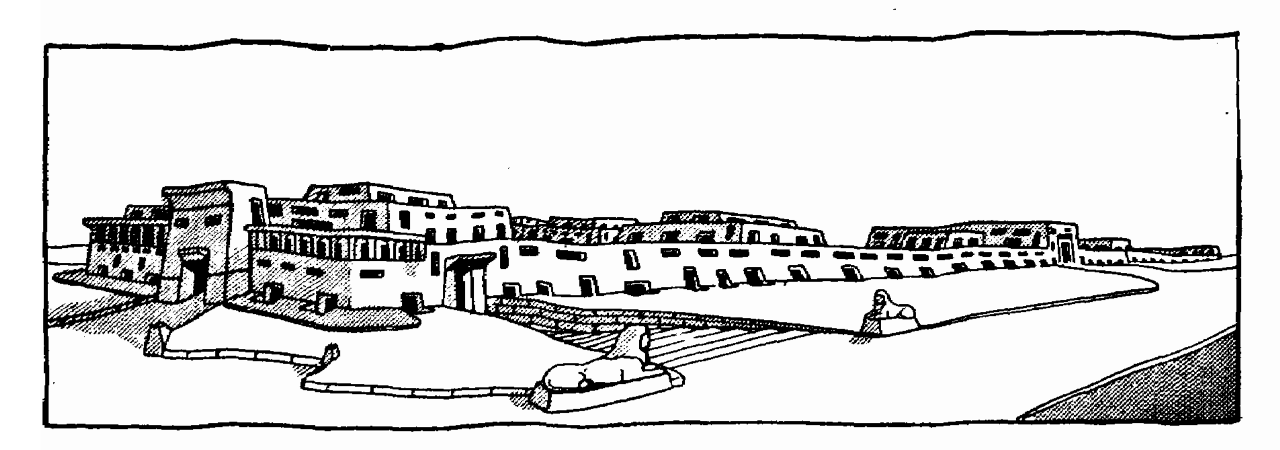


بَعْــدَ خُوفُو بِأَلْف سَــنَة تَقْرِيبًا ، حَكَمَ مصْرَ مَلِكٌ شَهِــيرٌ ،
يُسَمَّى امنمحات الثَّالثَ ، اشْــتَرَكَ مَعَ أَبِيــه فى الْحُــكْم ،
مُنْــذُ صغَره ، فَأَظْهَرَ نَشَاطًا عَظيمًا ، وَمَهَارَةً كَبِــيرَةً .

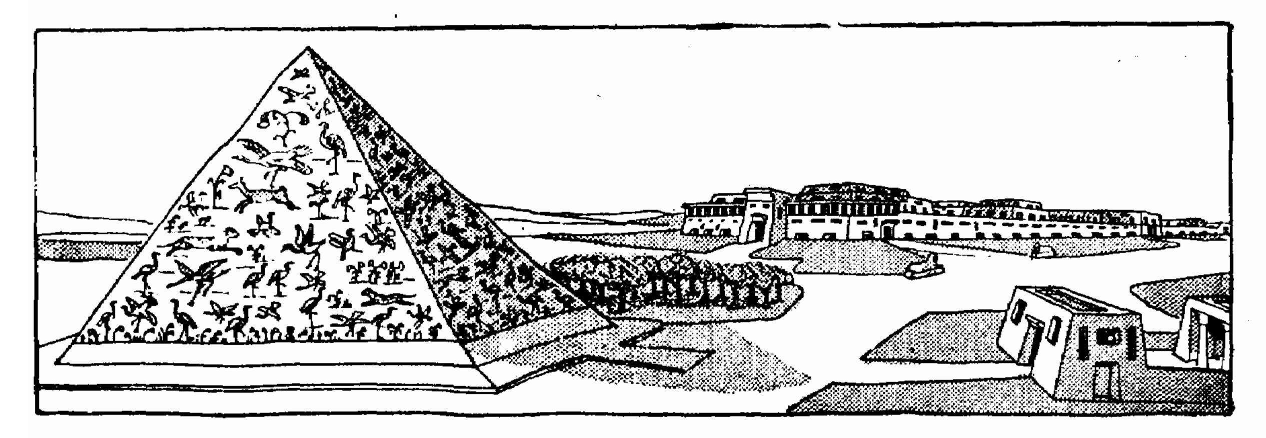




وَفى حَيَاة وَالده ، تَزَوَّجَ أُخْتَهُ الصَّــغيرَةَ ، وَذَلكَ حَتَّى
لَا تُنَازِعهُ الْمُلْكَ فيمَا بَعْــدُ . وَلَمَّا جَلَسَ عَلَى الْعَرْش ، بَعْدَ
مَوْت أَبِيــه ، أَخَذَ يُفَكِّرُ فى مَشْرُوعَات تُفيــدُ الْبِــلَادَ .



فَوَجَّهَ عِنَايَتَهُ إِلَى الْفَيُّوم ، الَّتِى جَعَلَهَا الْعَاصِمَةَ ، وَبَنَى بِهَا قَصْراً عَجِيباً ، سَمَّاهُ النَّاسُ التِّيهَ[1] ، وَكَانَ يَحْوِى ثَلَاثَةَ آلَافِ حُجْرَة ، اسْتُعْمِلَ بَعْضُهَا لِلْعِبَادَة ، وَجُعِلَ الْبَعْضُ مَقَرًّا لِلْحُكُومَة .



وَبَنَى امنمحَاتُ الثَّالِثُ ، بِجِوَارِ هَذَا الْقَصْر ، هَرَماً مِنَ اللَّبِن ، أَصْغَرَ مِنْ هَرَم خُوفُو ، وَكَسَاهُ طَبَقَةً مِنَ الْحَجَر الْجِيرِىّ ، نَقَشَ عَلَيْهَا رُسُوماً زَاهِيَةَ الْأَلْوَان ، زَالَتْ بِمُرُور الْأَيَّام .

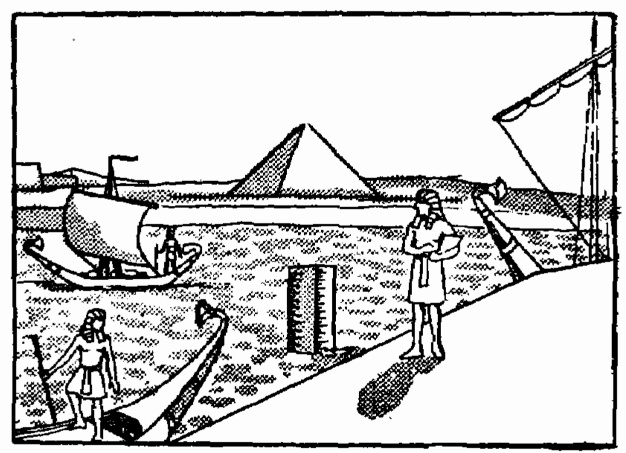
(١) لأن من يدخله كان يتيه فيه . ولم يبق من هذا القصر سوى أحجار مبعثرة فى الفيوم .



(قنا قصر الابريت)



وَكَانَ امنمْحَاتُ يُفَكِّرُ دَائِمًا فى الْإِصْلَاحِ : فَاهْتَمَّ بالزِّرَاعَة ، وَأَقَامَ بالْفَيُّوم خَزَّانًا ، يَنْتَفعُ الْفَلَّاحُونَ بِمَا يُخْزَنُ فيه منَ الْمَاء ، وَقْتَ انْخفَاض النِّيـل ؛ كَمَا أَنَّهُ أَصْلَحَ بَعْضَ الْأَرَاضى الْمُجَاورَة .

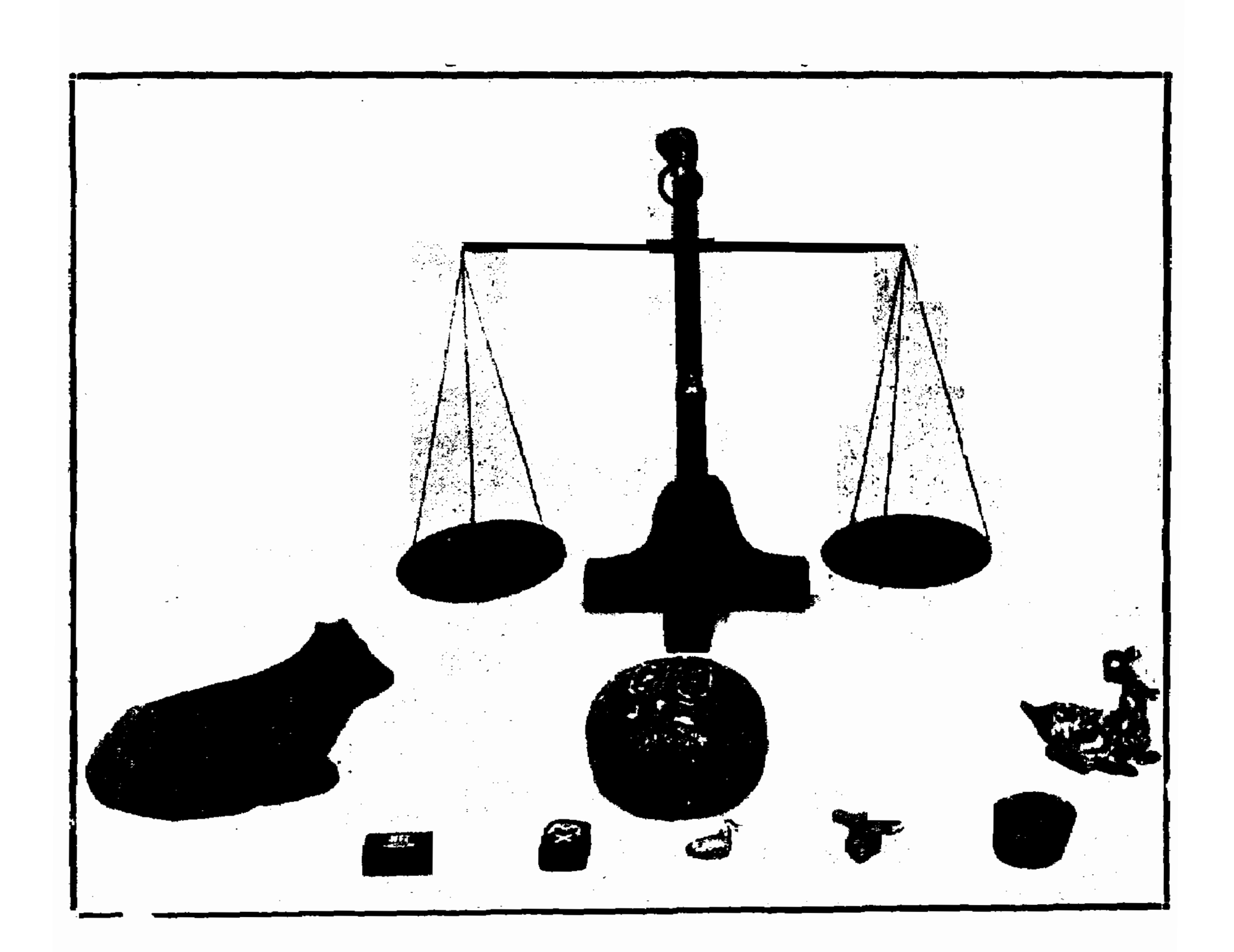




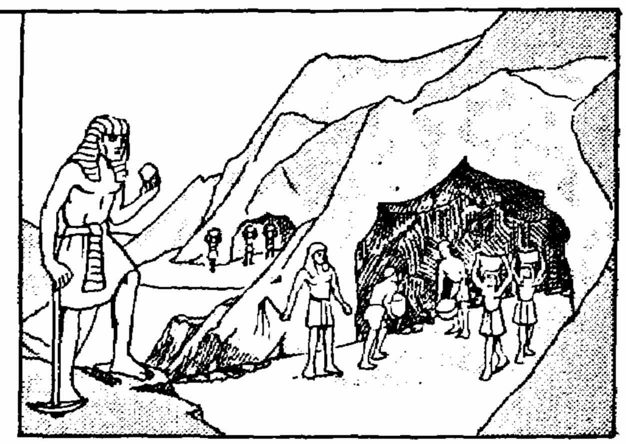
وَبَنَى مقْيَاسًا للنّيل ، ليُعْرَفَ به ارْتفَاعُ الْمَاء ، وَقْتَ الْفَيَضَان [1] .

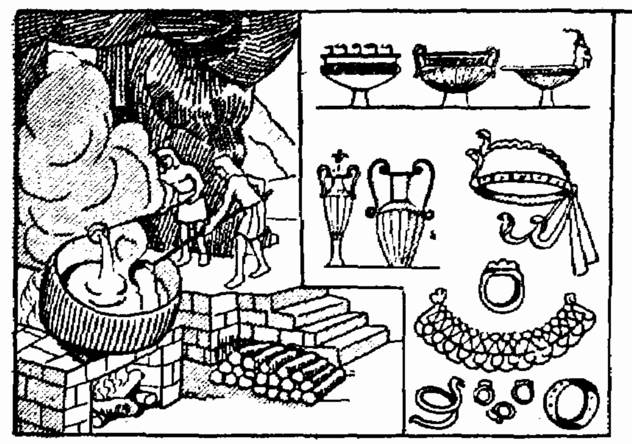
وَعُنِىَ امنمْحَاتُ بتَرْقيَة التّجَارَة : فَوَضَعَ للنَّاس مَوَازِينَ خَاصَّـةً يَسْتَعْملُونَهَا فى بَيْعهمْ وَشرَائهمْ ، وَيَعْرفُونَ بهَا مَقَادِيرَ الْأَشْيَاء .

(١) فإن كان عاليا غمر كثيرا من الأراضى ، فكثر المحصول وزادت الضرائب ، وإن كان منخفضا قل المحصول ونقصت الضرائب .

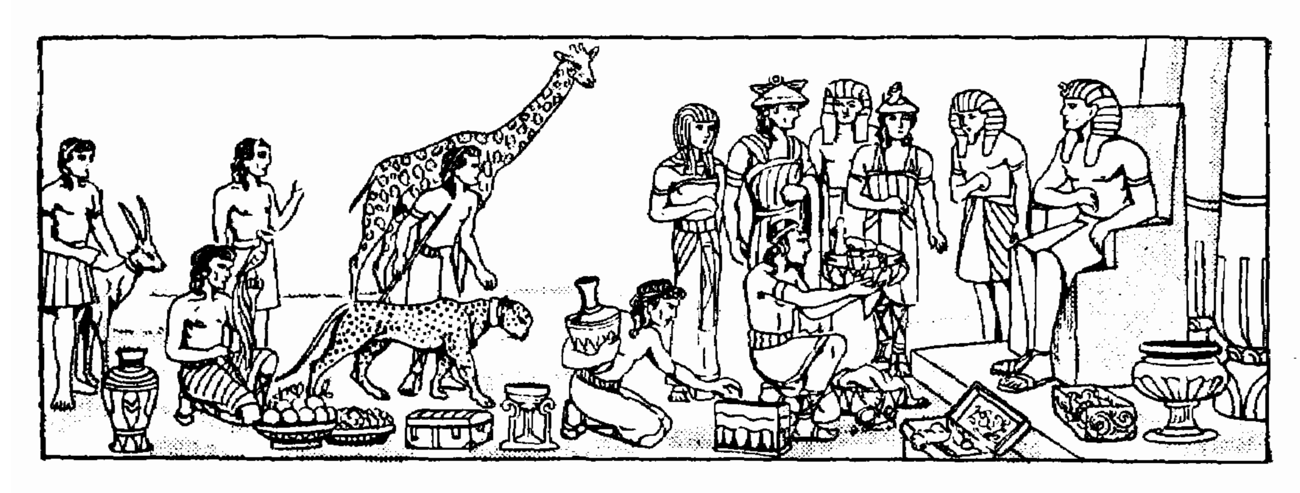


(ميزان مصرى قديم)

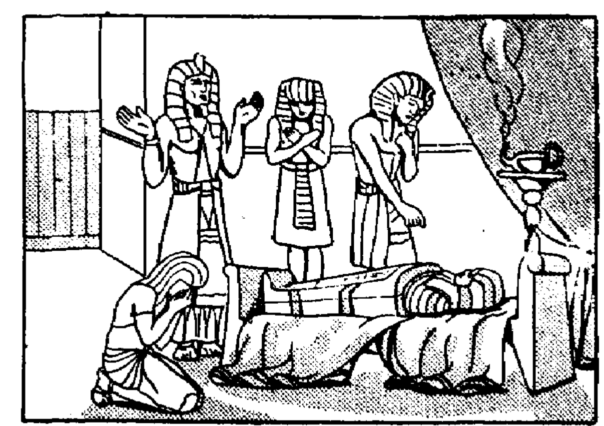


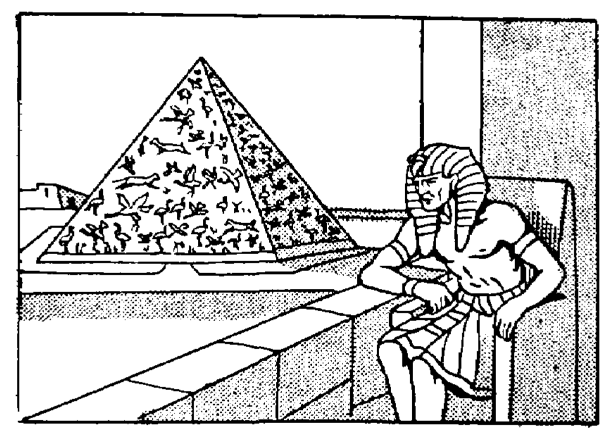


كَمَا أَنَّهُ نَظَّمَ الْمَنَاجِمَ وَالْمَحَاجِرَ الْمِصْرِيَّةَ ، وَاسْتَخْرَجَ مِنْهَا مَعَادِنَ وَأَحْجَارًا كَثِيرَةً ، كَانَتْ تُصْنَعُ مِنْهَا حُلِيٌّ ثَمِينَةٌ وَتَمَاثِيلُ بَدِيعَةٌ ، تُقَدَّمُ هَدَايَا لِلْأَصْدِقَاءِ ، أَوْ تُبَاعُ لِلنَّاسِ فِى الْأَسْوَاقِ .



وَجَعَلَ امنمحاتُ عَلَاقَتَهُ بِجِيرَانِهِ طَيِّبَةً ، فَكَانَ يُهْدِى إِلَيْهِمُ الْهَدَايَا ، وَهُمْ يُقَدِّمُونَ لَهُ مِثْلَهَا . وَقَوِيَتْ الصَّدَاقَةُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَهْلِ الشَّامِ ، فَكَانَ أُمَرَاؤُهُمْ يَتَزَوَّجُونَ مِنْ بَنَاتِ أُسْرَتِهِ .

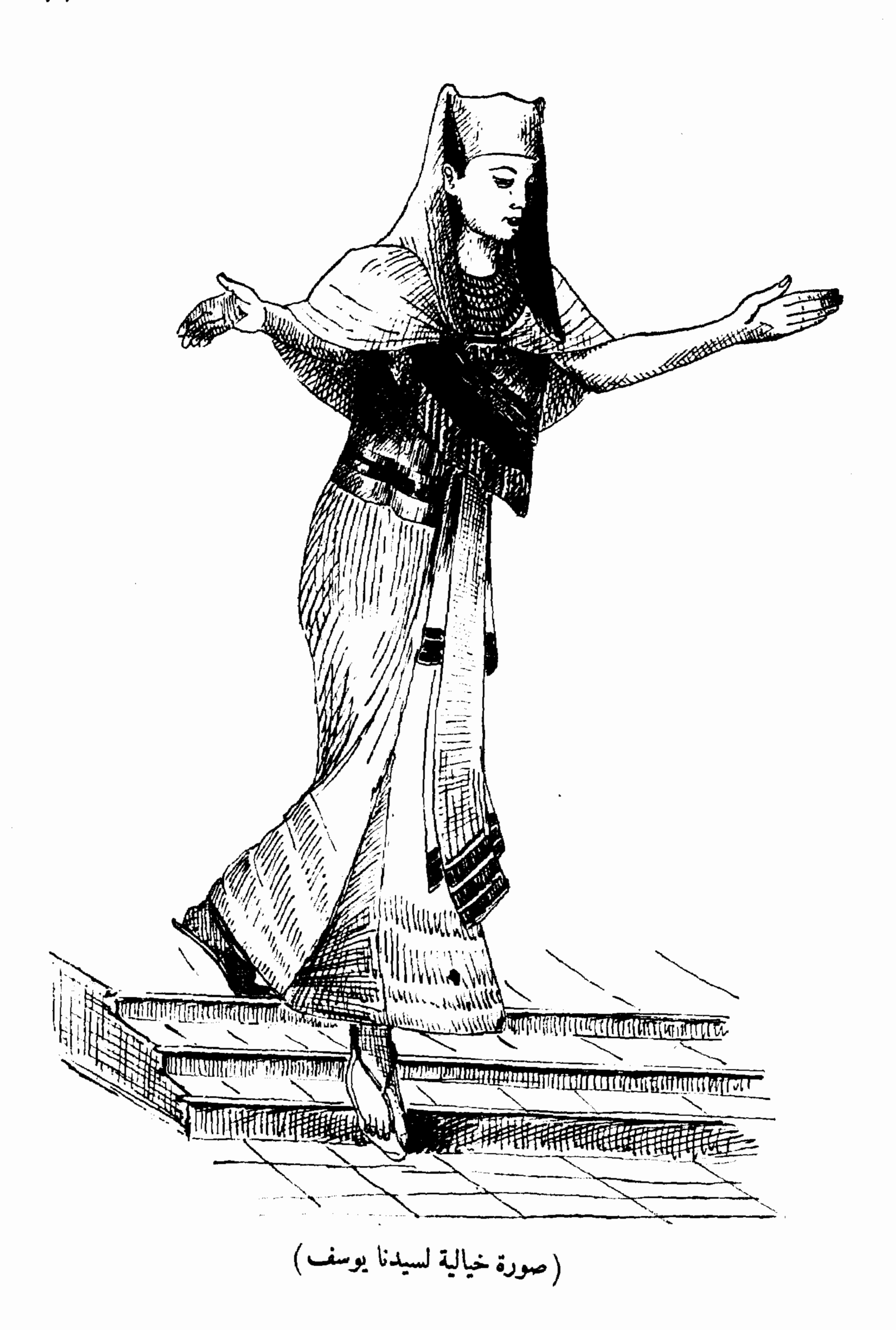




وَاسْتَمَرَّ هَـــذَا الْمَلِكُ يَعْمَلُ لِخَيْرِ مِصْرَ ، حَتَّى مَاتَتْ بِنْتُهُ ، وَكَانَ يُحِبُّهَا حُبًّا كَثِيراً ، فَحَزِنَ عَلَيْهَا ، وَاشْــتَدَّ بِهِ الْحُــزْنُ فَمَاتَ ، وَدُفِنَ بِهَــرَمِهِ فِي الْفَيُّومِ[1] ، وَكَانَتْ أَيَّامُهُ كُلُّهَا رَخَاءً .

---

(١) ولكن اللصوص سطت على قبره فيما بعد ولم يتركوا به شيئا .

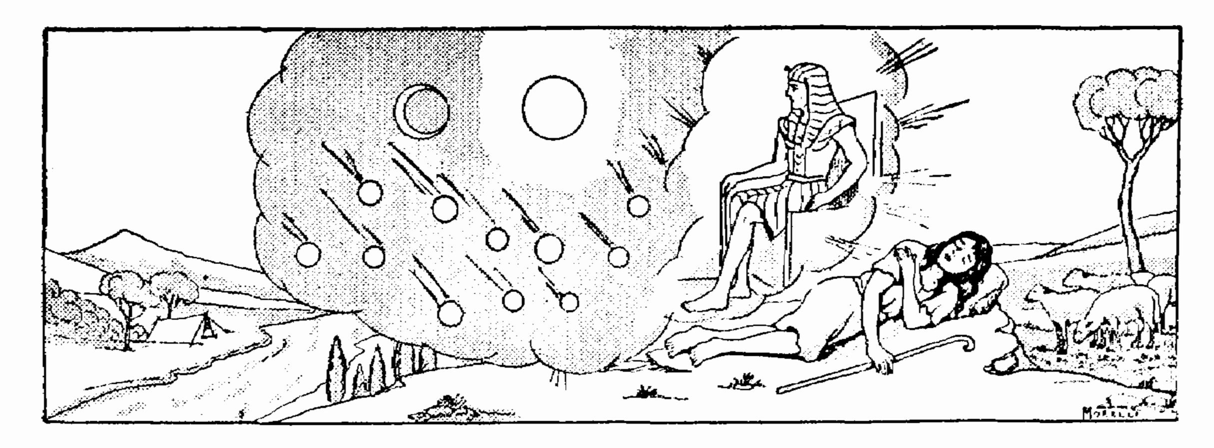


(صورة خيالية لسيدنا يوسف)

قصة سيدنا يوسف

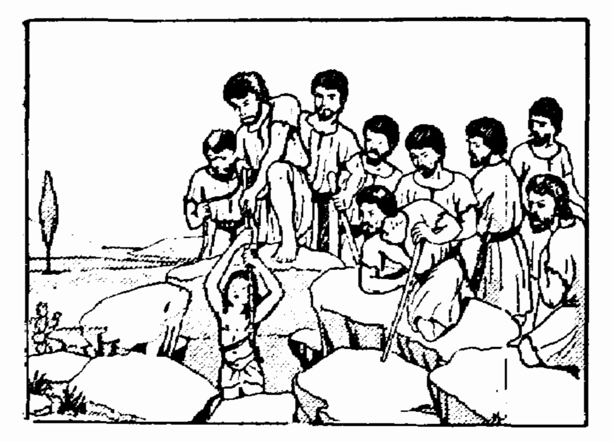


مُنْذُ آلَافِ السِّنِينَ ، عَاشَ بِأَرْضِ فِلَسْطِينَ ، الْمُجَاوِرَةِ لِمِصْرَ ، نَبِيٌّ يُسَمَّى يَعْقُوبَ أَوْ إِسْرَائِيلَ ، كَانَ لَهُ اثْنَا عَشَرَ وَلَدًا ، مِنْ أَصْغَرِهِمْ يُوسُفُ ، وَكَانَ جَمِيلَ الشَّكْلِ ، حَسَنَ الْأَخْلَاقِ ، فَأَحَبَّهُ وَالِدُهُ .

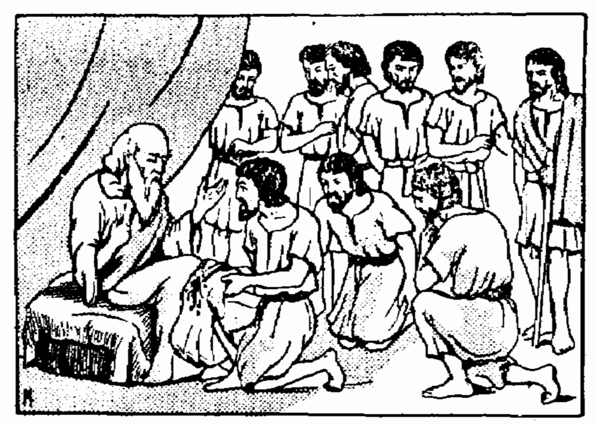


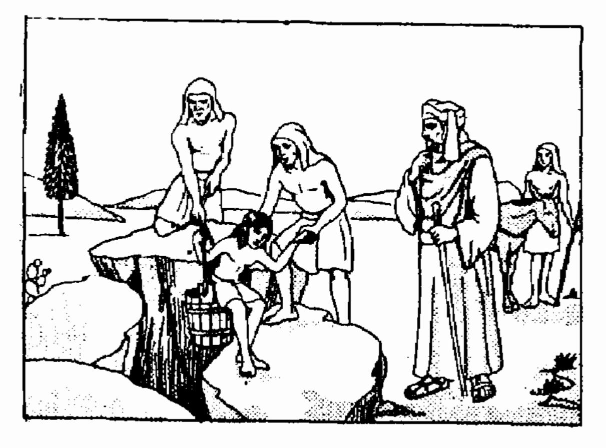
رَأَى يُوسُفُ فِي مَنَامِهِ ، ذَاتَ لَيْلَةٍ ، أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَهُ سَاجِدِينَ ، وَلَمَّا قَصَّ الرُّؤْيَا عَلَى أَبِيهِ ، أَمَرَهُ أَنْ يُخْفِيَهَا عَنْ إِخْوَتِهِ ، لِأَنَّهُ سَيُصْبِحُ عَظِيمًا





وَكَانَ إخْوَةُ يُوسُفَ يَكْرَهُونَهُ ، لأَنَّ أَبَاهُمْ يُحِبُّهُ أَكْثَرَ مِنْهُمْ ، فَاتَّفَقُوا عَلَى التَّخَلُّص مِنْهُ ، وَفِى يَوْمٍ مِنَ الأَيَّامِ ، خَرَجُوا وَأَخَذُوهُ مَعَهُمْ ، وَأَلْقَوْهُ فِى بِئْرٍ بِهَا مَاءٌ قَلِيلٌ .





وَعَادُوا إِلَى أَبِيهِمْ يَبْكُونَ ، وَمَعَهُمْ قَمِيصٌ مُلَوَّثٌ بِالدَّمِ ، وَقَالُوا إِنَّ الذِّئْبَ أَكَلَ يُوسُفَ ، فَحَزِنَ يَعْقُوبُ . وَلَكِنْ مَرَّ بِالْبِئْرِ رِجَالٌ أَنْزَلَ أَحَدُهُمْ فِيهِ إِنَاءً لِيَمْلأَهُ ، فَتَعَلَّقَ بِهِ يُوسُفُ .



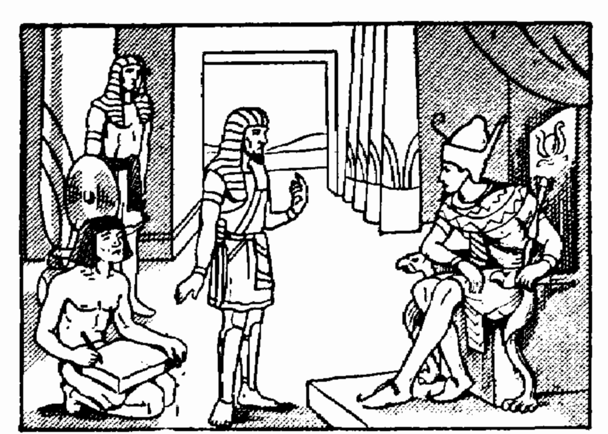


فَلَمَّا رَآهُ الرِّجالُ فَرِحُوا ، وَأَخَذُوهُ إلَى مصْرَ ، وَبَاعُوهُ لِرَئِيس جَيْش فِرْعَوْنَ ، فَأَكْرَمَهُ ، وَلَكنَّهُ غَضبَ عَلَيْه ، ذَاتَ يَوْم ، وَسَجَنَهُ ، وَفى السِّجْن اشْتَهَـــرَ يُوسُفُ بِالْقُدْرَة عَلَى تَفْسيرِ الْأَحْلَامِ .

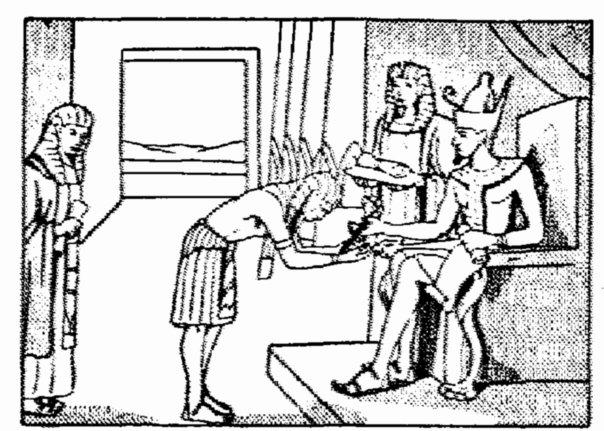


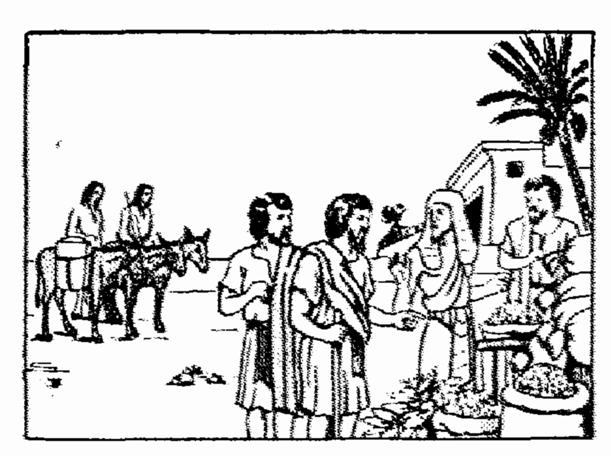
رَأَى فِرْعَوْنُ فى نَوْمه ، سَبْعَ بَقَـــرَات ضعَاف تَأْكُلُ سَبْعَ بَقَرَات سمَان ، وَسَبْعَ سَنَابلَ خُضْر الْتَفَّتْ عَلَيْهَا سَبْعُ سَنَابلَ جَافَّة ، فَأَزْعَجَتْهُ هَذه الرُّؤْيَا ، وَلَمْ يَسْتَطعْ أَحَدٌ تَفْسيرَهَا لَهُ .



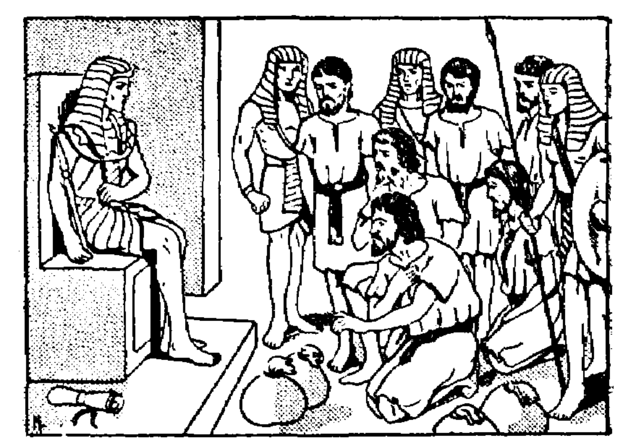


فَلَمَّا عَلِمَ يُوسُفُ بالرُّؤْيَا ، فَسَّرَهَا بأَنَّهُ تأْتى سَبْعُ سَنَوَات يَكْثُرُ فيهَا الْمَحْصُولُ ، تَأْتى بَعْدَهَا سَبْعُ سَنَوَات لَا تُثْمرُ فيهَا الأَرْضُ . وَنَصَحَ بالاقْتصَادُ ، فى زَمَن الرَّخَاء ، لتَخفَّ الْمَجَاعَةُ .





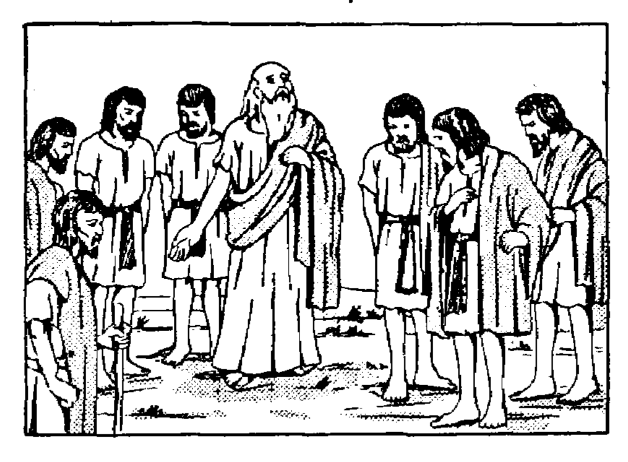
سُرَّ الْمَلكُ بتَفْسير يُوسُفَ ، فَأَخْرَجَهُ منَ السّجْن ، وَجَعَلَهُ وَزيراً ؛ وَلَمَّا تَحَقَّقَت الرُّؤْيَا ، خَزَنَ يُوسُفُ الْحَبَّ ؛ وعَنْدَ مَا حَدَثَت الْمَجَاعَةُ ، شَملَتْ فلَسْطينَ ، فَجَاءَ إخْوَتُهُ إلَى مصْرَ ، ليَشْتَرُوا الْغلَالَ .



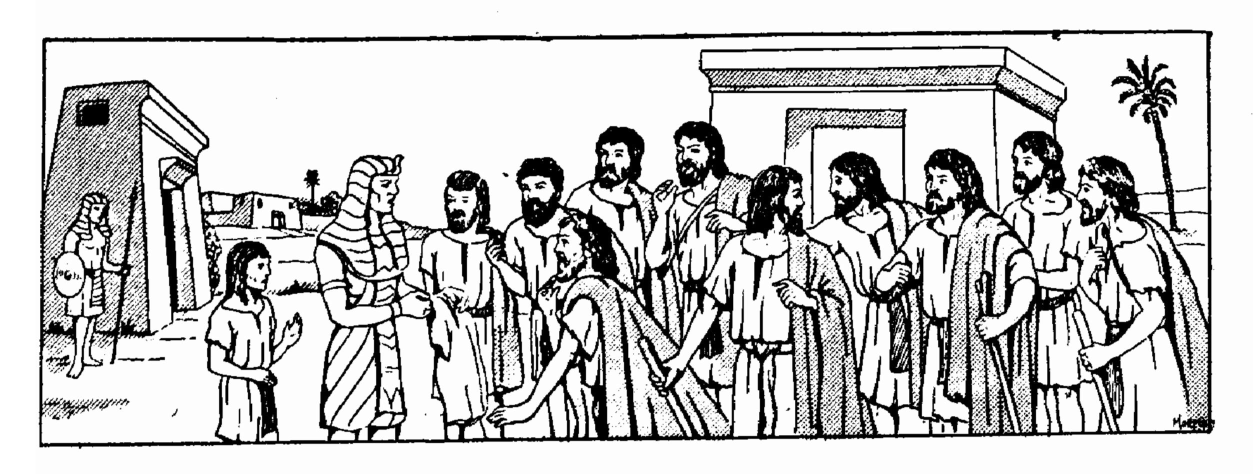


فَأَعْطَاهُمْ مَا طَلَبُوا ، دُونَ أَنْ يُعَرِّفَهُمْ بِنَفْسِهِ ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يُحْضِرُوا أَخَاهُمُ الْأَصْغَرَ ، إِذَا جَاءُوا مَرَّةً أُخْرَى ، وَإِلَّا مَنَعَ عَنْهُمُ الْحُبُوبَ ، فَلَمَّا رَجَعُوا وَأَخْبَرُو أَبَاهُمْ ، لَمْ يَرْفُضْ .





جَاءَ بَنُو إِسْرَائِيلَ ، فِى الْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ ، وَمَعَهُمْ أَصْغَرُ إِخْوَتِهِمْ ، فَأَخَذَهُ يُوسُفُ مِنْهُمْ ، وَأَعْطَاهُمُ الغِلَالَ . وَلَمَّا عَلِمَ يَعْقُوبُ بِفَقْدِ وَلَدِهِ الثَّانِى ، اشْتَدَّ حُزْنُهُ وَضَاعَ بَصَرُهُ .

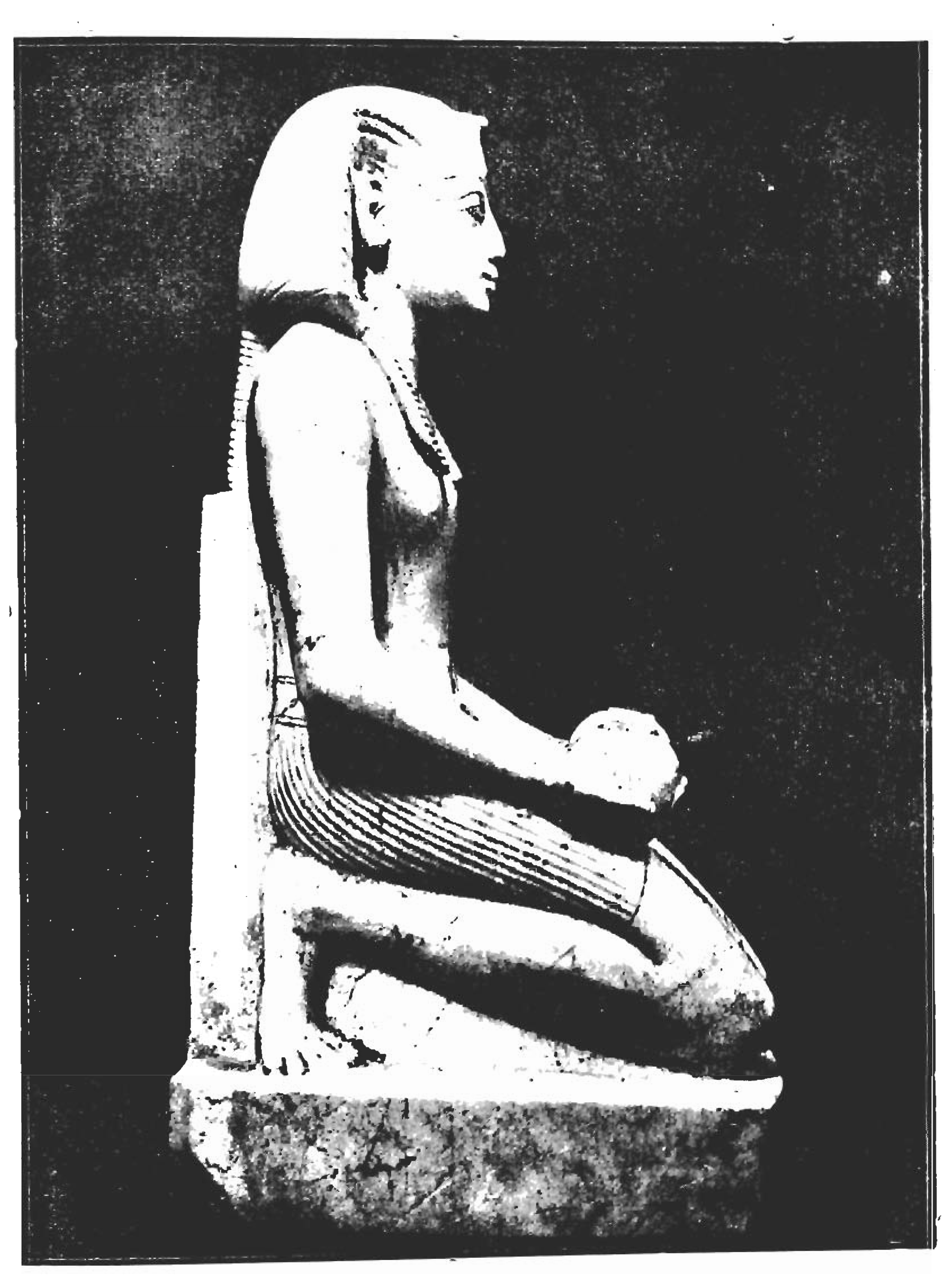


وَلَكِنَّهُ لَمْ يَيْأَسْ ، وَأَرْسَلَ أَبْنَاءَهُ إِلَى مِصْرَ ، لِيَسْتَرِدُّوا أَخَاهُمْ ، فَلَمَّا عَرَفَ يُوسُفُ مَا حَدَثَ ، عَرَّفَهُمْ بِنَفْسِهِ ، وَعَفَا عَنْهُمْ ، وَأَعْطَاهُمْ قَمِيصَهُ ، لِيُلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ وَالِدِهِ ، فَيَعُودَ إِلَيْهِ بَصَرُهُ .

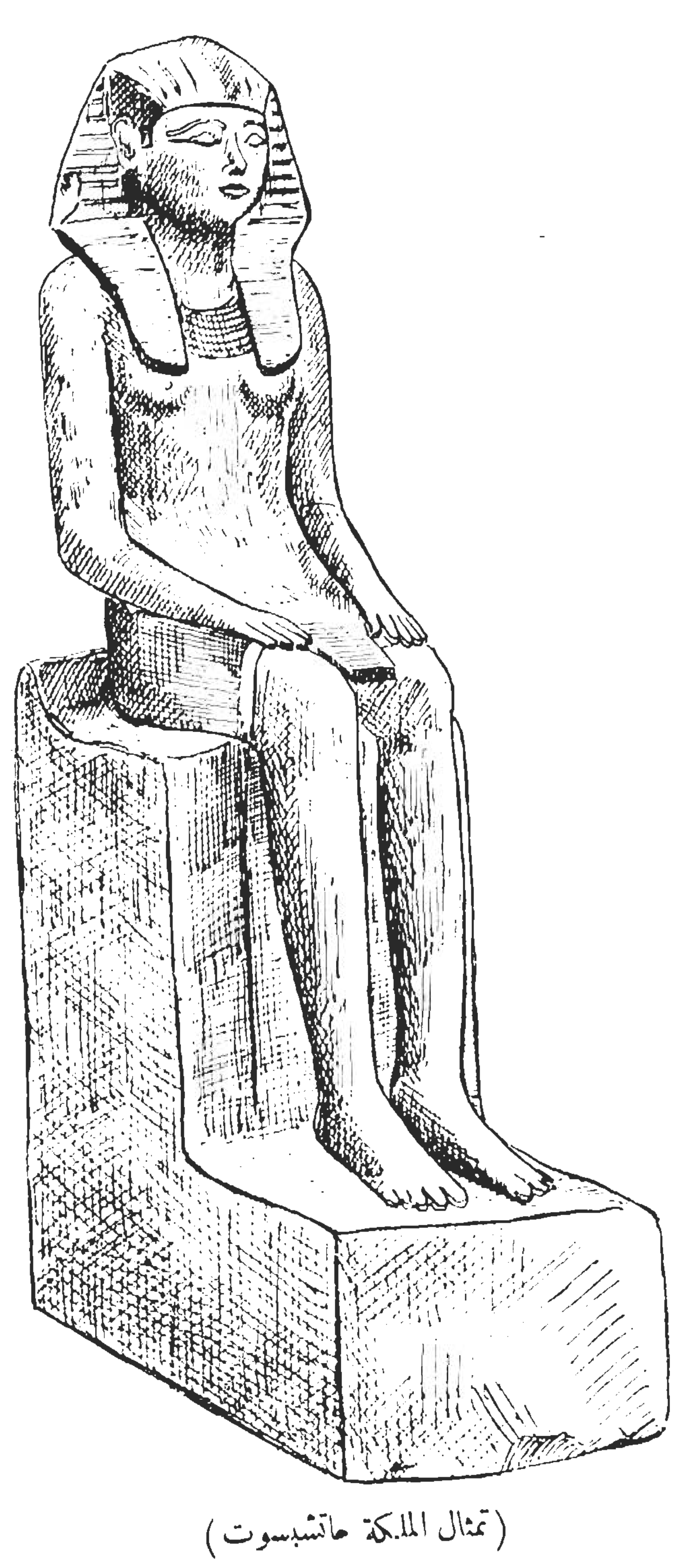


فَرِحَ يَعْقُوبُ بِسَلَامَةِ وَلَدَيْهِ ، وَحَضَرَ هُوَ وَأَهْلُهُ إِلَى مِصْرَ ، فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ، سَجَدُوا ، فَقَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ « يَا أَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ ، قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا[1] » .

(١) منح يوسف إخوته أرضا واسعة قرب بلبيس ، أقاموا فيها زمنا طويلا ، واشتغلوا بالزراعة والتجارة ، وأصبحوا من الأغنياء .



(تحتمس الثالث)

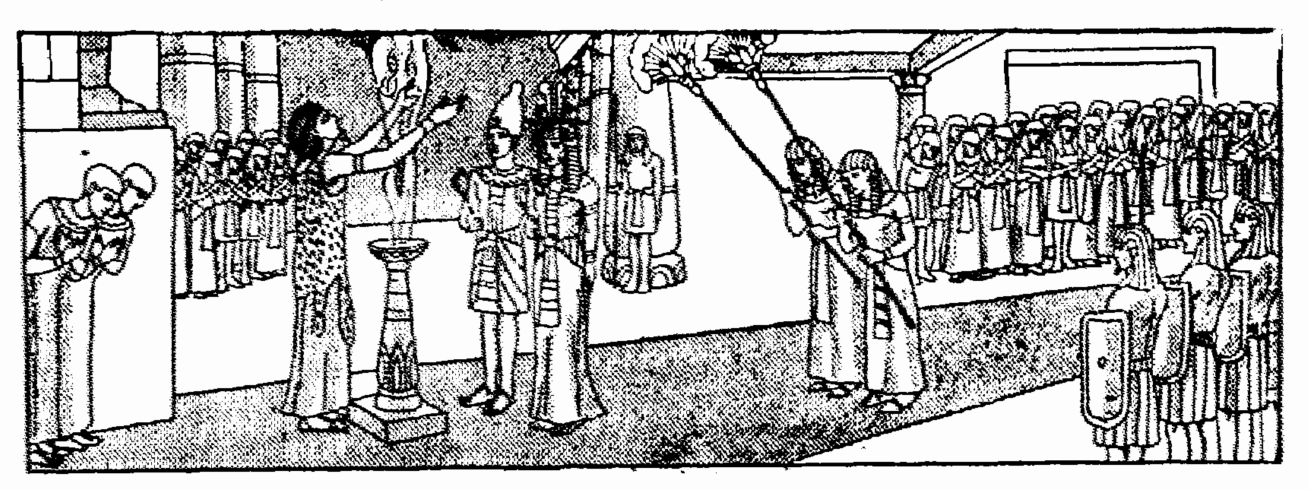


(تمثال الملكة حاتشبسوت)

قصة تحتمس الثالث



وُلِدَ تُحْتُمُسُ الثَّالثُ فى طيبَةَ[١] ، عَاصِمَةَ مصرَ فى ذلكَ الوقْتَ ، وَلَمَّا بَلَغَ التَّاسعةَ صَارَ مَلكًا ، وَاشْتَرَكَتْ مَعَهُ فى الحُكْم أُخْتُهُ ، حَتْشبْسُوتُ ، وكَانَتْ قَادرَةً ، فَجَمَعَتْ السُّلْطَةَ فى يَدِهَا .



وَتَزَوَّجَتْ أَخَاهَا ، كَعَادَةِ المْصريِّينَ الْقُدَمَاء ، لِيَبْقَى خَاضعًا لهَا .

وَلَمَّا كَبرَ تُحْتُمُسُ ، طَلَبَ إليْهَا أَنْ تَتْرُكَ لَهُ المُلْكَ ، فَرَفَضَتْ ذَلكَ ، وَاسْتَمَرَّتْ تَحْكُمُ وَحْدَهَا اثْنَيْنِ وَعشْرينَ عَامًا .

(١) موقعها الحالى الأقصر (بمديرية قنا) .



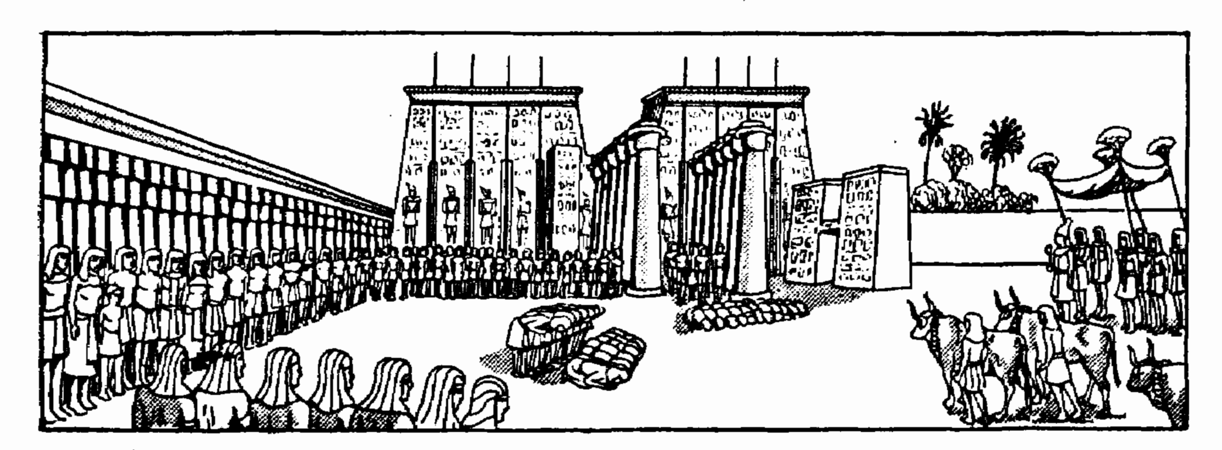
وَلَمَّا مَاتَتْ حَتْشبْسُوتُ ، وَانفَــرَدَ تُحْتُمُسُ بِالْمُلْك ، لَمْ يَنْسَ مَا فَعَلَتْهُ مَعَــهُ ، فَانْتَقَمَ لنَفْسه منْهَا ، وَمنْ رجَالهَا ، وَأَزَالَ اسْمَهَا منَ الآثَار ، الَّتى أَقَامَتْهَا ، وَهَدَمَ قُبُورَ أَنْصَارهَا .



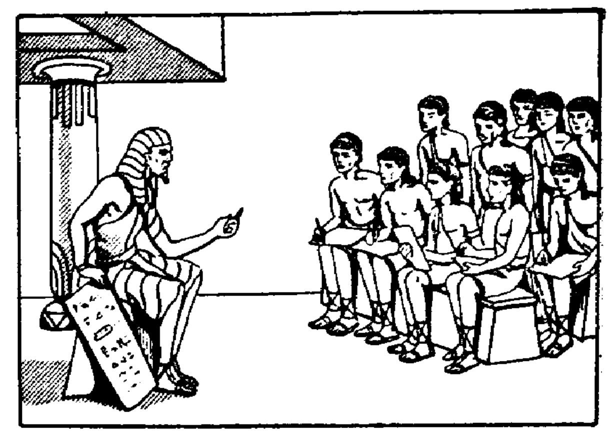
وَكَانَ تُحْتُمُسُ الثَّالثُ مَيَّالاً للْحَــرْب ، فَلَمَّـا ثَارَت الشَّامُ وفلَسْطينُ عَلَى مصْر ، فى عَهْــده ، جَهَّــزَ جَيْشًا عَظيمًا ، خَرَجَ عَلَى رَأْسه لمُحَارَبَتهمَا ، فَانْتَصَرَ عَلَيْهمَا ، وَضَمَّهُمَا إلَى مُلْكه .

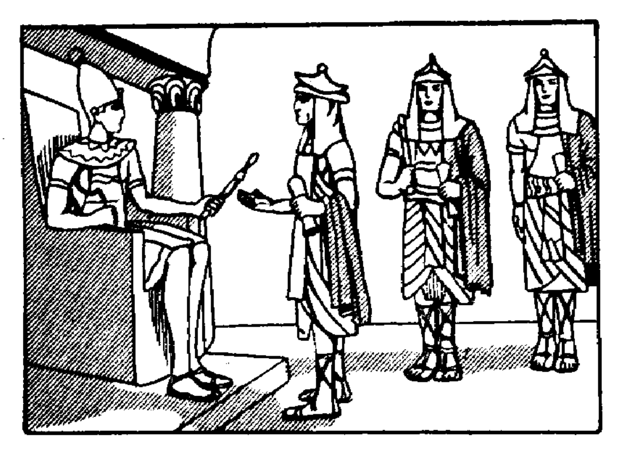


ثُمَّ نَظَّمَهُمَا : فَعزَلَ حُكَّامَهُمَا ، وَعَيَّنَ مَكَانَهُمْ آخرِينَ ، وَحَتَّى لَا يَثُورُوا مَرَّةً أُخْرَى ، أَخَذَ مَعَهُ أَبْنَاءَهُمْ ، وَعَادَ إِلَى مِصْرَ ، يَحْمِلُ الْغَنَائِمَ الْكَثِيرَةَ ، الَّتِى كَسَبَهَا مِنَ الْأَعْدَاءِ .

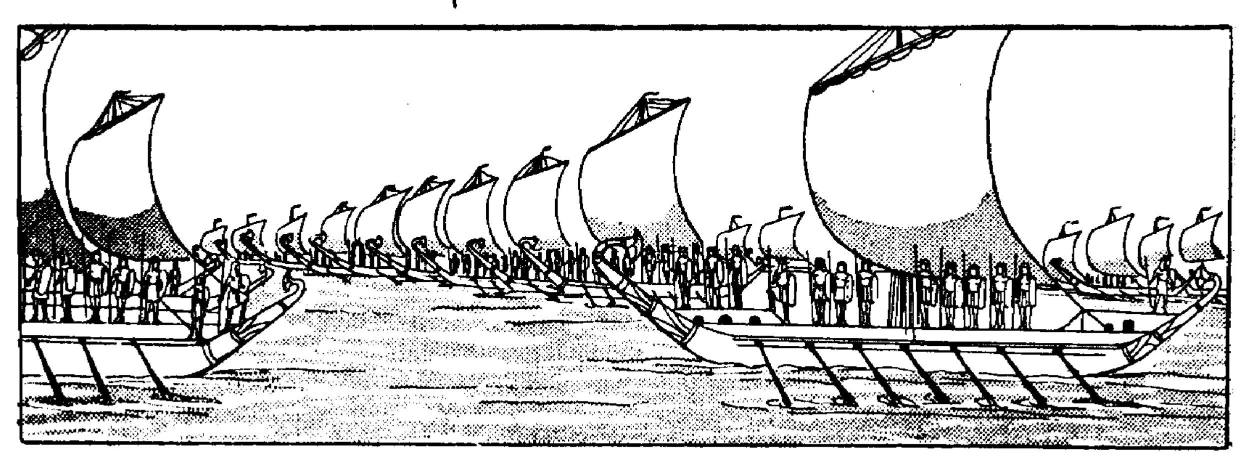


فَلَمَّا رَآهُ الْمِصْرِيُّونَ فَرِحُوا بِعَوْدَتِهِ مَنْصُورًا ، وَأَقَامُوا لَهُ الْحَفَلَاتِ الْكَثِيرَةَ ، وَزَارَ تُحْتُمُس مَعْبَدَ الْإِلَهِ آمُون ، وَقَدَّمَ لَهُ الْهَدَايَا ، شُكْرًا وَابْتِهَاجًا بِهَذَا النَّصْرِ الْعَظِيمِ .

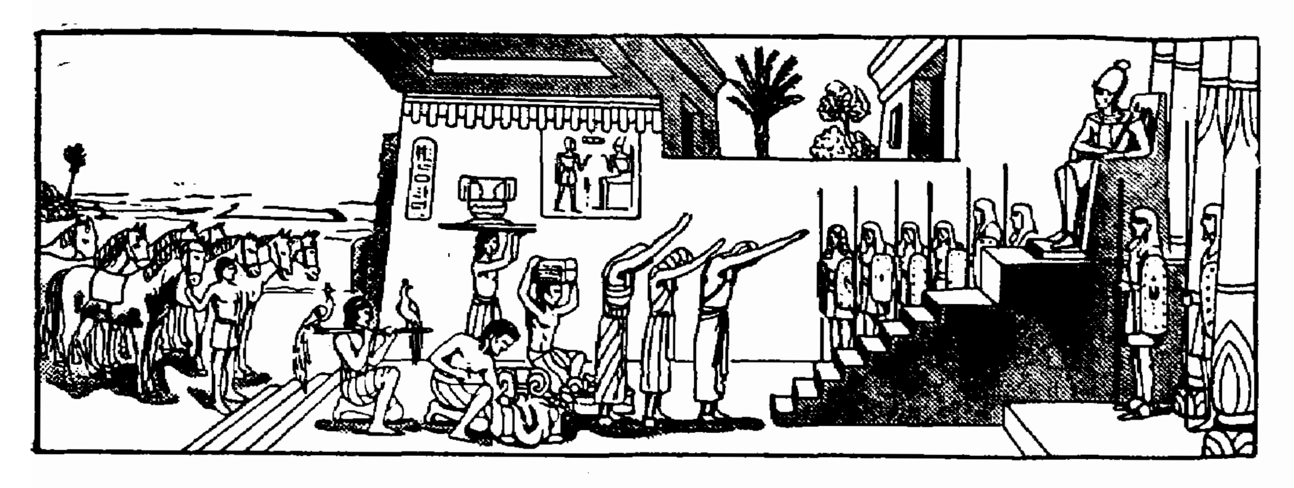




وَاهتَمَّ تُحْتُمُسُ بأَبْنَاء الأُمَرَاء ، الَّذينَ أَحْضَرَهُمْ مَعَهُ ، فَعَلَّمَهُمْ ، وَعَامَلَهُمْ مُعَامَلَةً طَيّبَةً ، جَعَلَتْهُمْ يُحبُّونَ مصْرَ وَيَحْتَرمُونَ ملكَهَا ، وَلَمَّا أَتَمُّوا تَعْليمَهُمْ ، عَيَّنَهُمْ حُكَّامًا لبلَادهم ، فَخَدَمُوهُ بإخْلَاص .



وَبَنَى تُحْتُمُسُ أُسْطُولًا عَظيمًا ، ليَزيدَ قُوَّته ، وَيُخيفَ أَعْدَاءَهُ ، وَبه أَصْبَحَتْ مصْرُ أَقْوَى دَوْلَة فى الْبَحْر الْمُتَوَسّط ، تَخْشَاهَا جَميعُ الْمَمَالك الْمُجَاورَة لَهَا ، وَتَتَقَرَّبُ إلَى حُكُومَتهَا ،



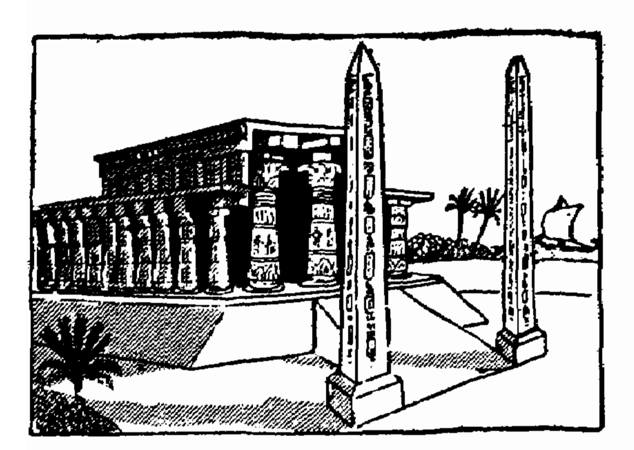
وَيُرْسِلُ مُلُوكُهَا إِلَى تُحُتْمُسَ الْهَدَايَا الْفَاخِرَةَ : كَالْمَعَادِنِ النَّفِيسَةِ ، وَالْأَحْجَارِ الْكَرِيمَةِ ، وَالْخَيْلِ الْجَمِيلَةِ ، حَتَّى يَرْضَى عَنْهُمْ ، فَلَا يُحَارِبُهُمْ ، وَيُصْبِحَ صَدِيقًا لَهُمْ ، يُسَاعِدُهُمْ عِنْدَ الْحَاجَةِ .



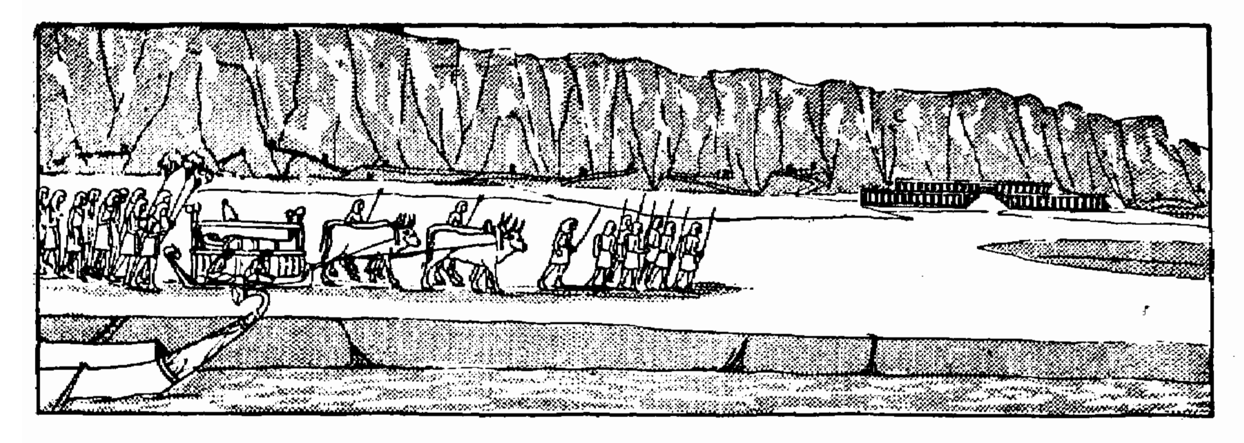
وَفِى آخِرِ أَيَّامِ تُحُتْمُسَ ، رَفَضَ أَهَالِى النُّوبَةِ[1] أَنْ يَدْفَعُوا مَا عَلَيْهِمْ مِنَ الْأَمْوَالِ ، فَأَعَدَّ جَيْشًا كَبِيراً قَادَهُ بِنَفْسِهِ ، وَسَارَ إِلَيْهِمْ ، وَانْتَصَرَ عَلَيْهِمْ ، وَأَدَّبَهُمْ ، وَأَخْضَعَ رُؤَسَاءَهُمْ .

(١) فى جنوب مصر .



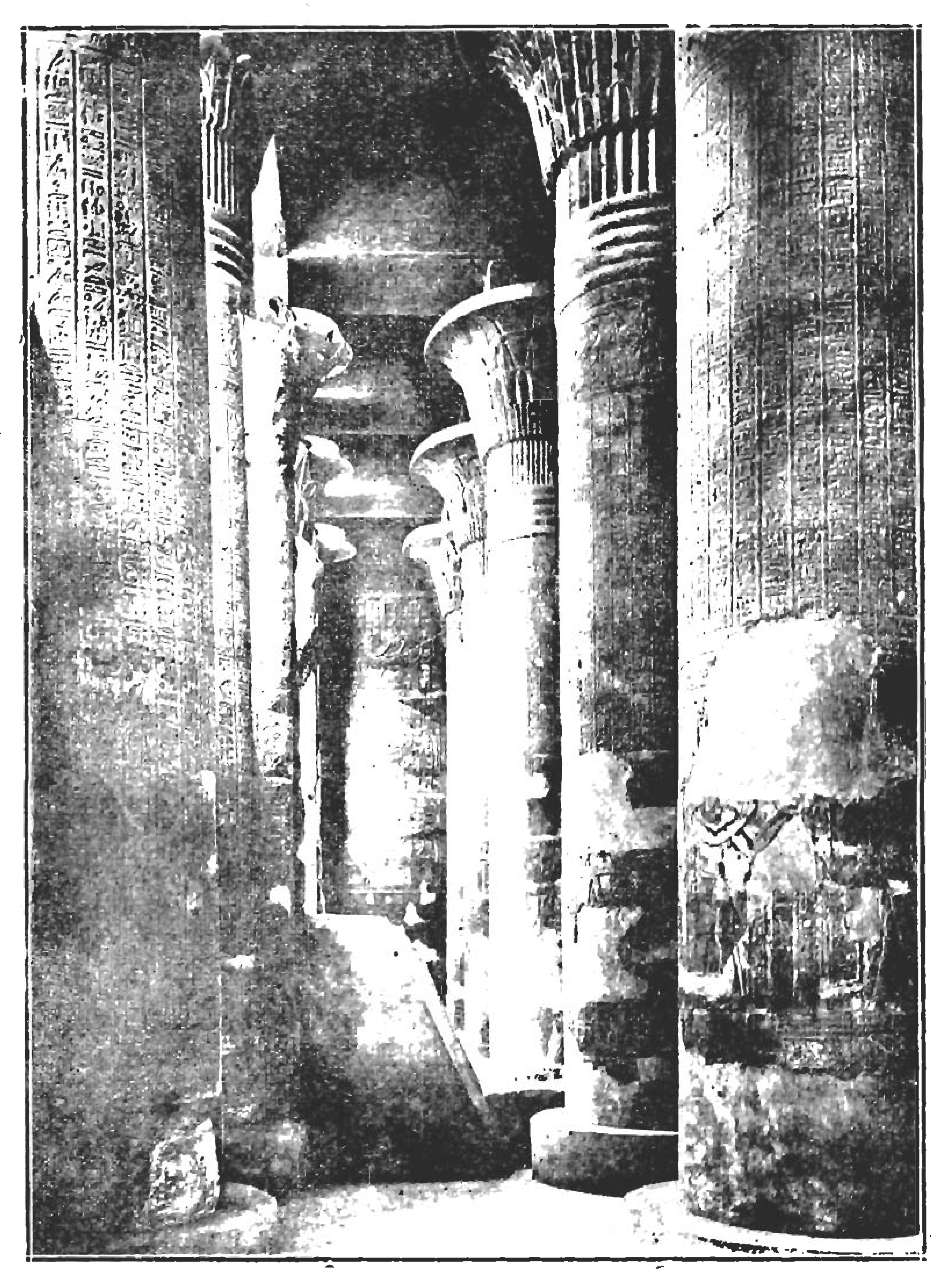


وَكَتَبَ تُحْتُمُسُ أَخْبَارَ حُرُوبِهِ عَلَى جُدْرَانِ مَعْبَدِ الْكَرْنَكِ[١] ، وَفِيهِ بَنَى بَهْوًا عَظِيمًا ، هُوَ بَهْوُ الْأَعْمِدَةِ ؛ كَمَا كَتَبَهَا عَلَى الْمَسَلَّاتِ ، وَأَهَمُّهَا مِسَلَّتَانِ : إِحْدَاهُمَا الْآنَ بِانْجِلْتِرَا ، وَالْأُخْرَى بِأَمْرِيكَا .

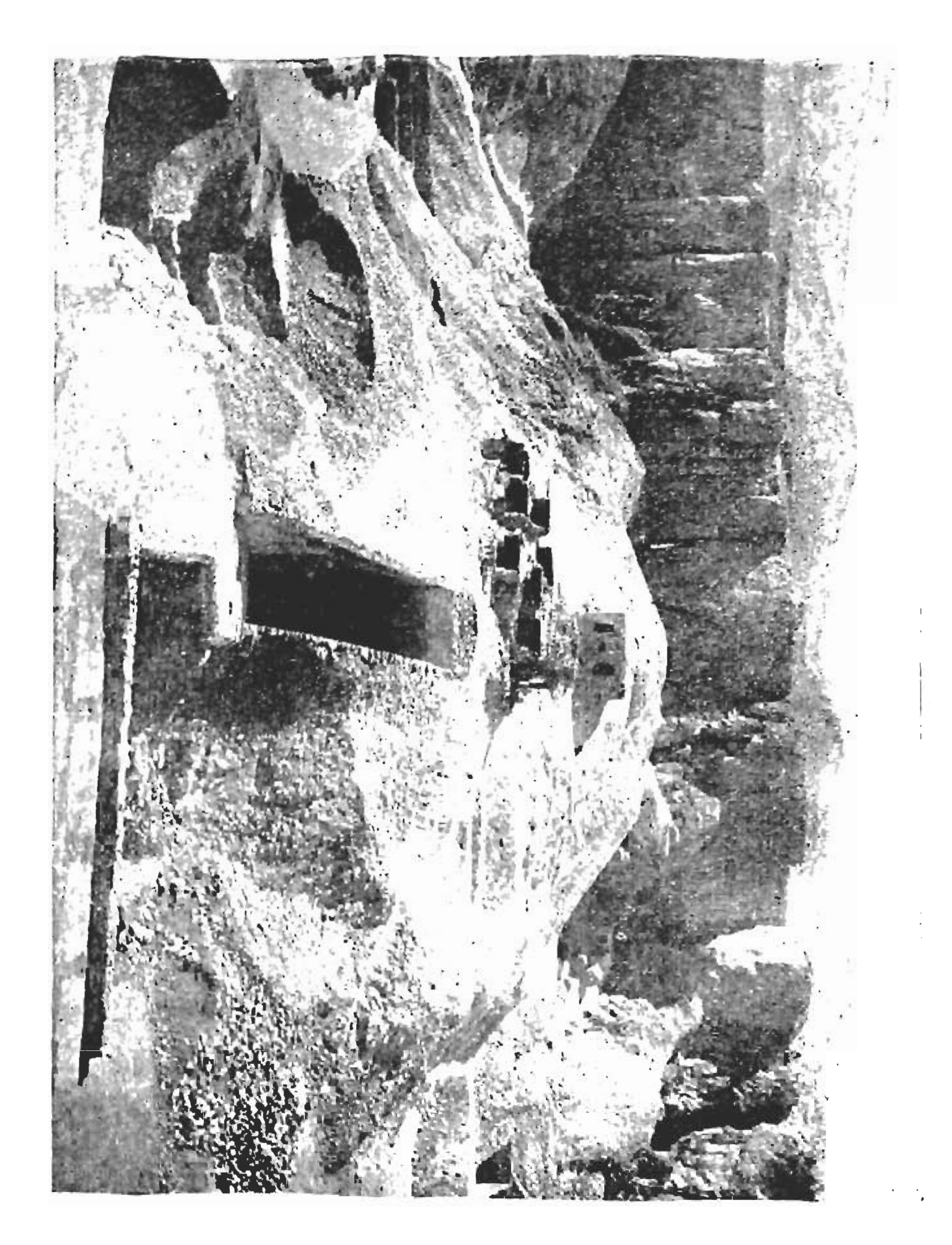


وَبَعْدَ حُكْمٍ طَوِيلٍ نَافِعٍ ، مَاتَ تُحْتُمُسُ ، فِي سِنِّ الثَّالِثَةِ وَالسِّتِّينَ ، وَدُفِنَ فِي مَقَابِرِ الْمُلُوكِ ، غَرْبِيِّ طِيبَةَ ، وَقَدْ عُثِرَ عَلَى جُثَّتِهِ أَخِيرًا ، فَنُقِلَتْ إِلَى الْمَتْحَفِ الْمِصْرِيِّ بِالْقَاهِرَةِ .

(١) معبد كبير ، به حجرات وردهات فسيحة ، ذات جدران عظيمة ، وأعمدة ضخمة ، بناه عدة ملوك شمالي الأقصر .



(بهو الأعمدة بالكرنك)



(مقابر الملوك)

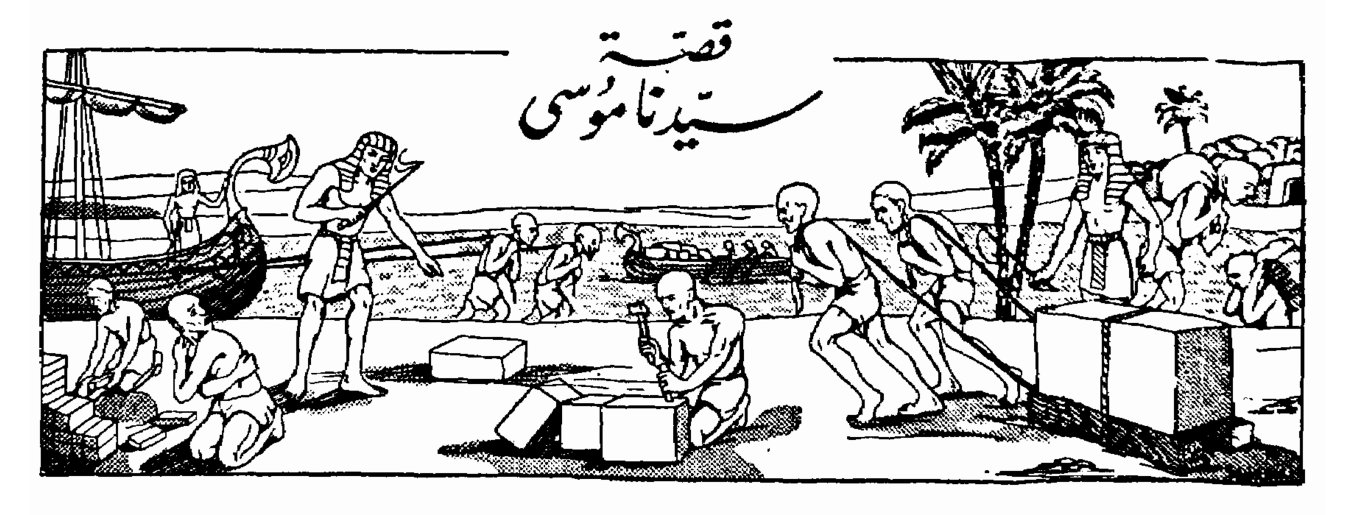


(تمثال سيدنا موسى)



(تمثال رمسيس الثانى)

قصة سيدنا موسى



بَقِيَ بَنُو إسرائيلَ بمصرَ زَمَنًا طويلًا ، وكَثُرَ عددُهُمْ ، فخافَ رَمسيسُ الثّانى(١) أَنْ يَنْضَمُّوا إلى أَعْدائِه ، ولذلكَ عَذَّبَهُمْ ، وَأَمَرَ بقَتْلِ كُلِّ وَلَدٍ يُولَدُ لَهُمْ ، حَتَّى يَقِلَّ رجالُهُمْ .

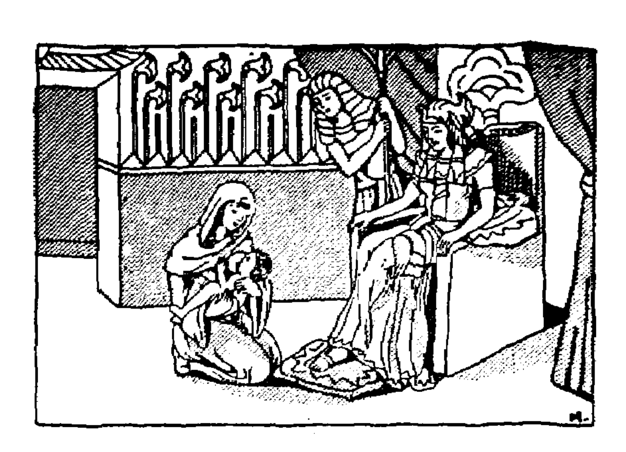




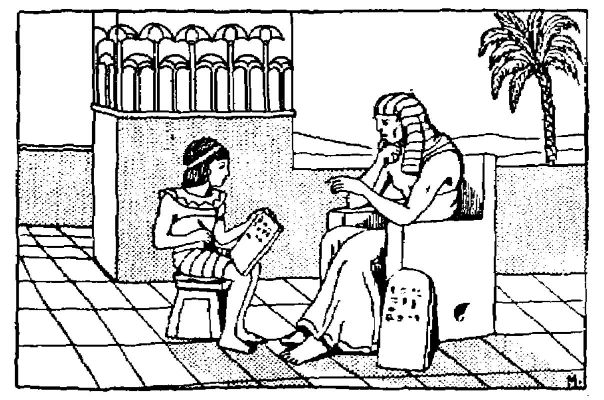
فَلَمَّا وَلَدَتْ إحْدَى نسائِهِمْ طفلًا ، سَمَّتْهُ مُوسَى ، وَأَخْفَتْهُ حتَّى لا يُقْتَلَ . ثُمَّ خافَتْ ، فَوَضَعَتْهُ فى صُنْدُوق ، أَلْقَتْهُ فى النّيلِ ، فَحَمَلَهُ المَاءُ إلَى قَصْرِ المَلِك ، ورَأَتْهُ المَلِكَةُ فَأَمَرَتْ بإخراجِه .

(١) وهو من أشهر ملوك مصر القدماء .



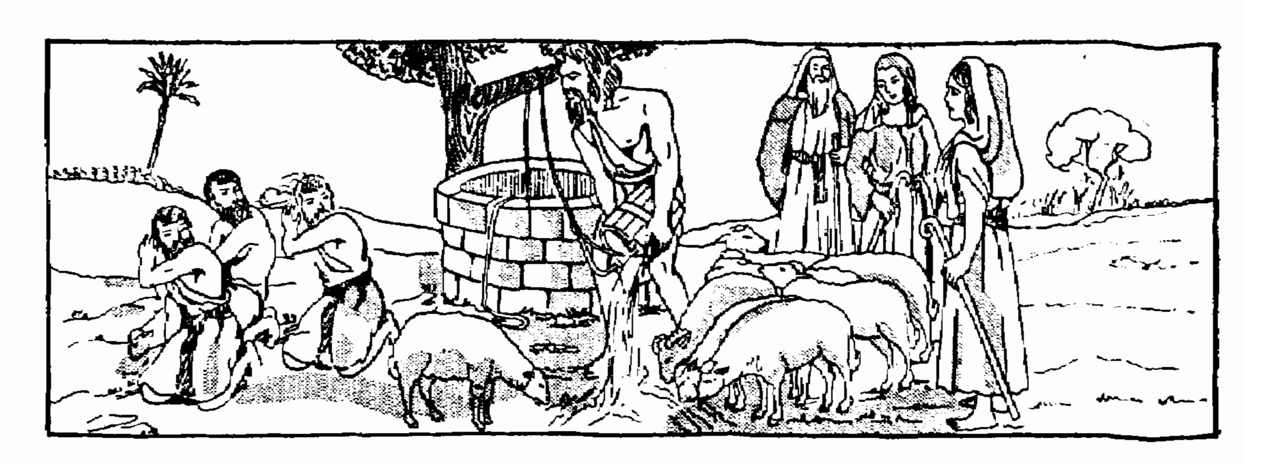


وَلَمَّا وَجَدَتْ فِيه طِفْلًا جَمِيلاً ، أَحَبَّتْه ، وَاتَّفَقَتْ مَعَ زَوْجِهَا عَلَى تَرْبِيَتِه ، لِيَكُونَ وَلَدًا لَهَا ؛ ثُمَّ أَحْضَرَتْ لَهُ الْمَرَاضِعَ ، فَلَمْ يَشْرَبْ إِلَّا لَبَنَ وَاحِدَة ، ظَهَرَ فِيمَا بَعْدُ أَنَّهَا أُمُّه .

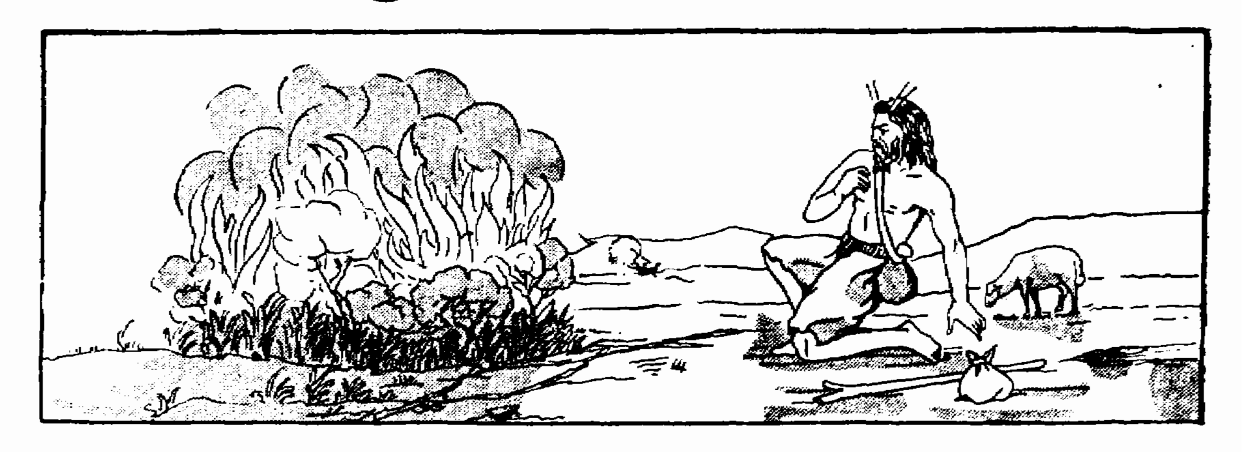




تَرَبَّى مُوسَى عِنْدَ فِرْعَوْن ، فَلَمْ يَعْرِفْ أَنَّهُ يَهُودِيٌّ إِلَّا بَعْدَ سِنِين . وَذَاتَ يَوْم رَأَى مِصْرِيًّا وَيَهُودِيًّا يَتَقَاتَلَان ، فَسَاعَدَ الْيَهُودِيَّ ، وَضَرَبَ الْمِصْرِيَّ ضَرْبَةً أَدَّتْ إِلَى مَوْتِه .



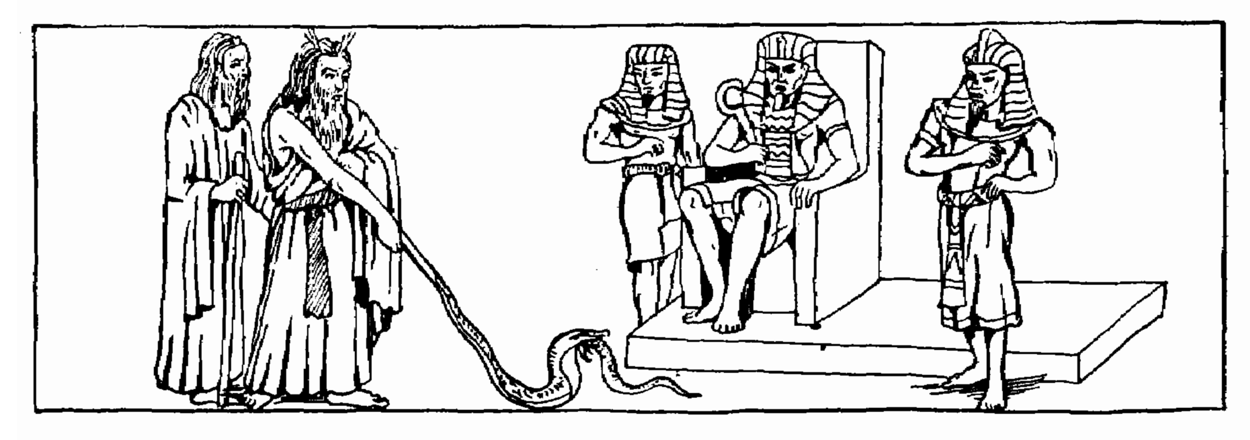
خَافَ مُوسَى الْعِقَابَ ، فَفَـرَّ إِلَى فِلَسطِينَ ، وَفِى طَـرِيقِه قَابَلَ بِنْتَيْنِ تَسْقِيَانِ الْغَنَمَ ، فَسَاعَدَهُمَا ، فَسُرَّ أَبُوهُمَا مِنْهُ وَزَوَّجَهُ إِحْدَاهُمَا ، وَعَاشَ مُوسَى زَمَنًا مَعَ هَذِه الْأُسْرَة .



وَفِى لَيْلَة بَارِدَة ، رَأَى نَارًا عَلَى بُعْـد ، فَذَهَبَ لِيُحْضِرَ بَعْضَهَا لِلتَّدْفِئَة ، فَلَمَّـا اقْتَرَبَ ، سَمِعَ صَوْتًا يُخْبِرُهُ أَنَّ اللهَ اخْتَارَهُ نَبِيًّـا ، وَأَنَّهُ يَأْمُرُهُ بِالْعَوْدَة إِلَى مِصْرَ ، لِيَهْدِىَ فِرْعَوْنَ .

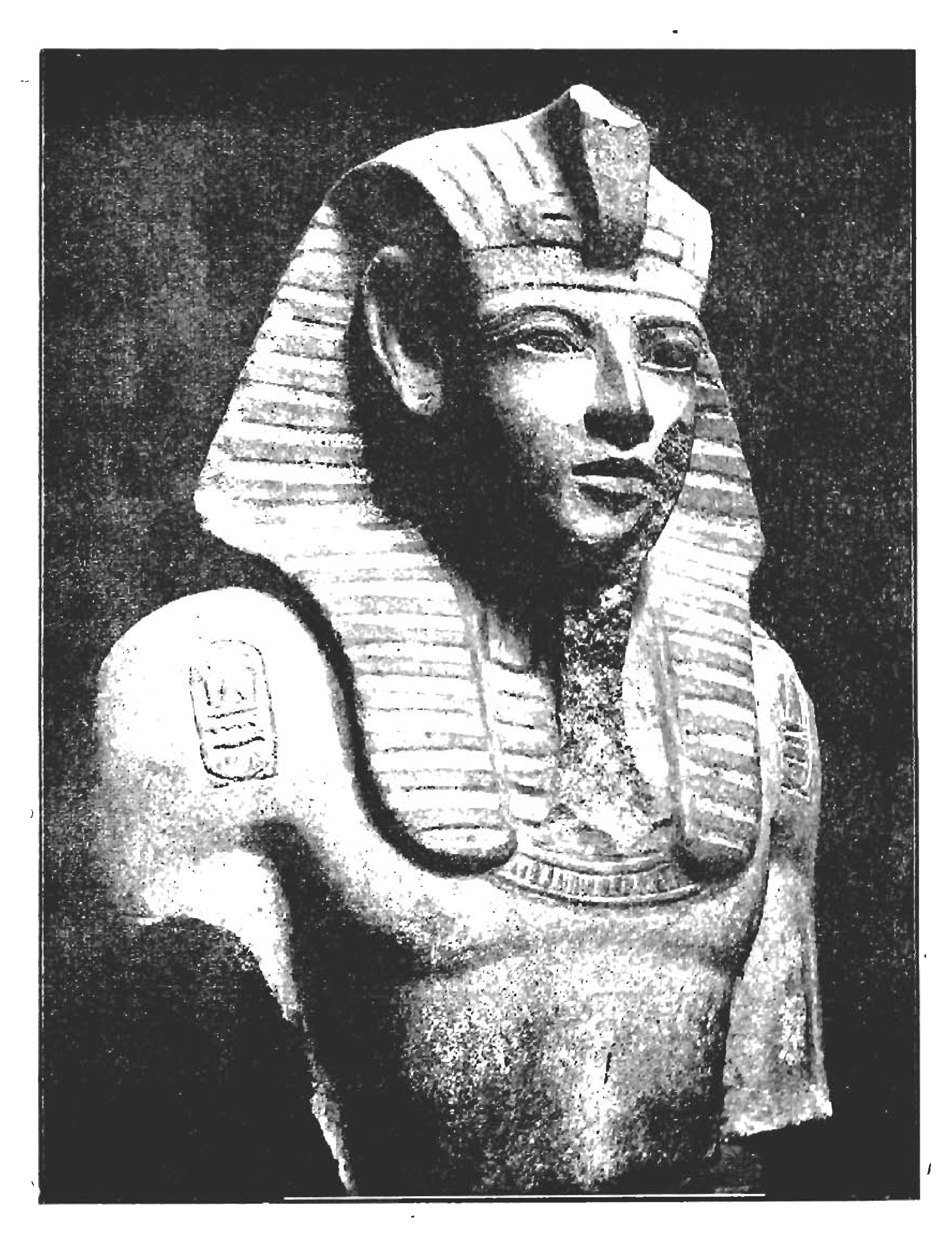


أَطَاعَ مُوسَى الأَمْرَ ، وَعَادَ إِلَى مِصْرَ ، وَدَعَا مَلِكَهَا إِلَى عِبَادَةِ اللَّه ، فَطَلَبَ إليه فِرْعَوْنُ[1] أَنْ يَأْتِيَ بِالْمُعْجِزَاتِ ، ثُمَّ جَمَعَ لَهُ السَّحَرَةَ ، فَأَلْقَوْا عِصِيَّهُمْ ، فَصَارَتْ تَتَلَوَّى كَأَنَّهَا ثَعَابِينُ .



عِنْدَ ذَلِكَ أَمَرَ اللَّهُ مُوسَى أَنْ يُلْقِيَ عَصَاهُ ، فَأَلْقَاهَا فَصَارَتْ حَيَّةً ، وَابْتَلَعَتْ مَا عَلَى الأَرْضِ مِنْ ثَعَابِينَ ، فَآمَنَ السَّحَرَةُ بِمُوسَى ، أَمَّا فِرْعَوْنُ فَلَمْ يُؤْمِنْ .

(١) ويقال إنه الملك منفتاح :



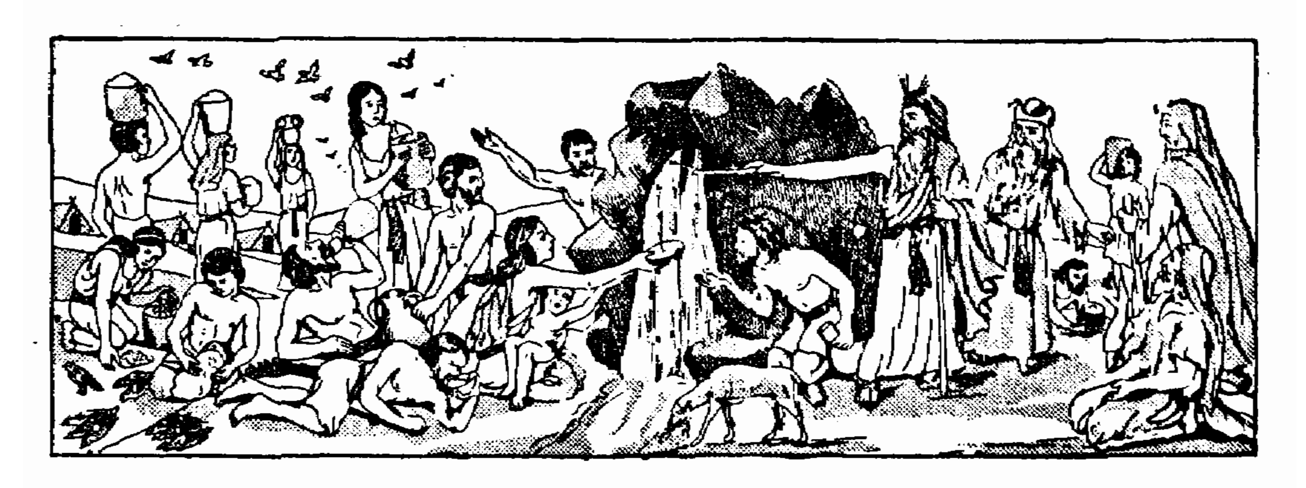
(تمثال الملك منفتاح)



وَلَمَّا زَادَ ظُلْمُ فِرْعَوْنَ ، رَأَى مُوسَى أَنْ يَخْرُجَ بِقَوْمِهِ إِلَى وَطَنِهِمْ ، فِلَسْطِينَ ، وَسَارُوا حَتَّى وَصَلُوا الْبَحْرَ الْأَحْمَرَ ، فَضَرَبَ مُوسَى الْمَاءَ بِعَصَاهُ فَانْشَقَّ ، وَعَبَرَ رِجَالُهُ سَالِمِينَ .



وَلَمَّا عَلِمَ فِرْعَوْنُ بِخُرُوجِ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، تَبِعَهُمْ هُوَ وَجُنُودُهُ ، وَأَرَادُوا أَنْ يَعْبُرُوا الْبَحْرَ وَرَاءَهُمْ ، لِيَرُدُّوهُمْ إِلَى الْبِلَادِ ، وَلَكِنَّ الْمَاءَ انْطَبَقَ عَلَى فِرْعَوْنَ وَجُنُودِهِ ، فَغَرِقُوا أَجْمَعِينَ .



أَظْهَرَ مُوسَى فى الطَّرِيقِ إِلَى فِلَسْطِينَ بَعْضَ الْمُعْجِزَاتِ :

فَلَمَّا عَطِشَ رِجَالُهُ ، ضَرَبَ الْحَجَرَ بِعَصَاهُ ، فَخَرَجَ مِنْهُ الْمَاءُ ،

وَلَمَّا جَاعُوا ، دَعَا اللهَ ، فَأَرْسَلَ لَهُمْ طَعَامًا أَكَلُوه .





ثُمَّ غَابَ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ، أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِ فِيهَا الْوَصَايَا

الْعَشَرَةُ الْمَعْرُوفَةُ ، وَلَمَّا عَادَ ، وَجَدَ قَوْمَهُ يَعْبُدُونَ عِجْلًا مِنْ

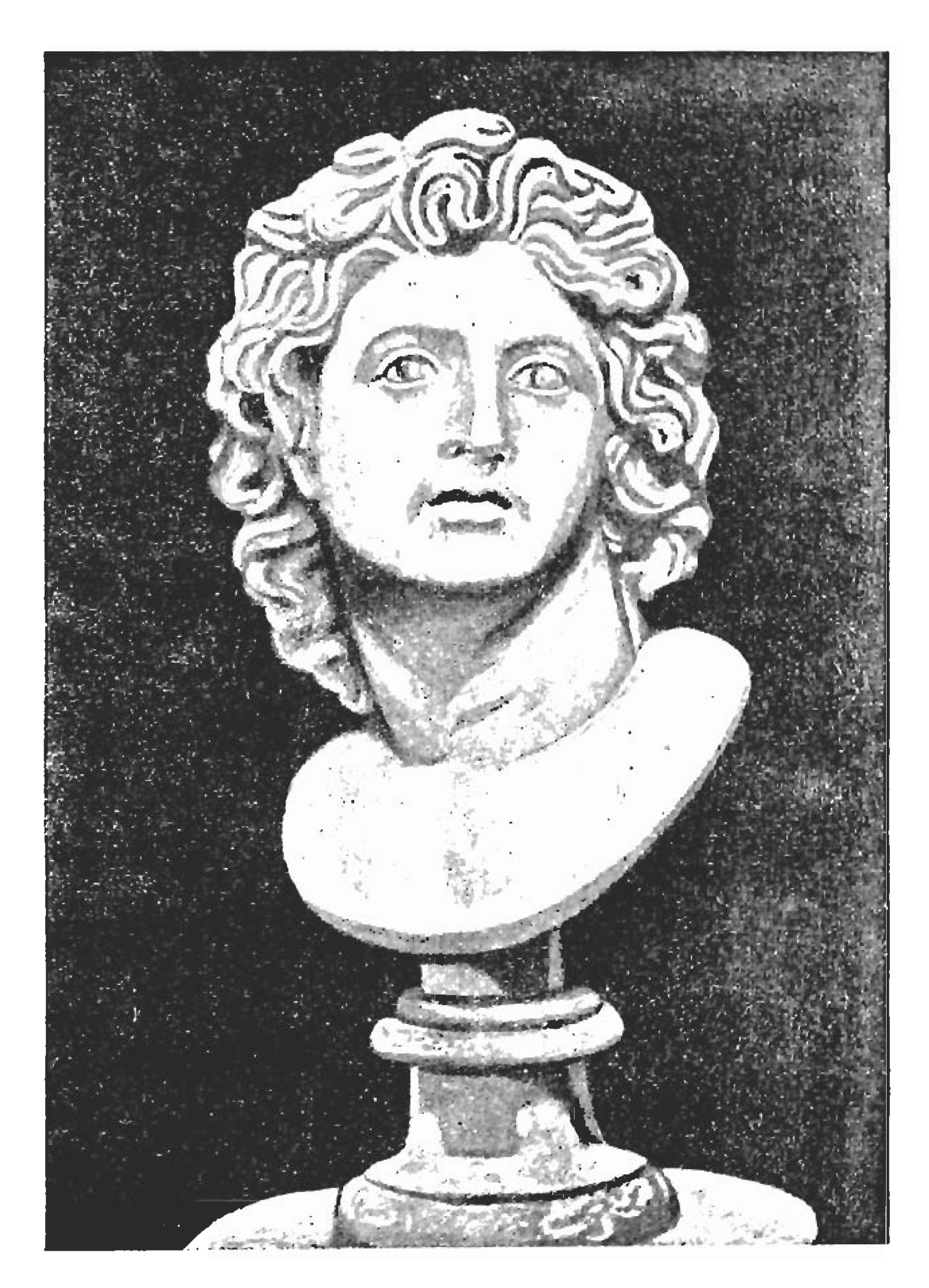
ذَهَب ، فَغَضِبَ وَكَسَّرَ الْعِجْلَ ، وَرَدَّهُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللهِ .



وَلَمَّا اقْتَرَبَ بَنُو إِسْرَائِيلَ مِنْ فَلَسْطِينَ ، أَمَرَهُمْ مُوسَى أَنْ يَدْخُلُوهَا ، وَلَكِنَّهُمْ خَافُوا أَنْ يُعَذِّبَهُمْ أَهْلُهَا ، وَعَصَوْا أَمْرَ مُوسَى ، فَكَانَ جَزَاؤُهُمْ أَنْ تَاهُوا فِى الصَّحْرَاءِ أَرْبَعِينَ عَامًا .



أَمَّا مُوسَى فَإِنَّهُ طَلَعَ عَلَى جَبَلٍ قَرِيبٍ مِنْ فَلَسْطِينَ ، وَأَخَذَ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ ، زَمَنًا طَوِيلًا ، ثُمَّ مَاتَ ، بَعْدَ أَنْ بَذَلَ جُهْدًا كَبِيرًا فِى إِصْلَاحِ قَوْمِهِ .



(تمثال الإسكندر الأكبر)



(صورة فيليب المقدونى "والد الإسكندر")



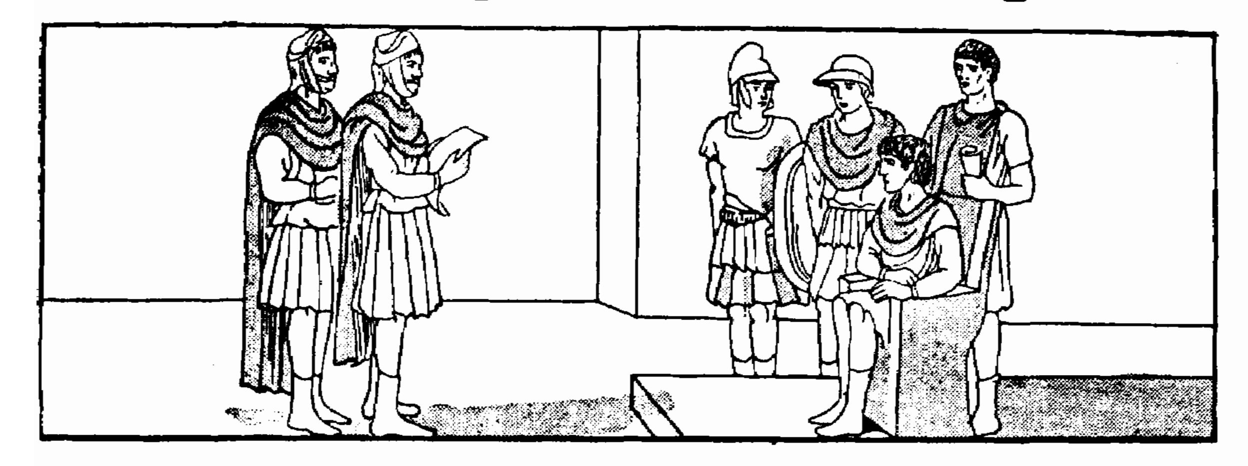
نَحْنُ نَعْرِفُ أَنَّ الْبَحْـــرَ الْمُتَوَسِّطَ يَقَعُ فِى شَمَال مِصْرَ ،
وَأَنَّهُ تُوجَدُ عَلَى الشَّاطِئِ الْآخَرِ لِهَـــذَا الْبَحْرِ بِلَادٌ كَثِيرَةٌ ،
مِنْهَا بِلَادُ الْيُونَان ، الَّتِى لَا تَبْعُــــدُ كَثِيراً عَنْ بِلَادِنَا .



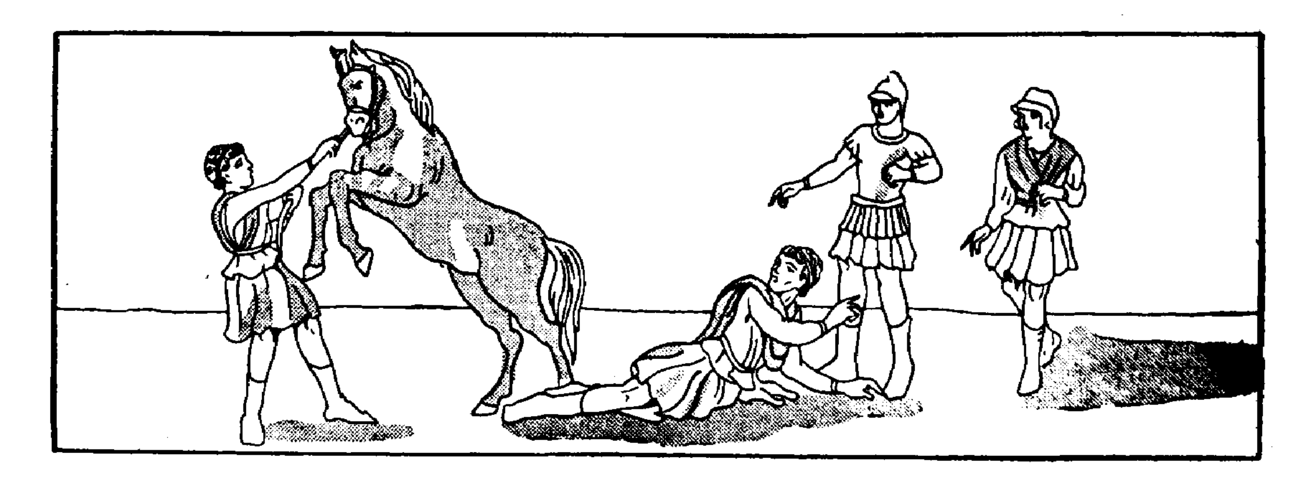
ظَهَــــرَ فِى تِلْكَ الْبِلَاد ، فِى الزَّمَنِ الْقَدِيم ، مَلِكٌ شُجَاعٌ ،
يُسَمَّى فِيلِيبَ ، حَارَبَ الْمُــــدُنَ الْمُجَاوِرَةَ لَهُ ، وَانْتَصَرَ عَلَيْهَا ،
وَضَمَّهَا إِلَى مُلْكِه ، وَأَسَّسَ دَوْلَةً قَوِيَّةً ، تُسَمَّى مَقْــدُونْيَا .



وَكَانَ لفيليبَ وَلَدٌ اسْمُهُ الْإِسْكَنْدَرُ ، رَبَّاهُ أَحْسَنَ تَرْبِيَة ، وَاخْتَارَ لتَعْليمه عَالمًا يُونَانِيًّا ، اسْمُه أَرسْطُو ، دَرَّسَ لَهُ الْعُلُومَ الْمُخْتَلفَةَ ، وَعَلَّمَهُ تَارِيخَ أَبْطَال الْيُونَان الْقُدَمَاء ، فَنَبَغَ الْإِسْكَنْدَرُ فى صغره .



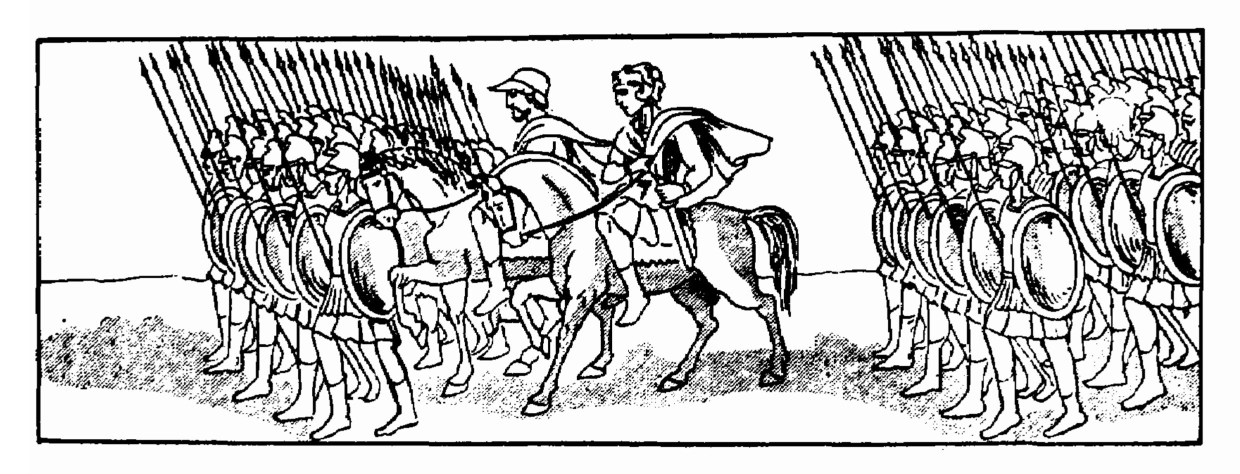
زَارَ مَقْدُونيَا ، ذَاتَ مَرَّة ، رجَالٌ ، ليُحَادثُوا الْمَلكَ فى أُمُور هَامَّة ، وَلَمَّا كَانَ غَائبًا ، نَابَ عَنْهُ الْإِسْكَنْدَرُ ، وَكَانَ صَغيرًا ، فَأَخَذَ يَسْأَلُ الرِّجَالَ عَنْ بلَادهمْ أَسْئلَةً تَدُلُّ عَلَى الذَّكَاء .



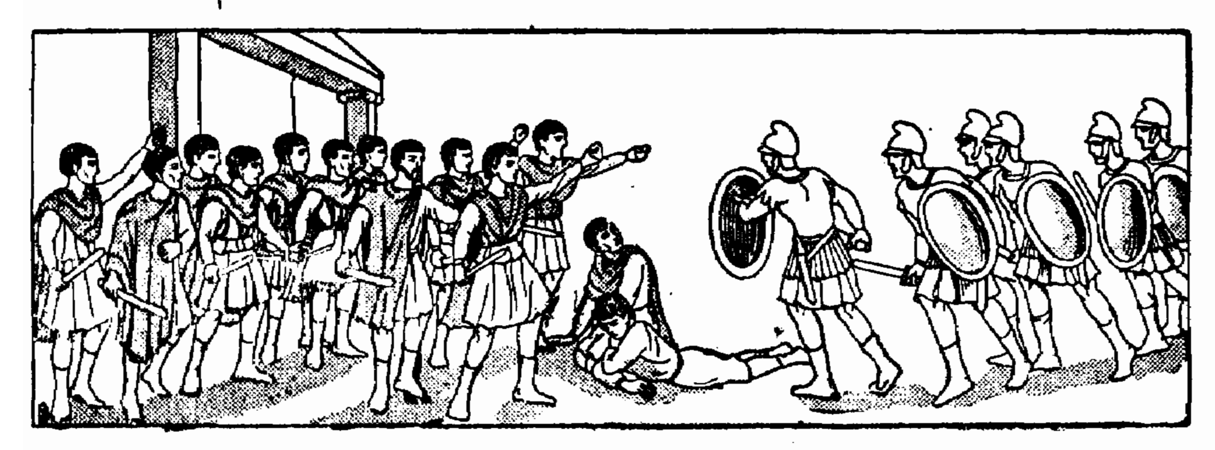
وَفى يَوْم منَ الأَيَّام ، عَرَضَ أَحَدُ التُّجَّار عَلَى فيليب حصَانًا ، قَوىَّ البنْيَة سَريعَ الحَرَكَة ، ليَشْتَريه ، فَأَعْجَبَهُ ، وَأَرَادَ أَنْ يُجَرّبَهُ ، فَهَاجَ الحصَانُ ، وَلَمْ يَسْتَطعْ أَحَدُ الحَاضرينَ رُكُوبَهُ .



وَلَكنَّ الإسكَنْدَرَ تَقَدَّمَ إلَيْه ، وَأَدَارَ ظَهْرَهُ للشَّمْس ، وَكَانَتْ تُؤْذى عَيْنَيْه وَتُسَبّبُ هيَاجَه ، ثُمَّ رَكبَهُ ، فَسُرَّ فيليبُ بذَكَاء ابْنه وَشَجَاعَته ، وَاشْتَرَى الحصَانَ وَأَهْدَاهُ إلَيْه .



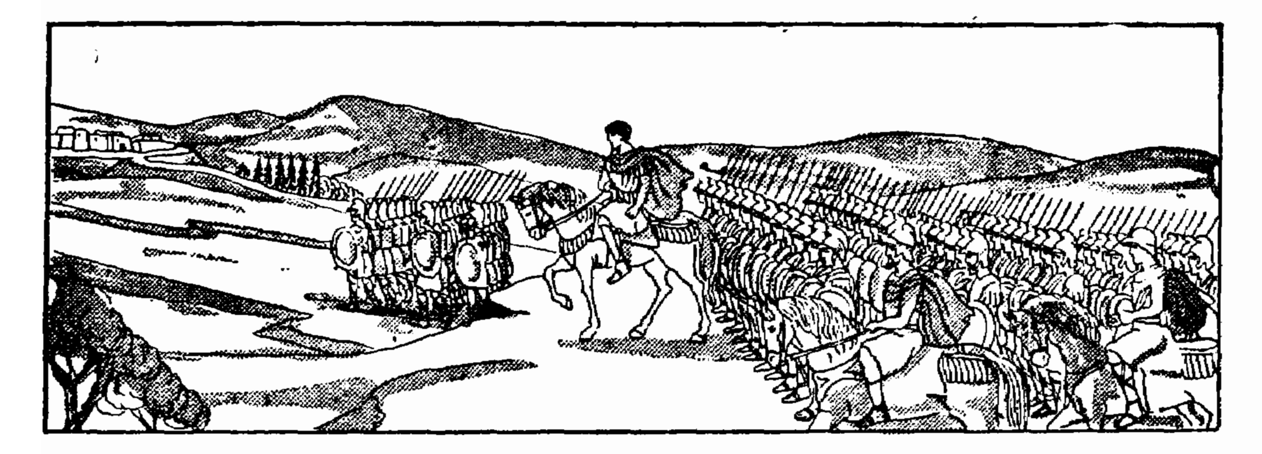
وَاشْتَرَكَ الْإِسْكَنْدَرُ ، وَهُوَ صَغِيرٌ ، فى مَوَاقِعَ حَرْبِيَّةٍ كَثِيرَة ، فَأَظْهَرَ إِقْدَامًا عَظِيمًا وَشَجَاعَةً نَادِرَةً ، جَعَلَتْ النَّاسَ يَتَنَبَّأُونَ بِأَنَّهُ سَيَكُونُ ، يَوْمًا مَا ، مِنْ أَكْبَرِ الْقُوَّادِ وَأَعْظَمِ الْمُلُوك .



وَلَمَّا مَاتَ فيليبْ ، وَأَصْبَحَ الْإِسْكَنْدَرُ مَلِكًا عَلَى الْيُونَانِ ، كَانَ فى الْعِشْرِينَ مِنْ عُمْرِه فَظَنَّ النَّاسُ أَنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَحْكُمَ الْبِلَادَ كَأَبِيه وَثَارُوا عَلَيْه .



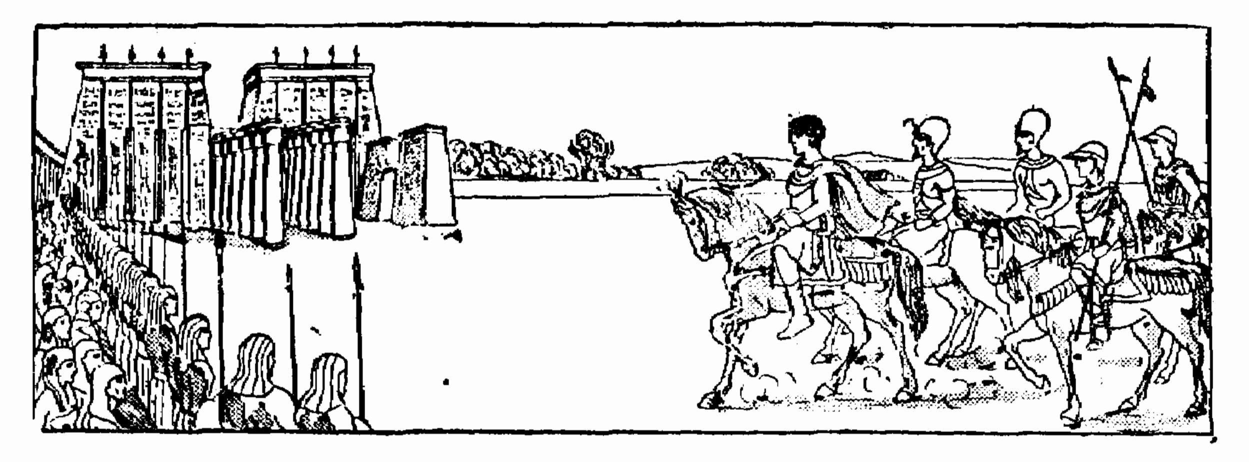
ولكنَّ الإسْكَنْدَرَ حارَبَ الثَّائرينَ ، وانْتَصَرَ عَلَيْهِمْ انْتصاراً باهراً ، وَعاقَبَ زُعَماءَهُمْ ، وَخَرَّبَ ديارَهُمْ ؛ فَعادُوا إلَى الْهُدُوءِ ، وَخَضَعُوا لحُكْمِ الْمَلِكِ الْجَديدِ ، وَاحْتَرَمُوهُ أَكْثَرَ مِمَّا احْتَرَمُوا أَباهُ .



وَلَمَّا انْتَهَتِ الثَّوْرَةُ ، وَهَدَأَتِ الْبِلادُ ، جَهَّزَ الإسْكَنْدَرُ جَيْشاً كَبيراً قادَهُ بِنَفْسِهِ لمُحارَبَةِ الْفُرْسِ ، أَعْداءِ أَبيهِ ، فَانْتَصَرَ عَلَيْهِمْ فى آسْيَا الصُّغْرَى وَالشَّامِ ، وَضَمَّ تلْكَ الْبِلادَ إلَى أَمْلاكِهِ .



وَكَانَتْ مِصْرُ ، فى ذَلِكَ الْوَقْت ، تَابِعَةً لِلْفُرْس ، فَسَارَ الإِسْكَنْدَرُ لِفَتْحِهَا ، وَلَمَّا دَخَلَهَا ، رَحَّبَ بِهِ أَهْلُهَا ، لأَنَّهُمْ كَرِهُوا ظُلْمَ حُكَّامِهِمْ ، وَسَمِعُوا بِحُبِّ الإِسْكَنْدَر لِلْعَدْل بَيْنَ النَّاس .



وَكَانَ أَوَّلُ مَا فَعَلَهُ الإِسْكَنْدَرُ فى مِصْرَ ، أَنْ احْتَرَمَ دِيَانَةَ الْمِصْرِيِّينَ : فَزَارَ مَعَابِدَهُمْ ، وَقَدَّمَ الْهَدَايَا لآلِهَتِهِمْ ، وَرَسَمَ صُورَهُ عَلَى جُدْرَانِ الْمَعَابِد ، وَهُوَ يَرْتَدِى مَلَابِسَ الْفَرَاعِنَة .



(صورة للإسكندر على جدران أحد المعابد بملابس فرعون



وَرَأَى الْإِسْكَنْدَرُ قَرْيَةً صَغِيرَةً ، اسْمُهَا رَاقُودَةُ ، عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ الْمُتَوَسِّطِ ، وَأَمَامَهَا جَزِيرَةُ فَارُوسَ ، فَأَعْجَبَهُ مَوْقِعُهُمَا ، وَأَمَرَ بِرَدْمِ الْمَاءِ الَّذِى بَيْنَ الْقَرْيَةِ وَالْجَزِيرَةِ ، وَأَنْشَأَ مَدِينَةً ، سَمَّاهَا الْإِسْكَنْدَرِيَّةَ.



سَافَرَ الْإِسْكَنْدَرُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى آسْيَا ، وَمَلَكَ بِلَادَ الْفُرْسِ ؛ وَاسْتَوْلَى عَلَى جُزْءٍ مِنَ الْهِنْدِ ، وَأَرَادَ أَنْ يَأْخُذَ الْبَاقِى وَلَكِنَّ جَيْشَهُ شَعَرَ بِالتَّعَبِ ، فَاضْطُرَّ الْإِسْكَنْدَرُ إِلَى الرُّجُوعِ .

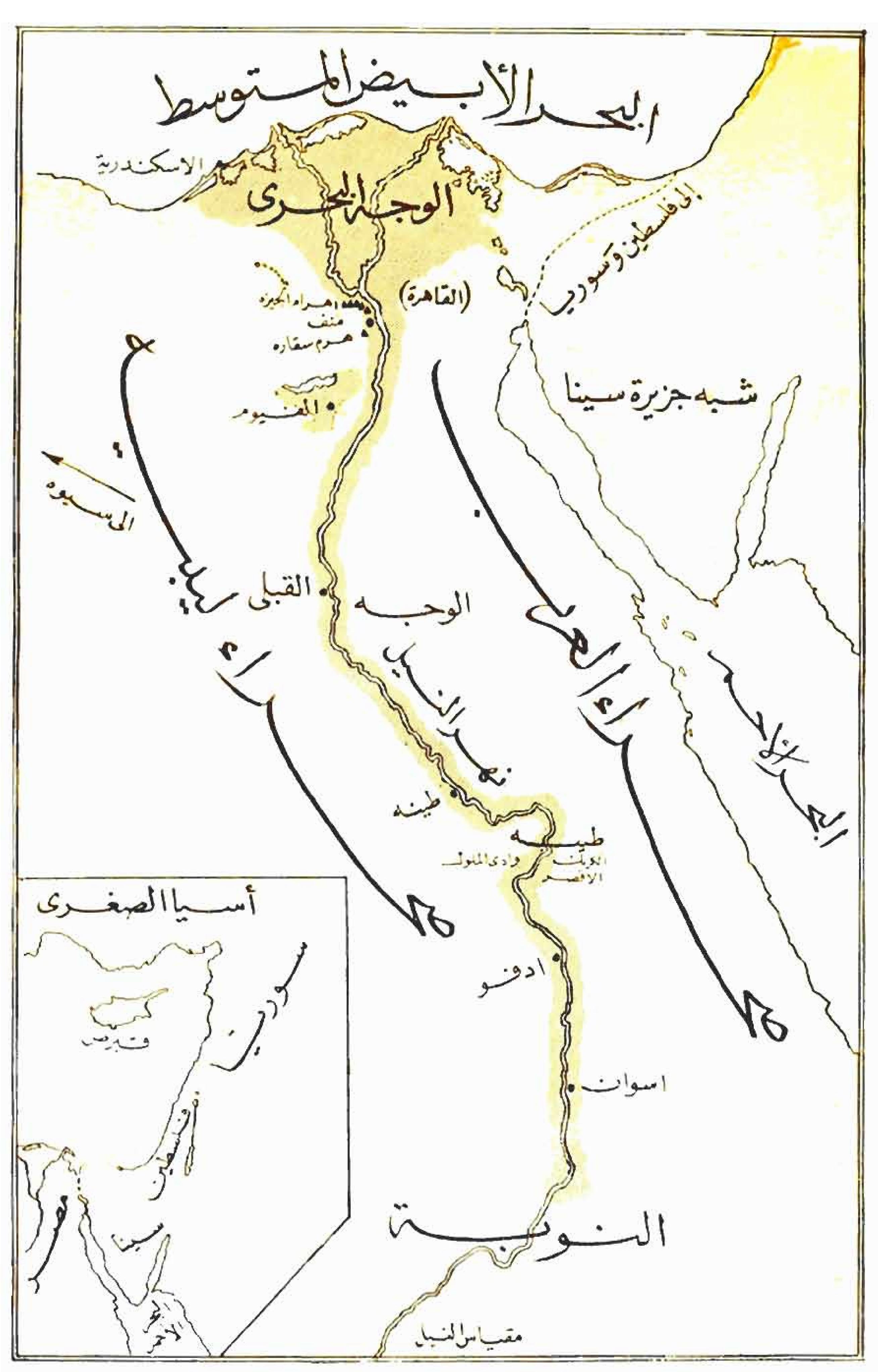




وَفى أَثْنَاء عَوْدَته ، مَرِضَ ، ثُمَّ مَاتَ ، وَهُوَ فى الثَّالثَة وَالثَّلاَثِينَ

فَحَزِنَ عَلَيْه جُنُودُهُ ، وَدَفَنُوهُ فى احْتفَال عَظيم

وَيُعْتَبَرُ الإِسْكَنْدَرُ منْ أَشْهَر الْمُلُوكِ الْفَاتحينَ



(خريطة مصر فى عهد قدماء المصريين)

فهرس الكتاب

١ – محادثات سهلة عن المصريين القدم

صفحة

الفلاح	١
الصانع	٤
التاجر	٩
الكاهن	١٢
الكاتب	١٥
الجندى	١٨
الوزير	٢١
الملك	٢٤
الأطفال	٢٧
المدرسة	٢٩
الكتابة	٣١
الديانة	٣٤
الحياة المنزلية	٣٧
العادات	٤٠
الأزياء	٤٣
الفنون	٤٦
المبانى	٥١
الآلات	٥٤

٢ — قصص العظماء

صفحة

قصة الملك مينا ٥٩
« الوزير امحوتب ٦٧
« خوفو والهرم الأكبر ٧٥
« أمنمحات الثـالث ٨٤
« سيدنا يوسف ٩٢
« تحتمس الثـالث... ... ... ١٠٠
« سيدنا موسى ١١٠
« الإسكندر الأكبر... ... ... ١٢٠

الصور الفوتوغرافية

صفحة

فاروق الأول ... ... أمام ب

آنية من الفخار ٥

سرير وكرسى ٧

تمثال من الحجر ٤٩

مسلة ٥٠

مينا ، أول ملوك مصر... ... ... أمام ٥٨

« يلبس تاج الوجه القبـلى ، وأمامه أسير ٦٠

« « « البحرى ، وأمامه بعض الأعلام ٦١

الوزير امحوتب ٦٥

تمثال الملك زوسر... ... ... ٦٦

هرم سقارة المدرج ٦٩

« « من الداخل ٧٠

تمثال الملك خوفو ٧٤

الهرم الأكبر ٧٨

الملك خفرع ٨٠

« منقرع وزوجته ٨٠

منطقة الأهرام وأبو الهول ٨١

صفحة

تمثال امنحات الثالث ٨٣
بقايا قصر اللابيرنت ٨٦
ميزان مصرى قديم ٨٨
صورة خيالية لسيدنا يوسف... ... ... ٩١
تمثال تحتمس الثالث ٩٨
« الملكة حاتشبسوت ٩٩
بهو الأعمدة بالكرنك ١٠٦
مقابر الملوك ١٠٧
تمثال سيدنا موسى ١٠٨
« رمسيس الثانى ١٠٩
« الملك منفتاح ١١٤
« الاسكندر الأكبر ١١٨
صورة فيليب المقدونى ١١٩
صورة الإسكندر بملابس فرعون ١٢٦
خريطة مصر ... ... أمام ١٢٨

تم طبع هذا الكتاب بالمطبعة الأميرية ببولاق
فى يوم ١٩ من صفر سنة ١٣٦٢
(٢٤ من فبراير سنة ١٩٤٣) م

مدير المطبعة الأميرية

محمد بكرى

المطبعة الأميرية ٦٧٦٠-١٩٤٢-٥٠٠٠